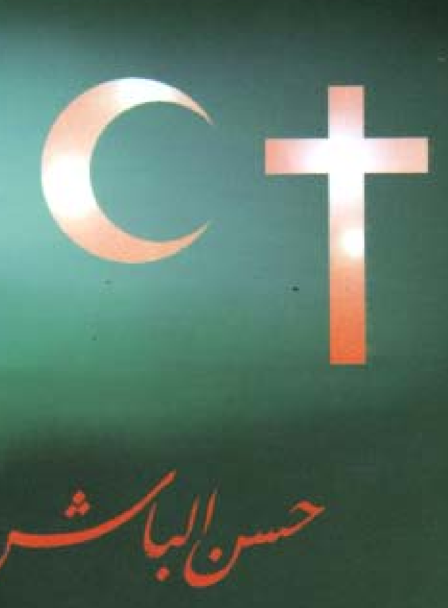



مقارنة الأديان (٢)

الجزء الثاني

العقيدة النصرانية

بين القرآن والأناجيل



حسن الباش

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب : ١٣٤١٤
بيروت - ص.ب : ٦٣٦٤-١٤

حسن الباش

العقيدة النصرانية

بين القرآن والأناجيل

القسم الأول : في العقيدة والمعتقد

القسم الثاني : العبادات والمعاملات

الجزء الثاني

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر مسألة الألوهية من أخطر المسائل في العقيدة النصرانية، كونها تنهج منهجاً مختلفاً عما عرفناه في القرآن الكريم من صفات الله عزّ وجلّ، وكونها تدخل في عالم آخر من المفاهيم تختلط فيها قضايا التجسيد والحلول وتعدّد الوجوه الإلهية التي يسمونها الأقانيم.

والواقع أن النظرة النصرانية تطورت بشكل سريع على أيدي الكهنة ورجال اللاهوت حتى إنّ المفاهيم التي طرحوها حول الألوهية تداخلت ببعض ماعُرف من العقائد الأخرى كالبوذية والوثنية الرومانية واليونانية وغيرها.

وحين نتصفح الأناجيل فإننا قلما نعثر على مفاهيم الألوهية، أو القضايا الإلهية المتعلقة بالمسيح وأقواله وتصرفاته وسلوكه. غير أن اللاهوتيين والفلاسفة فسروا أقوال المسيح وأقوال من سُمُّوا بالرسل تفسيراً يرون فيه أن المسيح تجسد وهو إله أو أنه ابن الله. وبذلك بدأوا يصنعون عقيدة جديدة تختلف عن عقيدة المسيح وماجاء به.

واستناداً على فهمهم للتوراة أرادوا أن يقولوا إن الله الذي عرفه بنو إسرائيل هو غير الله الذي جاء بالمسيح أو الذي تجسد بالمسيح. وبنوا أفكارهم تلك على تصورات وأوهام. وفلسفوا جميع القضايا المتعلقة بالتجسّد كالقيامة والعودة وحساب البشر والصلب والفداء وما إلى ذلك من قضايا.

ولاشك أن أصحاب أي عقيدة يحاولون تصور الإله وصفاته مالم يكن

ذلك واضحاً في ماأنزله الله في كتبه السماوية. فكثير من العقائد الهندية أو الفارسية، أوحتى القديمة من فرعونية وبابلية وغيرها بدأت رحلتها تجاه المعبود في حالات بسيطة، ثم تعقدت كلما ازدادت الحاجة إلى هذا المعبود وكلما ازدادت الرغبة في اكتشاف علاقات جديدة بين الإنسان الضعيف والإله القوي القادر على مساعدة هذا الإنسان.

وحين ندرس العقيدة النصرانية ونظرتها إلى الإله نرى أن جذوراً وثنية أمدتها في تصوراتها. ولاشك أن المقارنة بكثير من العقائد توضح لنا ذلك التأثير القوي والواضح.

وحين نسأل من هو الإله في العقيدة النصرانية؟ نرى غموضاً في الجواب. فتارة نرى أن الإله هو الله الواحد الخالق الأحد ولكن انبثق عنه المسيح، أو حل فيه فصار المسيح هو الله والله هو المسيح، والمسيح يصبح خالقاً. وتارة نرى علاقة ما ولكنها غير واضحة المعالم تربط بين الله والمسيح، فيقولون إن المسيح ابن الله في الروح وابن مريم بالجسد. فيفصلون بين المسيح الإله والمسيح البشري، وبعضهم يوحّد بينهما حيث تضيع معالم الألوهية بين البشرية والإلهية، وحين يتطور العقل المسيحي وينقسم على نفسه يفلسف ماهية الله حسب ماتمليه عليه فلسفته وفكره. فلا علاقة بين الله والمسيح ومريم وكلٌ له صفاته وشأنه وكلٌ له طبيعته ومشيئته لكن الفكر المسيحي يحتجّ ويضطرب ويصدر آراءه الجديدة حول طبيعة المسيح. وتظل الأمور بين تجديد وتحديث دون الوصول النهائي إلى ثوابت راسخة يرضى بها جميع من تبنى العقيدة المسيحية أو النصرانية. وإذا كان المسيح هو الله حسب بعض المعتقدات المسيحية، فهل جعل هذا الإلهُ وكيلاً له في الأرض يسمى البابا؟ ومن هو البابا حتى يكون في هذه المرتبة العقيدية؟ وهل جاء في كلام هذا الإله مايؤكد وكالة البشر بعده في الأرض؟

ماذا تعني ولادة الإله المسيح؟ ومـاذا يعنـي صلبـه وموتـه ثـم قيامتـه ورفعـه أورفع نفسه مـن عـالم الأرض إلـى عـالم السـماء؟ مـاذا تعنـي مريـم؟ هـل هـي أم الإله؟ وهل تلد امرأة بشرية إلهاً؟ أم أن مريم أيضاً خلقها الرب الأكبرعلى صفـات مختلفة حتى تلد إلهاً ابن إله؟. وهل حدث فـي العقـائد الأخـرى أن ولـدت امـرأة من دم ولحـم إلهـاً مـن نـور وروح قـدس وجسـد؟ إن كـل ذلـك لـن يـروق للعقـل البشري مالم يصل في نقاشه الفكري والواعي إلى حقيقة الألوهية، كمـا جـاء بهـا القرآن الكريم، وخاصة مايخص بها المسيح عليه السلام.

أما مفهوم النبوّة فلأن المسيح أصبح الله أوابن الله فـي العقيـدة النصرانيـة، فإنه جاء غامضاً أحيانـاً ونافياً أحيانـاً أخـرى. فالأنبيـاء أوبعضهـم يكهنـون لـلرب وليسوا أنبياء، وبعضهم أنبياء وهم محصورون في دائرة اليهوديـة القديمـة. النبـي يتنبأ أو يوحى إليه أو يسلك سلوك موسى وغيره من الأنبياء المشهورين، لكنه نبي خاص وخاص جداً، وكم من آلاف هؤلاء الأنبياء الخاصين مرّوا في بني إسرائيل أو حاولوا هدايتهم.

من هو النبي ومـن هـو الملـك ومـن هـو الكـاهن الـذي يكهـن لـلرب؟ إن هنـاك اختلافاً في المفاهيم. فمن كان نبياً في القرآن الكريم قـد لايكـون سـوى كـاهن يخـدم في بيت الـرب. ومـن كـان أبـا الأنبيـاء كـإبراهيم عليـه السـلام قـد لايكـون فـي العقيـدة النصرانية سوى جد مـن أجـداد عيسـى المسـيح إذا اعتبرنـاه نبيـاً بشـراً جسـداً وروحـاً. وهل تعترف المسيحية بأن إبراهيم نبي مرسل أنزلت عليه صحـف مـن السـماء؟ وهـل ترى في إسماعيل وإسحاق نبيين موحِّدَيْن اتبعا طريق أبيهما إبراهيـم؟ أم أن إسـماعيل وإسـحاق رجـلان عاديـان تمـر المسـيحية عليهمـا مرور الكـرام؟ مـاهي نبـوة يعقـوب والأسباط ويوسف وماذا تقول المسيحية عنهم؟ كيف تفهـم نبوتهـم ورسـالتهم، ومـا العلاقة الرابطة بينهم وبين المسيح عيسى ابن مريم عليهم السلام جميعاً؟

لماذا تعتمد المسيحية نبوءات أنبياء التوراة كإشعياء وحزقيال ودانيال وغيرهم وتعتمدآراءهم وتنبؤاتهم، بينما لاتكترث كثيراً بالأنبياء الذين ذُكروا في القرآن الكريم بأنهم أنبياء مرسلين مصطفين من الله سبحانه وتعالى؟. ماذا قالت المسيحية عن زكريا ويحيى وماذا قال القرآن الكريم؟ ولماذا يحيى نبيٌ في القرآن بينما هوكاهنٌ في المسيحية؟ لقد أشار القرآن الكريم إلى أن المسيح عليه السلام بشّر بمجيء نبي بعده اسمه أحمد، وأشارإلى صفاته، لكن المسيحية أنكرت ذلك. وحتى عندما صرح برنابا بذلك أنكروا إنجيله إنكاراً كلياً. فلماذا ينكرون قول المسيح وبشراه بالرسول الكريم محمد ﷺ؟

لقد أتت تعاليم المسيحية اللاحقة لتقول إن المسيح إله أو ابن إله، وكل الأنبياء دون مرتبته منذ آدم وحتى أنبياء التوراة الذين أتوا قبله، أمثال سليمان وداود وصموئيل وبقية أنبياء التوراة. وموسى يبقى دون مرتبة المسيح ماداموا يعتقدون أن المسيح هو الكلمة الأولى في الخلق بل هو الأقنوم الثاني من أقانيم الله الثلاثة.

وحين ننظر إلى أسس الإيمان المسيحية يبرز لنا مايسمّى بيوم الدينونة، حيث يُحاسب الخلق، فمنهم إلى الجنة ومنهم إلى الجحيم، لكن هذا اليوم غامض غموض يوم الآخرة في التوراة، فهل حقاً يأتي المسيح ليحاسب البشر؟ أم أنه يأتي شاهداً على من ادعوا اتباعه وادعوا أنه الله أو ابن الله. ومع ذلك فما هو مفهوم الآخرة والبعث والحساب في هذه العقيدة؟ وهل نرى تماثلاً بينها وبين ماجاء به القرآن الكريم في ذلك الحدث العظيم كيف يُبعث الناس من قبورهم؟ ماهي علامات ذلك اليوم في الأرض والسماء ومابينهما؟ وماذا قال القرآن الكريم في ذلك وماذا قالت الأناجيل؟ أم أن تلك العلامات غُيّبت كما غيّب إنجيل عيسى ابن مريم عليه السلام؟

ثم كيف استطاع الكهنة والبابوات أن يخدعوا جماهير المسيحية بما يسمى

صكوك الغفران؟ وكيف انطلت هذه المؤامرة على العقول الساذجة؟

ويأتي عالم الغيبيات ليقول لنا أحاديث متنوعة عن الشيطان، عن تجربة المسيح معه، وكأن قصة أيوب والشيطان التوراتية تتكرر هنا مع المسيح ولكن بصورة أخرى. فما هو عالم الشياطين في المسيحية؟ فهذا مانراه في أقوال الأساتذة المسيحيين المعاصرين وآرائهم ودراساتهم. وسنرى أن موقفهم المعاصر موقف متقدم جداً عما جاءت به القرون الوسطى للعقيدة المسيحية.

وكذلك الملائكة، فإن لها مكانها في هذه العقيدة وإن اختلفت أهميتها باختلاف مهمة المسيح. ماذا يشكل جبريل عليه السلام في العقيدة المسيحية؟ وماهي مهمته من البداية حتى النهاية؟ وكذلك الملائكةُ الآخرون الذين عرفناهم في القرآن الكريم وعرفنا أشياء عن بعضهم في إنجيل برنابا.

وماذا عن الكتب المنزلة من السماء وماهو ميزان الاعتراف المسيحي بالتوراة؟ وكذلك هل هناك ميزان للاعتراف المسيحي بالقرآن الكريم. وباعتبار أن أسس العقيدة أو أسس الإيمان تقضي أو تقتضي الإيمان بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر وكتبه، فإن المسيحية تختصر هذا الإيمان، بل تحذف منه مايروق لها ومايناسبها، فلا إيمان بالقرآن الكريم. والتوراة لها ميزانها بين المذاهب المسيحية والطوائف. ويضاف إلى ذلك كله نظرة المسيحية لعالم الجن والسحر، والإيمان أو عدمه بالقدر خيره وشره، وقضايا أخرى تدخل في صُلب العقيدة المسيحية وأسسها.

نبحثها مفصلة في هذا الكتاب، متابعين أسلوب مقارنة الأديان حتى نصل إلى قناعات عقلية لاتشوبها العواطف والأهواء والميول.



الفصل الأول

الله في العقيدة النصرانية
مفهوم الإله - واحدٌ أم ثلاثة؟



جاء المسيح، عليه السلام، بني إسرائيل ولديهم كتاب دوّن زمن السبي البابلي، أطلقوا عليه التوراة، وهي ليست توراة موسى، كما يعترفون وكما أثبت القرآن الكريم، وكما أثبت كلّ الدارسين الموضوعيين والعارفين بالعقيدة اليهودية.

هذه التوراة حفلت بتطور واضح لمفهوم الإله. فمنذ سفر التكوين جسد التوراتيون الإله، وألصقوا به صفات وثنية واضحة. وتطور مفهوم التجسيد إلى حد أنهم جعلوا الله عموداً من سحاب أو من نار. وصوروه ينزل إلى خيمة الاجتماع ليروه جميعاً أو يراه بعضهم. ووصفوه تارة برب الجنود، ويهوه، وقائد عسكري وغاضب ومنتقم ونادم ومتقلب المزاج والأهواء ومخرب ومعمر.

وقد توارث اليهود هذا الكتاب منذ السبي البابلي وظل بين أيديهم يؤمنون به، ويؤمنون بما ورد فيه، وإن كان يشوّه الذات الإلهية ويلفق عليها مالايليق بها.

وعندما جاء المسيح دعا إلى عودة اليهود للصواب، وَلَما أُنزل على موسى، عليه السلام، كما دعا إلى ترك الانحراف والتقوّل على الله بصفات سيئة.

وأدرك المسيحيون الأوائل كل ذلك، لكنهم عندما اتبعوا المسيح، عليه السلام كان غالبيتهم من اليهود الذين ترسخت في نفوسهم أقوال التوراة جميعها. فمنهم من نبذ أفكار اليهود ومنهم من ظل متأثراً بالماضي وبتراث اليهود التوراتي.

ولما أخفي إنجيل عيسى، عليه السلام، وراح كتبة الأناجيل يدونون أناجيلهم لم يستطيعوا التخلص من المؤثرات المختلفة. المؤثرات اليهودية التوراتية والمؤثرات الوثنية الرومانية واليونانية.

وعلى افتراض أن أول إنجيل دُوِّن بعد رفع المسيح بعشرين عاماً أو ثمانين عاماً، فإن ذلك التدوين يأتي في ظل ثقافة يهودية رومانية وثنية.

واليهودية تحمل بيديها توراة تجرأت على الإله كل الجرأة، والرومانية ترسخت لديها الوثنية ترسخاً كبيراً حيث تعدُّد الآلهة وتعدُد مهماتها ورموزها ومعابدها وآفاق تأثيرها على البشر حسب مايزعمون.

وهذا التدوين ليس معزولاً عن تلك البيئة وتلك الثقافة بما أن المسيح نفسه عليه السلام، لم يكن موجوداً أثناء التدوين، ولم يكن شاهداً عليه. إنما تم التدوين في غيابه فلا محاسب ولا مراقب ولا شاهد ولا رقيب، ويحلو للمدوّن أن يكتب مايشاء، فيتدخل خياله وعاطفته وتصوراته، ويأخذ القصص شفاهية من الناس ليصنع بالمحصلة إنجيله ويدعي فيه أن المسيح هو الله أو ابن الله، ويدعي أن المسيح قال عن نفسه إنه الله.

وأعتقد أن الذين جعلوا للمسيح طبيعتين وادعوا أن له طبيعة إلهية وأخرى ناسوتية، دمجوا بين التصور التوراتي للإله والتصور الروماني للآلهة، فخرجوا بإله يجمع في ذاته شيئاً من يهوه وشيئاً من آلهة الرومان واليونان. وظنوا أن أرقى تصوّر للإله هو أن يقولوا إن المسيح البشري المخلوق من دم ولحم هو نفسه الإله الذي يحوي الروح والنفس وعالم الغيب وهو القادر الخالق الشافي المحيي.

لقد كان التصور النبوي لإله بني إسرائيل قد تطور أيام السبي على يد أنبياء التوراة أمثال إرميا ودانيال وحزقيال. فبدل أن يكون الإله رب الجنود أصبح إله الرحمة خالق السموات والأرض. وبدل أن يكون الإله خاصاً لبني إسرائيل يصبح إلهاً لجميع الأمم. ومن هنا استطاع مكونو العقيدة التثليثية المسيحية أن يستفيدوا من التصور التوراتي المتطور. وبالمقابل استطاعوا أيضاً الاستفادة من التصورات الرومانية للإله جوبيتر وبقية الآلهة الرومانية، وكذلك الآلهة اليونانية ليكوّنوا هذا الإله الجديد. لماذا يكون الإله رب الجنود؟ لماذا لايكون إله السلام

والمحبة. لماذا يكون الإله خاصاً لبني إسرائيل ولايكون إلهاً عالمياً كونياً؟ ثم لماذا يكون الإله جوبيتر وثناً أو صنماً أو شكلاً بشرياً ضخما لكنه متحجر صامت لاينفع ولايضر ولايتكلم؟ فليكن الإله بشراً وله قدرات خارقة غير محدودة، يخلق ويشفي ويحيي ويفعل بمشيئته وإرادته كل مايشاء ومايريد. فهذا، حسب تصورهم، أكمل وأقرب إلى القبول، خاصة أن المسيحية توجهت لشعوب غالبيتها وثنية وتريد تحسين ذات الإله وصورته وقدراته بدلاً من أن تظل تعبد آلهة لاتنطق ولا تفكر ولاتخلق ولاتشفي من الأمراض.

وقد واجه الذين أطلقوا على بعضهم رسلاً كثيراً من الشعوب التي كانت تقدس الآلهة الأنثى، وترفعها فوق الإله الذكر. فذموهم وهاجموهم وأظهروا لهم أن الإله يجب أن يكون ذكراً وهو المسيح. لقد كان الإله يهوه ذكراً، وكذلك الإله الروماني جوبيتر، فلا يمكن أن يكون الإله المسيحي المتصوَّر أنثى، بل يجب أن يكون ذكراً متميزاً. يقول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس: (ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله، فإن الرجل لاينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده).

مصادر تأليه المسيح

درج أصحاب العقيدة النصرانية على القول بأن الأناجيل وحي من الله، وهي التي تقول بألوهية المسيح. ويرى بعضهم أن هذا الكتاب أو هذه الكتب المسماة بالأناجيل موثوق بها تاريخياً وهي الدليل الوحيد الصادق لتقرير ماإذا كان المسيح بالفعل هو الله المتجسد أم لا.

فإذا كانت هذه الأناجيل المصدر الوحيد الذي يؤكد ألوهية المسيح فإن أي عاقل اطلع عليها يدرك أنها غير موثوق بها قطعياً، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ أخفي إنجيل المسيح الأصلي ولا أحد يستطيع أن يدعي أن هذا الإنجيل موجود.

٢ ـ أُلفت الأناجيل على فترات ولم تظهر دفعة واحدة، فمنها من ألف بعد رفع المسيح بعشرين عاماً ومنها ماألف بعده بأكثر من ثمانين عاماً.

٣ ـ ليس هناك أي تطابق بين الأناجيل فيما ترويه عن حياة المسيح.

٤ ـ كتبت الأناجيل بلغات عدة، ولايعقل أن تكون وحياً من الله إذ إن الوحي يفترض أن تكون له لغة واحدة متميزة بدقتها وأسلوبها ومعجزة في آن معاً.

٥ ـ تم تعديل نسخ الأناجيل عشرات المرات، فمرة يُحذف منها ومرة يزاد عليها، وقد أجمع الدارسون لما يسمى الكتاب المقدس أن كثيراً من الفقرات زيدت على النص التأليفي الأصلي الذي كتبه أصحاب الأناجيل.

٦ ـ في الأناجيل تناقض صارخ مع معطيات التاريخ، فإما أن يكون التاريخ

صادقاً ويكون الوحي المدَّعى كاذباً، وإما أن يكون الوحي الإنجيلي صادقاً ومعطيات التاريخ كاذبة.

٧ ـ أن ثلاثة من الذين كتبوا الأناجيل هم في الأصل من اليهود. وهم متى ويوحنا ومرقص، ولم يعرف في تاريخ اليهود أن يهودياً واحداً آمن حق الإيمان بالمسيح. وإن أهم من يسمونهم بالرسل كانوا من اليهود. وبولس اليهودي أكثر من تُسلط عليه الأضواء في تأليفه للعقيدة المسيحية وتصديرها إلى اليونانيين والرومان.

فإذا كانت هذه الأناجيل هي المصدر الوحيد الذي يؤكد إلهية المسيح فإن المسألة من أساسها لاوثوق بها. الأناجيل باطلة وكل ماجاءت به يصبح باطلاً. فلا يعقل أن تكون أُلوهية المسيح صحيحة مادامت المصادر التي قالت ذلك ــ وهي الأناجيل ـ لاتصلح للثقة ولا في أي ميزان من الموازين. فإذا وضعنا هذه الأناجيل تحت مجهر الفحص الدقيق نخرج بنتيجة مفادها أنها كتب أُلفت دون أي أسس علمية تاريخية أو دينية. فالمخبِر مشكوك فيه، والخبر مشكوك في صحته، وطريقة نقل الخبر غامضة لاندري كيف تمت. والتدوين بشكل كلي لم يتم بحضور صاحب الشأن وهو المسيح عليه السلام.

إذاً كيف يُصدق هذا الكتاب وهو يحمل في شكله ومضمونه مايرفض العلم والتاريخ عدا عن رفضه من قبل المنطق العقيدي التوحيدي.

وإذا كانت صفة الأناجيل بهذا الشكل فما قولنا في ملحقات الأناجيل من رسائل بولس ورؤيا يوحنا وماشابه ذلك؟

إن الرسائل التي ألفها بولس اليهودي وغيره ممن تسرب إلى المسيحية تلجأ إلى التطرف الواضح في إعلان ألوهية المسيح. فحتى الأناجيل التي كتبت قبل هذه الرسائل لم تتطرف بالشكل الذي نراه في الرسائل. وكأن الأمر واضح القصد وهو إيقاع البشرية في وثنية جديدة تجعل الإله بشراً قادراً على فعل كل شيء وليس

صنماً أو حجراً كما قلنا قبل صفحات .

جاء في رسالة العبرانيين ١ : ١-٣ : الله بعدما كلم الآباء والأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء . الذي به أيضاً عمل العالمين والذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته) وهذه الملحقات على الأناجيل هي التي صنعت ألوهية المسيح أكثر بكثير مما صنعته الأناجيل ، وباتت معتمدة في ذلك التأليه أكثر من أي مصدر آخر .

قبل مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية لم يكن الإيمان بألوهية المسيح محل إجماع المسيحيين ، ومنذ انعقاد هذا المجمع أصبح الإيمان بألوهية المسيح الموقف الرسمي للكنيسة . وقد كان لرسائل بولس وماألحق بالأناجيل الدور الأكبر في تكريس مايسمى ألوهية المسيح ، حتى إن كثيراً من مستندات المسيحية العقيدية ترتكز على هذه الملحقات . وقد قال بولس قولته المشهورة إن المسيح صورة الله غير المنظورة ، وأصبحت هذه المقولة من أكبر المستندات المسيحية في تأليه المسيح .

والعجيب أن المسيحيين يعتقدون بأنه يجب رفض أي كتاب أو تعليم من شأنه تغيير مضمون الكتاب المقدس ، ويرون أن الكتاب المقدس لايسمح بوجود أية تعاليم أخرى من شأنها أن تغير فيه أو تضيف إليه ، على الرغم من كلّ التناقضات وعدم الموثوقية بصحة ماورد في هذه الأناجيل ، وتشكيك غالبية الباحثين فيه ، والتناقض الصارخ بين نسخه قديمها وحديثها .

من الذي ألَّهَ المسيح؟

يرى المسيحيون أن المسيح هو الله ، لأنه أعلن عن نفسه بالألوهية . ويرون أن هناك شهادة للمسيح عن ألوهيته ، وشهادة للرسل لألوهية المسيح . وهناك ألقاب وصفات للمسيح لاتصلح للبشر إنما هي تصلح لله ، ويرون أن المسيح موجود أزلي قبل التجسد . وللمسيح معجزات إلهية لايستطيع البشر فعلها .

وقد بالغ اللاهوتيون الإنجيليون في دراسة مايسمى طبيعة المسيح الإلهية ، فقالوا إن المسيح امتلك أسماء الله وألقابه . فهو يهوه وهو الله والرب والمخلِّص والملك والديَّان والنور والصخرة والفادي ، وله صفات الزوج والراعي والخالق ومانح الحياة وغافر الخطايا وشافي البشر .

والمسيح الإله حسب رأي المسيحية كلي الوجود ، كلي العلم ، كلي القدرة ، وذو وجود سابق وأزلي وسرمدي ولايتغير . وعلى ذلك فإنهم يرون أن المسيح قابل للعبادة ؛ لأنه يمتلك سلطان الله ، ولأنه كذلك فلقد منح نفسه سلطاناً لإقامة نفسه من الأموات .

تستند المصادر المسيحية أولاً على شهادة المسيح عن نفسه أنه الله كما ورد في الأناجيل ، فقد أوردت هذه الأناجيل أن المسيح قال عن نفسه إنه الله أو هو مساوٍ لله ، وقالوا إن شهادة المسيح عن ألوهيته هي أهم شهادة . فهو ، حسب رأيهم ، لم يكن يتمتع بشركة متواصلة بالله فحسب بل كان لديه اقتناع واضح أنه هو نفسه ذو طبيعة إلهية ، ويستندون على بعض الجمل التي وردت في الأناجيل على أنها كلام

المسيح واعترافه بالألوهية، فجاء في إنجيل لوقا ٢ : ٤٩ حين أجاب عن سؤال أمه وهو في الثانية عشرة من عمره: (لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي). وفي إنجيل يوحنا مايوحي أنه نسب نفسه لله الآب عندما قال: (أنا والآب واحد) ويرون أن المسيح يكشف وحده عن الله بحق حين قال: (كل شيء دفع إلي من أبي وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولاأحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له) متّى ١١ : ٢٧.

ويرد القرآن الكريم على هذا الادعاء أي أن المسيح قال عن نفسه إنه الله:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

ويقول الله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ففي هذه الآيات الثلاث رد بليغ جداً على من كذبوا ونسبوا للمسيح قولاً إنه الله، فالواضح أن الآية بمضمونها توحي أن سؤال الله للمسيح لايرتبط بالحياة الدنيا ولكن حكمة الله أرادت أن تعلّم وتحذر الذين نسبوا الألوهية للمسيح على لسان المسيح نفسه. والسؤال سؤال تعليمي استنكاري ليبين الله سبحانه أن المسيح لم يقل عن نفسه إنه الله.

ولننظر إلى بلاغة الرد حين يقول المسيح قال سبحانك أي أنزهك يارب.. فليس لي حق بالادعاء أن أقول ماليس لي أو أقول شيئاً لم تكلفني به. فإن كنت قلته فأنت تعلمه. وأنت الذي تعلم مافي نفسي ولاأعلم مافي نفسك وأنت علام

الغيوب. فالذين قالوا إن المسيح قال أنا والآب واحد كذبوا كذباً كبيراً. لأن المسيح لايعلم الغيب والله وحده الذي يعلمه. ثم يقول عليه السلام: إنني ماقلت إلا ماأمرتني به وهو عبادتك وحدك. وقد قلت لهم إن الله ربي وربكم، وكنتُ شاهداً عليهم عندما قالوا ماقلتُه ومادمتُ فيهم ظلوا يؤمنون بك إلهاً واحداً، فلما توفيتني كنتَ أنت يارب الرقيبَ عليهم، وأنت تعلم هل ظلوا على توحيدهم أم هم الذين ادعوا أنني رب مساوٍ لك.

ويقول الله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥].

ويقول الله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

ويتضح أن الذين اتبعوه وهو حي ظلوا على إيمانهم بنبوته حتى إذا رفعه الله إليه اختلفوا فيما بينهم. فمنهم من ادعى أن المسيح هو الله، ومنهم من ادعى أنه ابن الله، ومنهم من ظل على توحيده وإيمانه بنبوة المسيح. فمنهم من كفر ومصيره جهنم ومنهم من ظلم المسيح وافترى عليه القول فمصيره عذاب يوم عظيم.

فاختلاف الآراء حول المسيح حدث بعد رفع المسيح. والأسباب التي ادعاها من ألّه المسيح قولهم إنه قال هو نفسه إنه الله وهو مساوٍ للرب. وقولهم إن معجزاته دلت على ألوهيته. وتابعوا الأسباب فقالوا عن قيامته من الموت بأنها دليل ألوهيته، إلى آخر ماهنالك من أوهام تصوروها وروايات حكوها وليس لها أساس من الصحة.

وإذا عدنا إلى الأقوال التي نسبوها للمسيح على أنها اعتراف منه بألوهيته وجدناها تحتاج لنقاش طويل وتحليل يوصلنا إلى أن هذه الأقوال، على مافيها من

شرك، لاتوحي بمعنى واحد فحسب. صحيح أن بعض المتنصرين ومنهم من نُسبت لهم كتابة الأناجيل حاولوا تلفيق كلام على لسان المسيح بأنه الله، لكن النصوص الواردة في هذه الأناجيل، على مافيها من ظاهر الكلام، قابلة للرد المنطقي والعلمي.

فقول المسيح لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي (لوقا ٢ : ٤٩) فعمر المسيح عندما قال هذه العبارة كان اثنتي عشرة سنة. بمعنى أنه لم يسمع قوله هذا سوى المخاطَبين مريم ويوسف. ولم يكن المسيح قد كلف بالدعوة بعد ولاأنزل عليه إنجيل. فمن الذي سمع المسيح يقول هذا الكلام؟ وهل من شاهد عليه؟ وهل دوّن المسيح هذا الكلام حتى يكون شاهداً على أقواله عندما بدأ خدمته أو عندما أصبح رجلاً ناضجاً عاقلاً؟ هل دون يوسف أو مريم ماقاله المسيح؟ وهل أخبرا فيما بعد أن المسيح قال ذلك الكلام.

من أين جاء لوقا بهذا الكلام وإنجيله لم يظهر إلابعد عشرات السنين، وهو نفسه لم يكن من سكان القدس أو الناصرة أو بيت لحم، إنما سمع روايات عن المسيح ودوّنها حسب تصرفه وحسب لغته وحسب رؤيته هو، وبانعكاسات البيئة على فنّه الكتابي؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العبارة نفسها التي تنتهي بقول لوقا فيما لأبي يجدر بنا أن نقف عند معناها الرمزي، فإذا قلبنا كلمة فيما لإلهي أو لربي لأضحى المعنى الرمزي ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في عبادة ربي. والعبادة هي لله فيما لأبي أي في الذي لأبي على قول لوقا، أما إذا قلنا فيما لربي أي في الذي لربي فالأصح أن يكون معناها في عبادة ربي وليس في مشاركة الرب في إرادته ومشيئته وعلمه.

أما العبارة التي يقول فيها أنا والآب واحد، والتي وردت في يوحَنّا ١ : ٣٠ فإنها من صنع يوحَنّا. فالآب كلمة طارئة ولاتعني الله أوالرب بأي شكل من

الأشكال. فلغة بني إسرائيل تفترض كلمتين لله. أدوناي بمعنى سيدي وألوهيم أي إلهي فمن أين جاءت كلمة الآب؟ هل هي من اللغة الرومانيةأم أن المسيح اخترعها، وقد أنزل الإنجيل عليه بلغة الآراميين السريانية؟ أم أن الأصح أن كتبة الأناجيل أقحموها ولفقوها على لسان المسيح؟ ومن ثم ألا تعني أنا والآب واحد أن الله انقسم جزأين، واحد في السماء وهو الله وواحد في الأرض وهو المسيح.

يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢-٢٣].

أما قول الإنجيل في بشارة يوحنا: (من لايكرم الابن لايكرم الآب الذي أرسله) فإن القول الأصح: (من لايكرم النبي لايكرم الله الذي أرسله) وتعني من لم يطع النبي لم يطع الله، ومن لايحب النبي لايحب الله، ومن لايؤمن بالنبي لايؤمن بالله. أما قوله: (والذي يراني يرى الذي أرسلني) فتعني الذي يرى أفعالي وإيماني فإنه بقلبه يرى فضل ربه الذي أرسل الأنبياء مبلغين هادين.

أما قوله: (كل شيء قد دفع إلي من أبي وليس أحد يعرف الابن إلا الآب..) التي وردت في متّى. فإنها بعد تصحيح كلمة أبي وإبدالها بكلمة ربي فإنها قد تصح لأن مايمنحه الله لنبيّه يدفعه له كي يكون له وسيلة لتبليغ دعوته. وأعرف الناس بالله هم الأنبياء؛ فهم على صلة به عن طريق وحيه وملاكه جبريل عليه السلام، والله بأنبيائه أكثر رعاية لأنهم المصطفون على البشر المختارون من قبله كي ينفذوا تعاليم السماء.

أما قول الأناجيل كان عمله مطابقاً لعمل الآب (لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك) فإن المسيح عمل المعجزات بإذن الله وبإرادته وليس بإذنه هو وبإرادته. وتلك المعجزات جاءت تأييداً للمسيح لتثبيت إيمان الناس، وخاصة الذين كانوا على دين اليهود والمعروف عنهم تعجيزهم للأنبياء وعدم إيمانهم

إلابعد حجاج وحوار وعناء. وقصة البقرة وموسى عليه السلام أكبر شاهد على ذلك.

وتقول بعض المصادر المسيحية (وشهادة المسيح عن نبوته وعن شركته الخاصة مع الآب وألوهيته كانت واضحة لليهود، حتى إنهم في إحدى المناسبات التقطوا حجارة وحاولوا رجمه بها. حتى قالوا لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً) يوحنا ١ : ٣٢ و ٣٣.

فالأناجيل، وخاصة يوحَنّا تعطي مبرراً منطقياً لليهود كي يرجموا المسيح. ويصورهم الإنجيل وكأنهم على التوحيد وعلى حق. والواقع أن ظاهر الكلام يدل على أن اليهود كانوا موحدين صادقين وأن المسيح كان على شرك وضلال فحُق رجمه. لكن لا الإنجيل صادق ولا اليهود كانوا على حق. الإنجيل يلفّق على المسيح بالبهتان أنه قال عن نفسه إنه الله، واليهود لم يرتضوا المسيح لأنه ادعى الألوهية بل كانوا ضده لأنه جاء بالحق ونهاهم عن فعل الشر، فهدد مصالحهم فعاندوه وقاتلوا مبادئه.

وتدعي بعض المصادر المسيحية أن كلمات المسيح في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض هي كلمات الله بالذات (أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي). فليس بالضرورة أن هذه الكلمات التي قالها المسيح هي كلمات الله. والجملة جداً عادية في المستوى العقيدي، من آمن بالله يؤمن بالمسيح نبياً مرسلاً. وليس بالضرورة أن الإيمان بالله يتطلب الإيمان بالمسيح على أنه إله أو ابن إله.

وتقول المصادر المسيحية عندما نسب إلى نفسه (كل سلطان في السماء وعلى الأرض) كان يعني أنه يملك القدرة على كل شيء.

فأي قدرة يمتلكها حين تم القبض عليه ومن ثم صلبوه ومات حسب قول الأناجيل؟ من يملك القدرة على كل شيء يستطيع أن يغير محاكمته وصلبه وقتله. كيف يكون قادراً على نجاة نفسه من اليهود والرومان ولايفعل؟ أم أن الفكر

المسيحي وجد مبرراً لذلك وهو قصة الفداء والتضحية؟ أليس ذلك تناقضاً صارخاً لما قالته المصادر المسيحية؟

يقول تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

هل يشهد رسل المسيحية بألوهية المسيح؟

اعتبرت المصادر المسيحية أن لوقا ومَتَّى ويوحَنّا ومرقص وبولس وبرنابا وغيرهم رسل المسيحية بعد المسيح، وترى هذه المصادر أن الرسل شهدوا للمسيح بالألوهية، ويعتبرون أن شهادتهم موثوقة تدعم شهادة المسيح عن نفسه أنه إله.

ويقولون إن شهادة من شاركوا في كتابة أسفار الأناجيل (العهد الجديد تقف منسجمة بشكل تام مع تعاليم المسيح وشهادته عن ألوهيته).

ففي لوقا ١ : ١٧ يرد أن الملاك جبرائيل ظهر لزكريا وأخبره أنه سيكون له ولامرأته أليصابات ابن تُسند إليه مهمة خاصة وهي (لكي يهيّئ للرب شعباً مستعداً) والملاك نفسه عندما كشف لمريم بأنها ستكون أماً للمسيح المنتظر أخبرها بأن ذلك الطفل يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولايكون لملكه نهاية. فترى المصادر المسيحية أن هذه المزايا لايمكن أن تكون لمن لم يكن إلهاً بالفعل.

فحسب ادعاء لوقا أن زكريا سيمنحه الله ولداً يكون ممهداً أمام الرب المسيح. ولو كان يحيى أو يوحَنّا ممهداًأمام النبي القادم لهان الأمر، ولكن لوقا يرى أن يحيى يمهد الطريق أمام الله المسيح.

لكن السؤال المطروح هو: إذا كان المسيح هو الله فعلاً فهل جاء جبريل إلى زكريا بأمر منه؟ هل كان المسيح يعلم أن يحيى سيولد وسيكون ممهداً له الطريق أم أن الله، سبحانه، هو الذي بعث جبريل لزكريا ليبشره بيحيى وليس المسيح. لقد

بشر جبريل زكريا بالغلام بأمر من الله، سبحانه، قبل أن يولد المسيح ابن مريم. وقد رأينا ذلك واضحاً في آيات القرآن الكريم يقول الله تعالى على لسان زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥-٦].

فالقصة تبدأ بدعاء زكريا لربه أن يهبه غلاماً يرث النبوة ليرشد بني إسرائيل إلى جادة الحق، يرثه ويرث من آل يعقوب الجانب النبوي. ولم يرتبط ذلك بعيسى ابن مريم ارتباطاً يدل على أنه بُعث ليمهد الطريق أمامه.

ويقول الله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] والآية تدل على وحي الله له بأن يأخذ بشريعة التوراة كما نزلت على موسى، وكما علمه إياها أبوه زكريا، بيد قوية وحكم قوي. إذاً فمهمته تماماً كمهمّة المسيح عليه السلام. جاء لبني إسرائيل لينفذ أحكام التوراة فيهم ويرشدهم بعدما ضلوا. وقد ورد في القرآن الكريم مايشير إلى نبوة يحيى. فقال الله تعالى بعد أن ذكر عدداً كبيراً من الأنبياء في سورة الأنعام الآيات ٧٤ وحتى ٨٤: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥] وذكر هؤلاء الأنبياء الأربعة في آية واحدة جاء ليدلل على الزمن المتقارب بينهم.

وحسب المصادر المسيحية والتفسيرات الإسلامية نرى أن ارتباط زكريا ويحيى بعيسى هو ارتباط زمني وارتباط نبوي. فعيسى لم يكن أكبرمن يحيى أويحيى أكبر من عيسى إلا ببضعة أشهر فهما مولودان في سنة واحدة، فإذا ماكبرا لايصح أن يمهد الواحد أمام الآخر لأنهما وُجدا معاً في منطقة واحدة وعصر واحد.

ثم إن يحيى وهبه الله النبوة وهو صبي. وقد بعث نبيّاً قبل أن ينزل الوحي بالإنجيل الأصلي على عيسى. يقول الله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ والحكم هو النبوّة والعمل بكتاب الله.

ويدّعي لوقا أن جبريل كشف لمريم بأنها ستكون أماً للمسيح المنتظر، وسيكون الطفل عظيماً وابن العلي يُدعى. فلا شك أن الغلام الذي سيهبه الله لمريم سيكون عظيماً على اعتبار أنه سيكون نبياً، وسينزِّل عليه كتاباً اسمه الإنجيل، أما أنه ابن العلي يُدْعى فهذا كلام لم يقبله المسيح عليه السلام ولايقبله المنطق، لأن الكلام الذي قبله يناقض مابعده. صحيح أن الغلام الذي بُشرت به مريم سيكون عظيماً ابن العلي يُدعى؟ ثم يقول لوقا يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، فهل مُنح المسيح كرسيّ أبيه داود؟ إن داود كان نبياً وملكاً فإذا كان المقصود كرسي النبوة أي الكرسي المعنوي فلا شك أن ذلك صحيح ينطبق على النبي والنبوّه ولاينطبق على الإله والألوهية، فسليمان ورث عن أبيه داود الحكم والحكمة والعلم والكتاب والقضاء وورث أيضاً الملك الدنيوي. ولكن المسيح عليه السلام ورث النبوة ولم يرث الملك فهو لم يصبح ملكاً بل ظل نبياً يخدم دين الله التوحيدي.

ويقول لوقا: ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، والواقع أن المسيح لم يملك على بيت يعقوب ولاساعة واحدة. إنما ظل في خدمته النبوية حتى رُفع إلى السماء. ويأتي في إنجيل مَتَّى قوله (اسمه يدعى يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم) ١ : ٢١ ويرون أن هذه المهمة يستحيل على شخص أقل من الله أن ينجزها. فلماذا يستحيل على نبي مثل عيسى وهو من أولي العزم من الرسل أن يخلص اليهود من ذنوبهم وكفرهم وطغيانهم. ألم يبعث الله رسولاً في الأميين يطهرهم نفسياً وروحياً وجسدياً ويزكيهم؟ ومامهمة الأنبياء إلا تخليص البشر مما هم فيه من كفر وذنوب وخطايا؟

وترى المصادر المسيحية أن المجوس ـ حكماء الشرق ـ الذين كانوا قد أُعطوا بصيرة روحية معجزية بعد سفرتهم الطويلة سعياً وراء الملك الموعود به ماإن وصلوا إلى بيت لحم مكان ولادة يسوع، حتى خرّوا وسجدوا له (متى ٢ : ١١)

والركوع والسجود له بهذا الأسلوب هوجهل وتجديف لو لم يكن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد.

فإذا كان المجوسُ عبدةُ النار حكماء الشرق فهم لايعلمون الغيب، فمن قال لهم إن المسيح قد ولد؟ هل أوحى الله إليهم؟ ومن هم بالنسبة لله سبحانه حتى ينبئهم الغيب ويقول لهم إن المسيح وقد وُلد.

وإذا افترضنا أن الله سبحانه قد دلّ المجوس على أن المسيح قد وُلد فكم استغرقت مسيرتهم من بلاد فارس إلى فلسطين، وكيف سمح الرومان لهم بالدخول إلى الأراضي التي يسيطرون عليها في فلسطين وهم على عداء مستمر مع الفرس.

أما النقطة التالية فقال مَتَّى - خرّوا وسجدوا له. فالسجود ليس كله تعبدا لله، فهذه التوراة تورد أن لوطاً سجد للملائكة، وأن يعقوب سجد أمام أخيه عيسو، وكثيرة جداً الأحداث التي يسجد فيها أشخاص لأشخاص، فهل كانوا يسجدون لهم لأنهم أرباب؟ أم أن السجود أحياناً يكون للاحترام؟ فالملائكة سجدوا بأمر الله لآدم إلا إبليس فهل سجدوا له لأنه إله؟

على أية حال فقصة المجوس التي أوردتها بعض الأناجيل قصة مختلقة من أساسها، لأن المسيح لم يأت على ذكرها، ولاشهد أحد عليها حتى الذين كتبوا الأناجيل.

وتنسب المصادر المسيحية إلى يوحنا المعمدان أنه قال عن نفسه إنه مجرد مجهز وممهد لطريق الآتي بعده. الأعظم منه بكثير، حتى إنه لايستحق أن يحل رباط حذائه أي إنه لم يكن مستحقاً أن يكون خادماً له.

فهذه الشهادة أسست لأقوال يوحنا المعمدان بأن المسيح هو الإله حسب رأي التفسيرات المسيحية. فعندما ظهر المسيح وتعمد بالماء على يده بعد إصرار ملحّ رأى يوحنا المعمدان السماوات مفتوحة وروح الله نازلاً عليه وصوت الله من السماء

قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (مَتَّى ٣ : ١٧) وفي اليوم التالي أشار يوحنا إلى يسوع قائلاً: (هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم) و (الذي يعمد بالروح القدس و(هذا هو ابن الله) يوحنا ١ : ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٤. فبأي حق يقول النبي يحيى وهو نبي مرسل أن المسيح هو ابن الله؟ والكلام الذي ورد على لسان يحيى لم يشهد عليه أحد ولا المسيح نفسه. وإذا كان يحيى قد قال هذا الكلام فلا بُدَّ أن يكون قد قصد به معاني أخرى غير التي ظنها مفسرو الإنجيل وخاصة تلك التي تتعلق بادعاء الألوهية للمسيح.

وترى المصادر المسيحية أن مقدمة الإنجيل، حسب يوحنا، تصرح بأن المسيح إله فيقول: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. وقد نسب الرسول يوحنا وهو غير يوحنا المعمدان إلى المسيح أموراً لاتُنسب لغير الله. فالكلمة وسيلة للتعبير عن الفكر، وهي بالذات نسبة المسيح إلى الله، والكلمة تكشف عن فكرة معينة، والمسيح يكشف عن الله بالذات، فالمسيح جاء ليظهر الله للبشر. (الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر. ويرون أن أزلية المسيح في مضمون التعبير (في البدء) عند بدء خليقة العالم كان المسيح موجوداً.

فإذا رجعنا إلى الفلسفة اليونانية وجدنا هذا الكلام مبثوثاً فيها. وقد تناول مفهوم الكلمة كل من الفلاسفة اليونان: أفلاطون وأرسطو، وقالوا إن الكلمة ـ (اللوغس) كانت في البدء. ويبدو أن الذي دوّن إنجيل يوحَنَّا استعار كل شيء من تلك الفلسفة ليصدّر إنجيله إلى أصحاب الثقافة اليونانية آنذاك. أي بعد قرن من ولادة السيد المسيح.

وإذا كان الكلمة عند الله ثم إذا كانت الكلمة هي الله فما دخل المسيح بذلك. الكلمة وسيلة للتعبيرعن الفكر، وحسب المسيحية هي بالذات نسبة المسيح

إلى الله وهي تكشف عن فكرة معينة.

وإذا عدنا إلى النص القرآني نرى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فمن كان يعلم مافي علم الله من صنع للكون وخلق الإنسان؟ هذا من جانب ومن جانب آخر فالتوحيد الشرعي هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولاتشبه ذاته الذوات، ولاتشبه صفاته الصفات، ولايدخل أفعاله لاشتراك، وقيل التوحيد إثبات ذات غير مشبهة الذوات ولامعطلة بالصفات[١].

فهل هذا ينطبق على المسيح أم أرادوا أن يشركوه بالله؟ فيمنحوه صفات الله وذاتاً كذات الله.

ويرون أن المسيح يكشف عن الله بالذات، فالمسيح جاء، حسب رأيهم، ليظهر الله للبشر. وبمعنى آخر جاء المسيح كي يراه الناس مجسّداً لله سبحانه وتعالى كي يروا الله حقيقة.

وعندما ندرس قول إنجيل يوحنّا: الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، يرد في ذهننا أن هناك تناقضاً صارخاً فكيف كان الكلمة عند الله، وكيف كان الكلمة الله. ولو أخذت الجملتان على المعنى المجازي أو على المعنى الحرفي لظل التناقض صارخاً فاضحاً.

فكلمة عند تعني الظرفية المكانية، أما قوله كان الكلمة الله فهي استغراق وتكامل وتطابق بين الله والكلمة.

---

(١) المالكي اللقاني: جوهرة التوحيد ص ١٥.

وإذا أردت معرفة مايجب لله تعالى فواجبٌ له صفة نفسية هي الوجود الذاتي، بمعنى أنه وجد لذاته لا لعلة، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً، لوجوب افتقار العالم وكل جزء من أجزائه إليه تعالى، وكل من وجب افتقار العالم إليه لايكون وجوده إلا واجباً لا جائزاً وإلا لزم الدور أو التسلسل. والمراد بالصفة النفسية صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، ككون الجوهر جوهراً وذاتاً وشيئاً موجوداً[1].

لقد وضح يوحَنَّا أزلية المسيح في مضمون التعبير (في البدء) عند بدء خليقة العالم فكان المسيح موجوداً، وهذا يناقض كلياً قول الله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة، فلا المسيح كان موجوداً ولا آدم، فقرار الله سبحانه قراره وحده، وبعلمه المسبق أراد أن يخلق الإنسان الأول آدم عليه السلام.

وقد أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولادم ولاجوهر ولاعرض ولابذي لون ولاطعم ولا رائحة ولامجسّة ولابذي حرارة ولابرودة ولارطوبة ولايبوسة ولاطول ولاعرض ولاعمق ولااجتماع ولاافتراق لايتحرك ولايسكن ولايتبعض... وليس بمحدود ولاوالد ولامولود ولاتحيط به الأقدار ولاتحجبه الأستار ولاتدركه الحواس ولايقاس بالناس.

ثم يقولون: لم يزل سابقاً متقدماً للمحدثات موجوداً قبل المخلوقات... وأنه القديم وحده ولاقديم غيره ولاإله سواه ولاشريك له في ملكة[2].

وقد ورد في إنجيل برنابا الفصل السابع عشر مايدلل على وحدانية الله وعدم علاقة المسيح بها. (أجاب يسوع يافيلبس إن الله صلاح بدونه لاصلاح.

---

(١) اللقاني: شرح جوهرة التوحيد ص ٤٥.

(٢) عبد الرحمن بدوي. مذاهب الإسلاميين ص ٥٢.

إن الله موجود بدونه لاوجود. إن الله حياة بدونها لاأحياء، هو عظيم حتى يملأ الجميع، وهو في كل مكان هو وحده لاند له لابداية ولانهاية له ولكن جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية، لاأب ولاأم له لاأبناء ولا إخوة ولاعشراء له، ولما كان ليس لله جسم فهو لايأكل ولاينام ولايموت ولايمشي ولايتحرك ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشري لأنه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي) برنابا ١٧ : ٤ـ١٥.

وقد أجمع الأنبياء، وكذلك جميع العاقلين، بأن ظهور الله مستحيل في جسد البشر، وهذا مما تأباه العقول والفطر والشرائع وجميع النبوات، وهو ظهور ذات الرب في ناسوت مخلوق من مخلوقاته واتحاده به وامتزاجه واختلاطه، فهذا محال عقلاً وشرعاً، فلا يمكن أن تنطق به نبوة أصلاً بل جميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقة على أصول هي:

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لاشريك له في ملكه ولاند ولاضد ولاوزير ولامشير ولاظهير، ولاشافع إلا من بعد إذنه.

٢ ـ أنه لاوالد له ولا ولد ولاكفؤ ولانسيب بوجه من الوجوه ولازوجة.

٣ ـ أنه غني بذاته فلا يأكل ولايشرب ولايحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه.

٤ ـ أنه لايتغير ولاتعرض له الآفات من الهرم والمرض والسِّنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك.

٥ـ٦ ـ أنه لايماثل شيئاً من مخلوقاته، بل ليس كمثله شيء وأنه لايحل في شيء من مخلوقاته ولايحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه.

٧ ـ أنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شـيء وعـال علـى كل شيء وليس فوقه شيء البتة .

٨ ـ أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريده بل هو الفعال لما يريد .

٩ ـ أنه عالم بكل شيء يعلم السّر وأخفى ، ويعلم ماكان ومـايكون ، ومـالم يكن لو كان كيف كان يكون .

١٠ ـ أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات بـاختلاف اللغـات علـى تفنـن الحاجات .

١١ ـ أنه الشاهد الذي لايغيب ولايستخلف أحداً على تدبير ملكه .

١٢ ـ أنه الأبدي الباقي الذي لايضمحل ولايتلاشى ولايعدم ولايموت .

إلى آخر ماهنالك مما اتفق عليه في سائر النبوات .

وهذه الخصائص التي اختص بهـا اللـه وحـده دون سـائر المخلوقـات التـي خلقها تناقض كلياً ماجاءت به الأناجيل عن ألوهية المسيح .

ونلاحظ التناقض الصارخ في فهم المسيحية لهذه الألوهيـة ، فيوحَنَّا يقـول عن الله : قد جاء في الجسد ، ويرون أن على المسـيحي أن يـدرك أن المسيح لـم يكن مجرد رفيق الله الأزلي بل إنه هو الإله الأزلي بالذات ، وقـد استعمل يوحَنَّا كلمة جسد ليشير بصورة عامـة ، إلـى الطبيعـة البشـرية بمـا تتضمنـه مـن محدوديـة وضعف . فكيف يشير إلى الجسد ذي المحدودية والضعف ثم يقول إن الله يـأخذ وجوداً يشارك فيه الاختبار البشري العادي مع البشر .

وترى المصادر المسيحية أن الرسل قاموا بالمعجزات ، وهذا دليـل إضـافي على ألوهية المسيح ، فالمعجزة التي شفى بها بطرسُ الرجل الأعرج الواقف على باب الهيكل فعلها بطرس باسم المسيح ، إذ قال للرجل باسم يسوع النـاصري قـم

وامش) أعمال الرسل ٣ : ٦ . وبالفعل مشى الرجل وزالت علته، ولكن ذلك أغاظ زعماء اليهود الذين اعتقلوا بطرس ورفيقه يوحنَّا لمحاكمتهما، وفي معرض رد بطرس على اتهاماتهم واعتراضاتهم قال: إن كنا نُفصح اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شفي هذا فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الذي صلبتموه أنتم والذي أقامه الله من بين الأموات بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً) أعمال الرسل ٤ : ٩-١٠ .

والواقع أن المسيح بما آتاه الله من قوة في المعجزات، قادر على شفاء المرضى كما ورد ذلك في القرآن الكريم. وشفاء بطرس للمريض لايعني أنه باسم المسيح الرب شفاه إنما باسم المسيح النبي الذي منحه الله قوة المعجزة في شفاء المرض.

والجملة التي قالها بطرس لاتعني، بأي حال من الأحوال، ألوهية المسيح. فهو يصرح أن يسوع المسيح ذلك الذي صلبتموه. فكيف يكون الرب الشافي قد صلب وفاق. وهل يشفي بطرس المريض باسم الذي صلب ومات؟

ويرى المسيحيون أن قيامة المسيح من الأموات هي البرهان القاطع على طبيعته الإلهية، ويرون أن المسيح لم يكن موته وقيامته بغير إرادته، بل كانا في نطاق قوته وخياره الثابتين. فكيف يتم ذلك؟ هل يختار المسيح موته وأي إنسان يختار موته؟ بل أي إله يختار موتاً له والله منزه عن الموت ومن ناموس الله الجاري على المخلوقات.

إن المسيح لم يصلب ولم يمت ولم يقم من بين الأموات إنما رفعه الله إليه ووقاه شر اليهود والوثنيين.

ومع تطور فهم المسيحيين وجد بعض فلاسفتهم أن الحديث عن ألوهية المسيح يحتاج لتدخل الفلسفة. فيرى هيغل أنه إذا كانت الفلسفة تعرض المضمون

المطلق في صورة مطلقة وهي صورة الفكر الخالص، فإن المسيحية تعرض هذا المضمون نفسه في صورة حسية أو في فكر حسي، أعني على هيئة تمثل، المسيحية حسب هيغل هي دين الوحي أو الكشف. فهو الدين الذي يكشف فيه الإله عن نفسه.

ويحاول هيغل أن يبرهن على حقيقة المسيحية فيرى أنها ينبغي ألا تعتمد على المعجزات أو أية شواهد أخرى، والحقيقة الروحية خالدة وتعتمد على أساس من ذاتها فحسب.

من أطلق ألقاب المسيح وصفات الألوهية عليه

يدعي أصحاب الأناجيل، وكذلك اللاهوتيون أن المسيح اتخذ لنفسه كل الأسماء والألقاب التي ينسبها العهد القديم لله، وسمح للآخرين أيضاً أن يدعوه بنفس الأسماء والألقاب، ويقولون إنه امتلك اسم يهوه كما ورد في التوراة، واسم الله والرب والمخلص والملك والديان والنور والصخرة والفادي والرب برّنا الزوج (العريس) الراعي الخالق معطي الحياة غافر الخطايا. الرب شافينا. كلي الوجود، كلي العلم، كلي القدرة، الوجود السابق (الأزلي) السرمدية. الأزلية الأبدية، عدم التغيّر، وهو بذلك يستحق العبادة وله سلطان لإقامة نفسه من الأموات، والإنسان يكلمه كالله، ويسوع هو الاسم الذي يعني المخلِّص، ويرون أن ذلك مانسبه الملاك للمسيح عندما كشف حقيقة مجيئه لكل من يوسف ومريم، والمسيح يعني الممسوح من قبل الرب ومن ألقابه أيضاً السيد وغير ذلك من الألقاب.

فإذا كان المسيح قد امتلك أولاً اسم يهوه فإن ذلك يسيء جداً للمسيح. فيهوه حسب التوراة وحسب كلّ الدراسات الموثقة إله وثني يتجسد حسب تصور بني إسرائيل، وهو مزاجي الطبع غيور يكره البشر ويندم على فعله، وهناك آلاف الصفات والسمات السيئة التي يتمتع بها يهوه فكيف يقبل المسيح أن يوصف بأنه مثل يهوه أو يمتلك اسم يهوه.

وتطالعنا كثير من الدراسات اليهودية والمسيحية بالكثير من السخرية من يهوه باعتباره إلهاً قومياً خاصاً أو إلهاً قبلياً خاصاً. تورط في سفر التكوين بتدمير الأرض من خلال الطوفان ثم ندم على ذلك. وهو نفسه الذي تجسد عمود

سحاب وعمود نار في رحلة الخروج الموسوية. وهو الذي صارعه يعقوب فانصرع بيدَيْ يعقوب. ويهوه رب الجنود الذي قاد اليهود أو بني إسرائيل في مذابحهم الدموية التي تحدثت عنها التوراة.

والواقع أن المسيح نبي بعثه الله وأنزل عليه إنجيلاً ويدعو بني إسرائيل إلى العودة لطريق الحق يرفض تماماً أن يتمثل الإله التوراتي يهوه. ثم كيف يتمثله وهو نفسه أي المسيح جاء لينقض مافرضه يهوه على بني إسرائيل؟ ونعتقد أن الذين قالوا بأن المسيح امتلك اسم يهوه إما أنهم أرادوا أن يشوهوه أو أنهم أرادوا السخرية من عقيدته، أو أنهم يقصدون من ذلك تأليب اليهود المتعصبين عليه وعلى تعاليمه، على اعتبار أن يهوه إلههم الخاص جداً. ولايسمحون للمسيح أو غيره أن يتمثله أو يقترب منه.

أما اسم الله فإن من أغرب الأمور وأهجنها أن يطلق شخص ما على نفسه اسم الله، وكم من الأنبياء مرّوا في تاريخ البشرية خاصة في منطقة الشرق العربي ولم يجرؤ أحد على أن يطلق على نفسه اسم الله.

وقد كان اليهود يدركون وكذلك الذين كتبوا الأناجيل أن أكثر مايثير شهوة الحقد عند أصحاب العقائد والديانات، خاصة التوحيدية، هو ادعاء شخص ما بأنه الله أو إطلاق اسم الله عليه من قبل من كتبوا الأناجيل.

ونرى آيات القرآن الكريم وهي تتناول هذه المسألة بشكل واضح وصريح.

فالمسيح عليه السلام يؤكد أن الله هو ربه ورب العباد جميعاً.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤].

ويقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩ـ٨٠].

وقد جاء في إنجيل برنابا على لسان المسيح ، عليه السلام ، وكذلك على لسان أمه مريم مايثبت أن المسيح نبي ، وأن الله سبحانه لايشاركه أحد في ملكه وعظمته .

نرى مثلاً (فلما سمعت مريم هذا أجابت يابني إني نبئت بكل ذلك قبل أن تولد فلتمجد اسم الله القدوس) .

ويأتي أيضاً (فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف مافعل الله وماقال الله ومايريد الله) فصل ١٠ .

فالمسيح لم يكن يعرف مايريد الله من رسالة الإنجيل حتى نزل عيه فأدرك مهمته وماقاله الله سبحانه ومايريده .

وجاء على لسانه (تبارك اسم الله القدوس الذي من وجوده ورحمته أراد فخلق خلائقه ليمجدوه ، تبارك اسم الله القدوس الذي خلق نور جميع القديسين والأنبياء) .

ويقول تبارك اسم الله القدوس الذي خلق الملائكة ليخدموه ، وتبارك الله الذي قاصّ وخذل الشيطان وأتباعه الذين لم يسجدوا لمن أحب الله أن يُسجد له . تبارك اسم الله القدوس الذي خلق الإنسان من طين الأرض . .) الفصل ١٢ : ٨ ـ ١٠ إذاً فالله في نظر المسيح النبي هو الله ذاته في نظر أنبياء التوحيد جميعهم . الخالق الذي تنزه عن الخلق وصفاتهم البشرية .

وحين يطلقون على المسيح صفة الخالق فإنهم يتناسون من خلق المسيح .

ألم يبشر الملاك جبريل مريم بأن الله أمر أن تكون أماً لنبي اسمه المسيح. ألم تلد مريم هذا المسيح وكبر وشب مثلما يكبر ويشب غيره من الصغار؟

وهذا الخالق، حسب رأيهم، هو المدبر لشؤون السموات والأرض. والواقع أن ذلك يطرح لدينا تساؤلات.

فمن كان المُمْسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم. فهل بقيت السموات والأرض خلوا من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم، أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه ليربط نفسه على خشبة الصليب، وليذوق حر المسامير، وليوجب اللعنة على نفسه، حيث قال في التوراة: ملعون من تعلق بالصليب، أم تقولون كان هو المدبر لها في تلك الحال؟ فكيف وقد مات ودفن؟ أم تقولون لاندري ولكن هذا في الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة. فما الذي دلكم على إلهية المسيح؟ فإن كنتم استدللتم عليها بقبض أعدائه عليه وسوقه إلى خشبة الصليب وعلى رأسه تاج من الشوك، وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه، ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدُّوا يديه ورجليه بالحبال، وضربوا فيها المسامير وهو يستغيث، وتعلق ثم فاضت نفسه وأُودع ضريحه[1].

• المساواة المطلقة: وإضافة لقولهم إن المسيح عليه السلام هو الله المدبّر لشؤون السموات والأرض، يقولون بالصيغة المركبة للإله الذي يعبدونه، وهي تشير إلى الآب والابن في مساواة مطلقة، ويرون أن الآب والابن متحدان معاً لانفصال أو تفريق بينهما في وحدانية جوهرهما، ومع ذلك فإنهما يتمتعان باستقلال ذاتي، فبعض الأعمال تنسب للواحد دون الآخر.

وقد جاء في الرسالة إلى غلاطية (يسوع المسيح والله الآب وربنا يسوع

---

(١) ابن القيم. هداية الحيارى ص ٢٠٣.

المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، غلاطية ١ : ١ .

فهذا الكلام الذي يؤمن به المسيحيون يحوي من التناقض الصريح الكثير.

فتارة يوحّدون بين الله والمسيح وتارة يرون أن الله يتفرد بأعمال لايقوم بها المسيح ويقوم المسيح بأعمال لايقوم بها الله، وهذا حسب ماورد عندهم. ويردّ القرآن الكريم على من ادعى أن المسيح والله واحد. فبينت عشرات الآيات أن الله فرد صمد منزه عن الشريك ومنزه عما خلق وعمّن خلق.

يقول الله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١١-١٢].

فهل كان المسيح فاطر السموات والأرض. وهل خلق من أنفس البشر أزواجاً؟ وكيف تكون مقاليد السماوات والأرض بيد الله وبيد المسيح؟ أليس ذلك مدعاة لتوقف العقل عن استمرار النقاش في هذه المزاعم الكفرية؟

ويستند بعض مفسري العهد القديم على قول إشعيا النبي ويسقطون هذا القول على المسيح. فقد جاء في إشعياء (هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري).

صفات المسيح

يرى أصحاب المسيحية أن المسيح يمتلك صفات هي من النوع الذي لايمكن أن ينسب إلاّ لله وحده وهذه الخصائص هي:

١ ـ المسيح بلا خطية، فبطرس يقول أنت المسيح ابن الله الحي، ويقول عنه لم يفعل خطية ولاوجد معه مكر، ويقول بولس: (لم يعرف خطية). وكاتب

الرسالة إلى العبرانيين يقول في المسيح: (قدوس بلا شر ولادنس قد انفصل من الخطاة). ويرون أن المسيح يشير إلى نفسه بذلك بقوله: (لأني في كل حين أفعل مايرضيه. ويرون أن الكتاب المقدس لايسمح بأن تُضفى مثل هذه الصفات من الكمال على أي من خلائق الله[١].

ويرد المسيح على هذه الأقوال بقوله: إني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً وعليَّ أن أقدم لأجل هذا حساباً لعمر الله الذي نفسي واقفة في حضرته إني رجل فان، وكسائر الناس على أني وإن أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة خادم الله وأنتم شهداء على هذا، كيف أني أنكر على هؤلاء الأشرار الذين بعد انصرافي من العالم سيبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان[٢].

ثم يقول: ليكن ملعوناً كل من يدرج أقوالي أني ابن الله[٣].

فإذا كان الله سبحانه قد عصم بعض الأنبياء من الخطايا فليس ذلك مدعاة كي نؤلّههم، والله سبحانه عندما يصطفي أنبياءه يرعاهم بعنايته ويُربون تربية ربانية لايتدخل فيها البشر.

ونؤمن أن الأنبياء جميعاً لايفعلون إلا مايرضي الله سبحانه وتعالى، وقول المسيح عليه السلام: (لأني في كل حين أفعل مايرضيه) ينطبق على الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله سبحانه كافة ليكونوا أنبياءه يبلغون رسالته.

ثم عندما يقول كاتب رسالة العبرانيين إن المسيح قدوس بلا شر ولادنس فإنه لايمكن أن يكون النبي نبياً إلا إذا كان بلا شر وبلا دنس. ويقولون: قد انفصل عن الخطاة. فكل الأنبياء الذين تحدث عنهم القرآن وبعثوا لأقوامهم انفصلوا عن

---

(١) القس منيس عبد النور. هل تجسّد الله ص ٢١.

(٢) إنجيل برنابا الفصل الثاني والخمسون: ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥.

(٣) إنجيل برنابا الفصل الثاني والخمسون: ٣٦.

الخطاة، بمعنى أنهم لم يشاركوا هؤلاء الخطاة حياتهم، بل كانوا على النقيض منهم. ولننظر إلى سيرة نوح ولوط وهود وصالح وشعيب وبقية الأنبياء هل كان أحد منهم متصلاً بالخطاة أو أنهم انفصلوا بدينهم التوحيدي عن أقوامهم؟

إن الأنبياء موحى إليهم، ونؤمن أن من يتلقى رسالة الوحي لايمكن أن يشرع من عنده إنما هو منفذ لكلام الله ولأوامره ونواهيه.

وإذا كان عدم الخطيئة سبباً في تأليه المسيح عليه السلام فهذا يعني أن الأنبياء يستحقون أن يكونوا آلهة، وهذا مالايقره التوحيد ومالايقره الأنبياء جميعاً، أما الصفة الثانية التي يتميز بها المسيح، حسب قول الأناجيل، فهي الأزلية. ويستندون فيها على قول يوحَنَّا: في البدء كان الكلمة، ويرون أن المسيح في إنجيل يوحَنَّا يعلن عن أزليته فيقول عن نفسه: (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) يوحَنّا ٨ : ٥٨ ثم في صلاته الشفاعية صلى المسيح للآب (مجدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم) يوحنا ١٧ : ٥ لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم) العدد ٢٤. فهذه الأقوال إن صحت نسبتها للمسيح فهي لاتعني الأزلية؛ لأن الأزلية تعني أن المسيح موجود مع الله وسيبقى مع الله لايفنى وليس هو قابل للفناء.

والواقع أن الله سبحانه خلق آدم وحواء، ومن آدم تسلسلت البشرية، ولكن الله سبحانه يعلم أن من سيخلقهم سيكونون على شاكلة كذا وصفات كذا، ففي علمه المسبق يعلم وحده أن أنبياء سيبعثهم بصفات محددة ومهمات محددة.

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن أزلية الله نجدها تنفي نفياً قاطعاً مشاركة أحد لله في أزليته. فكيف يمكن أن يكون أحد مخلوقاته أزلياً مثله؟ وإذا عدنا لقول المسيح (الذي كان لي عندك قبل كون العالم) نفهمه على أن الله سبحانه رفع الأنبياء درجة ووضع لهم مكانتهم في علمه المسبق، وهذا ينطبق على الأنبياء كافة وليس على المسيح وحده.

وإذا كانت الأزلية صفة من صفات المسيح فأين هو بعد رفعه إلى السماء؟ هل يدري أحد أين المسيح الآن؟ وهل يستطيع البابا أو أي لاهوتي تحديد مكان المسيح الآن؟ هم يقولون إن المسيح في السماء، إنه بجانب الله، فهل هذا مثبت بالعقل أم مثبت بالمشاهدة؟

لننظر إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٣ــ٤] يقول ابن حزم معلقاً على قول اليعقوبية الذين يدعون أن المسيح تحول من حال إلى حال ومن وجود إلى وجود، وفي ميلاد المسيح إلهاً في صورة بشر معناه أن الله تحول من صورة إلى صورة.

ويتابع ابن حزم إن الاستحالة نقلة، والنقلة والاستحالة لا يوصف بهما الأول الذي لم يزل تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ولو كان كذلك لكان مخلوقاً، والمحدث يقتضي محدثاً خالقاً له. ويكفي من بطلان هذا القول دخوله في باب المحال والممتنع الذي أوجب العقل والحس بطلانه. وليس في باب المحال أعظم من أن يكون الذي لم يزل يعود محدثاً لم يكن ثم كان، وأن يصير غير المؤلف مؤلفاً.

ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء آب وابن وروح القدس. أخبرونا إذ هذه الثلاثة الأشياء لم تزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد، إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمّى آباً والثاني ابناً والثالث روح القدس، وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد، وإن كل واحد منها هو الآخر فالآب هو الابن والابن هو الآب، وهما روح القدس وليس روح القدس سواهما، وهذا عين التخليط وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه (سأجلس عن يمين آبي) إنجيل لوقا: ٢٢/ ٧٠.

وبقولهم إن القيامة لايعلمها إلا الآب وحده وأن الابن لايعلمها. فهذا يوجب أن الابن ليس هو الآب. وإن كانت الثلاثة متغايرة ـ وهم لايقولون بهذا فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص، به وجب أن ينحط عن درجة الأب، والنقص ليس من صفة الذي لم يزل مع مايدخل على من قال بهذا من وجوب أن تكون محدثة لحصر العدد وجري طبيعة النقص والزيادة فيها[١].

وادعى بعضهم أنه لما وجب أن يكون الباري تعالى حياً وعالماً وجب أن تكون له حياة وعلم، فحياته هي التي تسمى روح القدس، وعلمه هو الذي يسمى الابن، والواقع أن الباري تعالى لايوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولايصح لهم دليل لامن إنجيلهم ولامن غيره من الكتب ـ أن العلم يسمى ابناً ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه، وقد ادعى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم العالم يقال فيه إنه ابنه وهذا باطل ظاهر الكذب، لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الآب والابن وروح القدس لايختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية أو السريانية وغيرهما، فعبر عن معاني تلك الألفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الآب والابن وروح القدس، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر أو ادُّعي[٢]، وإن كانوا ممن يقولون بتسمية الباري عزَّ وجلَّ من طريق الاستدلال فقد أسقطوا صفة القدرة، إذ ليس الاستدلال على كونه عالماً بأصح ولا أولى من الاستدلال على كونه قادراً، لاسيما مع قول بولس، وهو عندهم فوق الأنبياء: (إن المسيح قدرة الله وعلمه تعالى)، وقال هذا النص في رسالته الأولى إلى أهل قونية، فليضيفوا إلى هذه

---

(١) ابن حزم الأندلسي، الفصل بين الملل والأهواء والنحل مجلد ١ ص ١١٢ـ١١٣.

(٢) المرجع السابق ص ١١٣.

الثلاث صفة رابعة وهي القدرة، وأخرى وهي السمع، وأخرى وهي البصر، وأخرى وهي الكلام، وأخرى وهي العقل، وأخرى وهي الحكمة، وأخرى وهي الجود، فإن قالوا القدرة هي الحياة قيل لهم والعلم هو الحياة.

فإن قالوا ليس العلم الحياة لأنه قد يكون حيٌ ليس عالماً كالمجنون، قيل لهم قد يكون حي ليس قادراً كالمغشي عليه ونحو ذلك فالقدرة ليست الحياة.

وأيضاً فإن كان الابن هو العلم وروح القدس هو الحياة فما بال إقحامهم المسيح، عليه السلام، في أنه الابن وروح القدس.

أترى المسيح هو حياة الله وعلمه؟ ومابال قول بعضهم إن مريم ولدت ابن الله؟ أتراها ولدت علم الله[1]؟

ويدرجون للمسيح، عليه السلام، صفة ثالثة، على اعتبار أنه الله، وهي أنه مصدر الحياة خالقها ومبدعها، ويحتجون على ذلك بقول الإنجيل: (فيه كانت الحياة) ١ : ٤ وقوله (أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي) ١٤ : ٦ وبقوله: (أنا هو القيامة والحياة) وعلى هذا فالمسيح هو الحياة الحقيقية ذاتها؛ فإذا كان المسيح عليه السلام هو مصدر الحياة فلماذا احتج على خالقه حسب الإنجيل الذي يقول بأنه قال حين وضعوه على خشبة الصليب (إلهي لماذا تركتني؟) وكيف يتوافق ذلك الكلام مع قولهم فاضت روحه، أو أسلم روحه. وهل يتوافق فقدان الروح مع بقاء الحياة؟

وفي قول يوحَنّا: (فيه كانت الحياة) لايعني أن المسيح قال ذلك. فالكلام ليوحَنّا أو لكاتب الإنجيل، وهذا على الوصف وليس الإقرار الشخصي.

أما قوله على لسان المسيح: (أنا هو الطريق) إلى آخر الفقرة. فهذا موجود

---

(١) المرجع السابق ص ١١٤.

لدى الأنبياء جميعاً، إذ المعنى أن دعوته هي الطريق إلى الله والطريق إلى الحق والحياة، ومامعنى وجود الإنسان بدون إيمان بالله؟ هل تسمى حياته حياة إذا كان ملحداً أو كافراً؟ وقد وصف الله سبحانه هذا الصنف من المخلوقات بأنهم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً.

وحسب قول الأناجيل فإن المسيح قد صلب وفقد روحه ودفن في قبر صخري. فكيف يكون المسيح هو الحياة نفسها أو واهب الحياة بينما هو لم يستطع أن يهب لنفسه الحياة حين علق على الصليب وفاضت روحه؟ فإذا كان المسيح هو الحياة نفسها فلا يمكن أن يصلب ويموت ثم يقوم من بين الأموات. إن الحياة كماهية لاتخضع لمفهوم مادي حتماً، ولا لميزان دنيوي ولا لنواميس المادة. ومن الصفات التي يطلقها أصحاب الأناجيل وكذلك الذين يُدعون رسلاً صفة الثبات المطلق وعدم التغير. فالرسالة إلى العبرانيين تقول: (يسوع المسيح هو هو أمسِ واليوم وإلى الأبد ويرون أيضاً في الرسالة مايوحي إلى ذلك كقولهم: (وأنتَ يارب إشارة إلى المسيح) في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى) ١ : ١٠-١٢.

فما المقصود بالتغيّر؟ إن كان التغير بشرياً فالمسيح ولد من رحم أم وأرضعته أمه حتى تكلم، ثم صار غلاماً وفتى ثم صار شاباً ثم رجلاً فتياً. كان لايملك أن يتحكم بنفسه حين يريد قضاء حاجته، يبكي حين يجوع. كان صوته رفيعاً، ولما بلغ سن الرشد ثخن صوته ليصير كصوت الرجال. صار يمشي وحده بعدما كان لايستطيع إلا الحبو. وهكذا فإنه تغير وتغيرت حاله في كل يوم وكل سنة، وليس المسيح هو هو وقد شهد عليه تلاميذه وكل من عاصره عن قرب أنه كان يتغير من حال إلى حال كلما تقدمت به السنّ. وإذا كان المسيح قد بقي على حاله باعتبار أنه

إله حسب زعم من قال ذلك. فإن الله وحده هو الثابت الذي لايتغير إلـه لاتـأخذه سنة ولانوم، والمسيح كان ينام. والمسيح لم يخلق سماوات ولا أرضاً وليس بقادر على أن يخلق شيئاً.

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد جاء في إنجيل برنابا رد المسيح على من ادعى أنه إله بقوله:

(حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت وقال: إنكم لقد ضللتم ضـلالاً عظيماً أيها الإسرائيلون لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان وإني أخشى لهذا أن ينزل اللـه بالمدينة المقدسة وبـاء شـديداً مسلّماً إياهـا لاستعباد الغربـاء. لعـن الشيطان الـذي أغراكم بهذا ألف لعنة).

ولما قال يسوع هذا صفـع وجهـه بكلتـا كفيـه فحـدث على إثـر ذلـك نحيب شديد حتى لم يسمع أحد ماقال يسوع، فرفع من ثم يده مرة أخرى إيمـاء للصمـت ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى (أشهد أمام السـماء وأشـهد كـل شـيء علـى الأرض أني بـريء مـن كـل مـاقد قلتـم لأنـي إنسـان مولـود مـن امـرأة فانية بشـرية وعرضة لحكم الله. مكابد شقاء الأكل والمنـام وشـقاء الـبرد والحـر كسـائر البشـر؛ لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامي كحسام يخترق كل مـن يؤمـن بـأني أعظـم من إنسان) برنابا الفصل ٩٣: ١-١١.

ومرة أخرى يقول: أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام.

فالمسيح عليه السلام بشر كسائر البشـر معـرض للشـقاء والـبرد والحـر، فهـو

متغير الأحوال حسب تغير ظروف الحياة، وهذا هو القول الحق وليس ماقاله أدعياء الألوهية.

ومن الصفات التي نسبوها للمسيح عليه السلام القدرة المطلقة على كل شيء فيقولون: لم يتردد المسيح مطلقاً في الكشف عما لديه من قدرة في الوقت المناسب. وينسبون له قولاً: (دُفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض) مَتَّى ٢٨ : ١٨.

ويقول بولس مدعياً أنه أوحي إليه من الله: (وأخضع الآب كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة).

يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

فلو كان المسيح كلي القدرة لاستطاع أن يمنع الصلب والموت لنفسه حسب ماقالت به الأناجيل.

ويرد في إنجيل برنابا:

(فقال يسوع إنه مكتوب هناك أن الله لايُرى وأنه محجوب عن عقل الإنسان لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير.

إنه مكتوب هناك كيف أن سماء السموات لاتسعه لأن إلهنا غير محدود.

إنه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة لأنه لايأكل ولاينام ولايعتريه نقص.
إنه مكتوب هناك أن إلهنا في كل مكان وأن لاإله سواه الذي يضرب ويشفي ويفعل كل مايريد.

ثم يقول: فإني بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الأرض وفانٍ كسائر البشر وإن كان لي بداية سيكون لي نهاية وإني لاأقدر أن أبتدع خلق ذبابة) برنابا الفصل الخامس والستون ٩ـ٢٠ .

وحين نرى معجزات المسيح عليه السلام جميعا . نلحظ إرجاعه إياها إلى إذن الله كإحياء الموتى وإشفاء الأبرص وما إلى ذلك من معجزات .

ومن الصفات التي يطلقونها على المسيح عليه السلام العلم المطلق بكل بشيء .

فيرون أن الإنجيل يكشف لنا حقيقة علم المسيح بما يجري في عقول البشر وأفئدتهم .

وقد جاء في إنجيل يوحَنّا : (لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع ، ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ماكان في الإنسان) ٢ : ٢٤ـ٢٥ .

وورد في رسالة بولس إلى كولوسي (المدَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم . وقال المسيح عن نفسه وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن) متَّى ١١ : ٢٧ فيرون أن مايكشف عنه المسيح هنا هو في غاية الأهمية . فهو يفهمنا الحقيقة الأساسية في ألوهيته ، وهي أن ذاته وكيانه اللاهوتيين هما على درجة شاهقة من العظمة حتى إنه لايمكن لغير الله نفسه استيعابها[١] .

ففي القول الأول لم يأتمنهم على نفسه : هذه الصفة صفة بشرية ولو كان المسيح هو الله لما خضع لناموس الائتمان أوعدمه . فكيف يكون المسيح هو الله ويخاف غيره من البشر والمخلوقات؟ . أما قول بولس فهو مردود عليه لما فيه من إشكالات . وإذا كان المسيح ، عليه السلام ، ذا علم مطلق بكل شيء فهل كان يعلم أنه سيولد من عذراء ، وهل كان يعلم ماستؤول إليه الأمور عندما كان عمره

---

(١) القس منيس عبد النور . هل تجسد الله ص ٢٣ـ٢٤ .

بضع سنوات؟ فالعلم المطلق صفة الله الواحد الذي ليس كمثله شيء. قد يكون المسيح عليه السلام يعلم بعض العلم وليس العلم المطلق، كعلمه بالذين سينحرفون عن عقيدته والذين يؤلهونه أو يجعلونه ابن الله وهذه مسائل ترتبط بالتحذير الذي حذره المسيح أتباعه من الانحراف عن عقيدته. أما العلم المطلق فأمره إلى الله وحده.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد وردت عبارات في الأناجيل تدل على أن المسيح لايمتلك العلم المطلق، ففي الباب السابع من إنجيل يوحنّا أن المسيح قال: (ليس علمي لي لكن للذي بعثني) وجاءت هذه الجملة في النص التالي: ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلّم فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتكلم. أجابهم يسوع: (تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني) يوحنا ٧: ١٤ـ١٧ وفي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا أيضاً (أن المسيح قال لهم لو أحببتموني لفرحتم بمسيري إلى الآب لأن الآب أكبر مني) يوحنّا ١٤/ ٣٨ فكيف يجتمع هذا الكلام مع قولهم بأن المسيح مساوٍ لله من حيث القدرة والعلم المطلق؟

ويطلقون على المسيح صفة الوجود الكلي الذي لايحده مكان ولا زمان.

ويرون أنه على الرغم من تجسده ووجوده على الأرض بين البشر فإن صلته الوثيقة ولحمته الحميمة مع الله بقيت دون تغيير أو تحوير، فعند تجسده لم يكن يعبر عن مجرد علاقته السابقة بالله، أي إنه كان مع الله بل إنه بقي أيضاً مع الله. ويستندون على قول يوحنّا في قوله: (في البدء كان الكلمة) (أي المسيح) التي وردت في إنجيل يوحنا الحالي (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هكذا في البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان،

فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس) يوحَنَّا ١ : ١-٥ فكيف تكون الكلمة هي الله وتكون عند الله. فالله إذاً كان عند نفسه. ثم قوله إن الذي خلق بالكلمة هو حياة فيها. فعلى هذا حياة الله مخلوقة، فروح القدس على نص كلام يوحَنّا مخلوق. لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله، وهذا بخلاف جميع قول النصارى، لأن الحياة التي في الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحَنّا. والله تعالى، بنص كلام يوحَنّا هو الكلمة، وهذا تناقض صارخ وهدم للعقيدة النصرانية.

وإذا كانت حياة الكلمة مخلوقة والكلمة هو الله فالله هو حاملٌ لأعراض مخلوقة فيه.

وعلى هذا فعندهم أن الكلمة كانت بشراً مع قوله الكلمة هي الله فالله بشر على نص كلام يوحَنّا[١].

وفي إنجيل مَتَّى يقول: (حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم) مَتَّى ١٨ : ٢٠.

فالخطاب موجه لتلاميذه. وتلاميذه سألوه أن يجيبهم من دعوة إلى مادعوه إليه من دينهم، وأن يُخلص من فُتن من أصحابهم. فما أعطاهم شيئاً من ذلك الذي أسماه أباه السماوي، فإن قيل: لم يسألوه قط شيئاً من ذلك فهم إذاً غاشّون للناس غير مريدين لصلاحهم، بل ساعون في هلاكهم. وهذه منزلة ماأعطاها الله تعالى أحداً من خلقه.

ويورد مَتَّى قول المسيح: (هاأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر) مَتَّى ٢٨ : ٢٠.

وإنجيل مرقص يقول: إن المسيح قال: (السموات والأرض تذهب وكلامي لايبيد أبداً ومن ذلك اليوم وتلك الساعة لايعلم أحد مابعده ولا الملائكة في السماء

---

(١) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ١٦١.

ولا ابن الإنسان ماعدا الآب) مرقص الفقرات ٣١-٣٣ .

فكيف لايبيد كلامه أبداً بينما لايعلم أحد مابعده حتى هو؟ فهذا الكلام يوجب ضرورة أن المسيح هو غير الله تعالى لأنه أخبر هاهنا شيئاً يعلمه الله ولايعلمه هو ، وإذا كان بنص أناجيلهم أن الأبن لايعلم متى الساعة والآب يعلم متى هي فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الآب ، وإذا كان كذلك فهما اثنان متغايران أحدهما يجهل مالايجهله الآخر . وهذا يناقض أن يكون هناك إلاهان أحدهما ناقص ، فصح ضرورة أن من هو غير الله تعالى فهو مخلوق مربوب[1] .

وقد استندوا إلى تلفيقات اليهودي بولس ومؤامرته على المسيح حين استندوا على قول له يقول فيه : (ملء الذي يملأ الكل في الكل) أفسس ١ : ٢٣ فهذا من فلسفة بولس ودينه المسيحي المبتدع وليس من النصرانية الحقة مطلقاً ويمنحون المسيح صفة الخلق باعتباره خالق كل شيء ، أي باعتباره الله ، فحسب يوحَنَّا كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . وفي قول آخر : (كوّن العالم به) ويرددون أن ماأوحى به الروح القدس عبر كتابة الرسول بولس ليس أقل شأناً في الشهادة للمسيح الخالق فإن فيه (في المسيح خلق الكل . مافي السماوات وما على الأرض مايُرى ومالا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق . الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل ، كولوسي ١ : ١٦-١٧ ويفترضون أن أنبياء العهد القديم قد سبق وقالوه عن المسيح القادم إلى العالم فحسب العهد القديم (وأنت يارب في البدء أسست الأرض ، والسماوات هي عمل يديك وهي تبيد وأنت تبقى) فيرون أن المقصود بذلك هو المسيح .

فما ورد من أقوال يستند إليها المسيحيون ، وخاصة البروتستانت ، فيغالون كثيراً تأكيداً على إيمانهم بيهودية بولس وبقية الذين اخترعوا المسيحية الغربية .

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٠ .

ولعل من أشر أنواع المغالاة مايقوله بعض المفكرين المسيحيين في المسيح فيقول: (يخبرنا الكتاب المقدس أن المسيح هو خالق الكون بأسره. ماهو منظور وماهو غير منظور، هذا لايتضمن فقط مافي الكون الطبيعي والمادي من شموس ونجوم لاتحصى بل أيضاً جميع أنواع الحياة الشخصية بما في ذلك الملائكة والبشر. الجميع مدينون له بوجودهم، وهو يشرف على كلّ أرجاء الكون حامياً له من التفكك والانحلال والخراب. وتفيدنا كلمة الله أن المسيح هو مصدر كل الأشياء مايرى ومالايُرى وهو الغاية النهائية لكل الخليقة. إذن ليس المسيح هو خالق كل الأشياء فقط بل إنها جميعاً خلقت لأجله هو فهو الآخِر كما هو الأول وهو النهاية كما هو البداية[1].

فإذا كان المسيح خلق كل شيء فهذا يعني أنه خلق الشيطان أيضاً. فكيف يمكن أن يكون قد خلق الشيطان، وفي نفس الوقت يقوم الشيطان بتجريب المسيح وامتحانه في موقف من أغرب المواقف. فقد ورد في إنجيل مَتَّى (ثم سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس، فصام أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى جاع فدنا منه المجرب (إبليس) وقال له: إن كنت ابن الله فمرْ أن تصير هذه الحجارة أرغفة) مَتَّى ٤ : ١-٤.

فإذا كانت مهمة إبليس هي تجريب المسيح فكيف يصح أن يجرّب المخلوق الخالق؟

ثم إذا كان المسيح قد خلق الملائكة ومن ضمنها جبريل الذي بشر مريم بحملها بالمسيح، فكيف يبشر جبرائيل بغلام زكي وفي نفس الوقت يكون جبريل مخلوقاً من قبل هذا المسيح؟

ويأتي في إنجيل مَتَّى: (فمضى به إبليس إلى المدينة المقدسة وأقامه على شرفة الهيكل) إبليس المخلوق يمضي بخالقه يجره من يده ثم يصعد به إلى المدينة المقدسة

---

(١) القس منيس عبد النور. هل تجسد الله ٢٦-٢٧.

ويقيمه على شرفة الهيكل، كيف يصح ذلك؟ إن العقل يرفض هذا التخريف.

ويأتي في إنجيل مَتَّى: (فقال له يسوع أيضاً لاتجربن الرب إلهك) فهل يجرؤ مخلوق على أن يجرب ربه وخالقه، أليس ذلك كفراً بعينه.

ويأتي في مَتَّى: (ثم مضى به إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها، وقال له أعطيك هذا كله إن جثوت لي ساجداً فقال له يسوع اذهب ياشيطان فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد).

فلنتصور هذا الإله الخالق يعرض عليه مخلوقه وهو إبليس أن يعطيه مال الدنيا مقابل أن يسجد له. فهل كان الشيطان غبياً حتى يعرض على إلهه وخالقه مَنْحه أرضاً وملكاً. لقد كان الشيطان يعرف أن المسيح بشر وليس إلهاً.

وإذا كانت القصة هذه صحيحة أو لو كان الشيطان قد تعرض فعلاً للمسيح ليجربه فإن ذلك يعني الصراع بين إبليس وبين النبي عيسى عليه السلام وليس بين الشيطان والله.

لننظر موقف إبليس تجاه الله في الآيات القرآنية الكريمة الآتية.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٥].

ويقول الله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٧٣-٨٣].

فهذا هو الشيطان الذي يقسم بعزة الله أنه سيفعل كذا وكذا. فكم هو صغير مَهينٌ أمام الخالق. فكيف يُعقل أن يمتحن هذا الشيطان ربه؟ أليس ذلك مدعاة للكفر أولاً وللعجب ثانياً والسخرية ثالثاً من عقول ألفت الاعوجاج والتحريف؟

وعندما يقول اللاهوتيون: هذا لايتضمن فقط مافي الكون الطبيعي والمادي من شموس ونجوم لاتحصى بل أيضاً جميع أنواع الحياة الشخصية بما في ذلك الملائكة والبشر. الجميع مدينون له بوجودهم.

فالمسيح حسب هذه النظرة الانحرافية الإشراكية خالق الملائكة والجن والبشر، والمسيح لم يصرح أنه خلق الملائكة، لكن الذين حرفوا النصرانية عن طريقها أرادوا أن ينسبوا له خلْق الملائكة والجن والعالم غير المرئي.

لننظر إلى قصة الخلق كما وردت في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ

﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٢].

فهل كان المسيح مع الله عندما جرى هذا الحوار بين الله سبحانه وملائكته؟ فالقرار الإلهي بخلق آدم قرار خاص به. وفي ذاك الزمن المطلق الذي لايعلمه أحد يقرر سبحانه أن يجعل خليفة في الأرض. وهذا الخليفة هو آدم وذريته والمسيح عليه السلام هو واحد من تلك الذرية. فكيف يقولون إن المسيح خلق الملائكة؟ وكذلك الجن والشياطين وما إلى ذلك؟

وعودة إلى إبليس الذي أوردت الأناجيل أنه جاء ليجرب المسيح. بينما المسيح هو خالقه.

يقول ابن حزم: في هذا الفصل عجائب لم يسمع بأطم منها:

أولها إقرار الصادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح عليه السلام مرة إلى جبل منيف وانقاد له ومضى معه. وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة ببيت المقدس، فما تراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده، ولايخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً. فما تراه إلا منصرفاً تحت حكم الشيطان وهذه والله منزلة رذلة جداً. أو يكون قاده كرهاً فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المس، وحاشا للأنبياء من كلتا الصفتين، فكيف إله وابن إله بزعمهم وماسمع قط بأحمق من هذا الهوس. كيف يطمع إبليس عند هؤلاء في أن يسجد له خالقه وفي أن يعبده ربه وفي أن يخضع له من فيه روح اللاهوت، أم كيف يدعو إبليس ربه وإلاهه إلى أن يعبده. ثم كيف يمنّي إبليس رب الدنيا وخالقها وخالقه ومالكها ومالكه وإلهها وإلهه في أن يملكه زينة الدنيا؟ فإن قالوا إنما دعا الناسوت وحده وإيّاه عنى إبليس قلنا فإن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً. والمسيح عندكم إله معبود. وقد قلتم ههنا إن إبليس قاد المسيح فانقادله المسيح ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له. ومنّاه إبليس

بملك الدنيا وقال للمسيح وقال له المسيح. أو قال ليسوع وقال له يسوع. وعلى قولكم إنه إنما خاطب الناسوت وحده فإنما دعا نصف المسيح ونصف يسوع، وإنما منّى بزينة الدنيا نصف المسيح فقد كذب لوقا ومَتَّى على كل حال، ويوجب أن إبليس إنما دعا اللاهوت لأنه قال له: إن كنت ابن الله فافعل كذا. ولو لم يكن في الأناجيل إلا هذا الفصل وحده لكفى فكيف وله فيها نظائر جمة؟

وإذا نظرنا في الفصل الحادي والخمسين من إنجيل برنابا وجدنا أن المسيح، عليه السلام، يعطف على الشيطان ويحاول أن يتوسط له عند الله، سبحانه، كي يعود عن كفره وتكبره يقول: (بعد أن صلى للرب جاء تلاميذه إليه وقالوا. يامعلم نحب أن نعرف شيئين أحدهما كيف كلمت الشيطان وأنت تقول عنه مع ذلك إنه غير تائب) والآخر كيف يأتي الله ليدين في يوم الدينونة؟ أجاب يسوع: (الحق أقول لكم إني عطفت على الشيطان لما علمت بسقوطه، وعطفت على الجنس البشري الذي يفتنه ليخطئ، لذلك صليت وصمت لإلهنا الذي كلمني بواسطة ملاكه جبريل: ماذا تطلب يايسوع وماهو سؤلك أجبت يارب أنت تعلم أي شر كان الشيطان سببه وأنه بواسطة فتنته يهلك كثيرون وهو خليقتك، يارب الذي خلقت فارحمه يارب. أجاب الله يايسوع أنظر فإني أصفح عنه فاحمله على أن يقول فقط أيها الرب إلهي لقد أخطأت فارحمني فأصفح عنه وأعيده إلى حاله الأولى، قال يسوع لما سمعت هذا سررت جداً موقناً أني قدفعلت هذا الصلح، لذلك دعوت الشيطان فأتى قائلاً ماذا يجب أن أفعل يايسوع؟ أجبت إنك تفعل لنفسك أيها الشيطان لأني لاأحب خدمتك وإنها دعوتك لما فيه صلاحك. أجاب الشيطان إذا كنت لاتود خدمتي فإني لاأود خدمتك لأني أشرف منك فأنت لست أهلاً لأن تخدعني أنت يامن هو طين أما أنا فروح.

فقلت لنترك هذا وقل لي أليس حسناً أن تعود إلى جمالك الأول وحالك

الأولى، وأنت تعلم أن الملاك ميخائيل سيضربك في يوم الدينونة بسيف الله مئة ضربة وسينالك من كل ضربة عذاب عشر جحيمات. أجاب الشيطان سنرى في ذلك اليوم أينا أكثر فعلاً فإنه سيكون لي أنصار كثيرون من الملائكة ومن أشد عبدة الأوثان قوة الذين يزعجون الله. وسيعلم أي غلطة عظيمة ارتكب بطردي من أجل طينة نجسة. حينئذ قلت أيها الشيطان إنك سخيف العقل فلا تعلم ماأنت قائل. فهز حينئذ الشيطان رأسه ساخراً وقال: تعال الآن ولتتم هذه المصالحة بيني وبين الله، وقل أنت يايسوع مايجب فعله لأنك أنت صحيح العقل، أجبت. يجب التكلم بكلمتين فقط، أجاب الشيطان: وماهما؟ أجبت: هما أخطأت فارحمني. فقال الشيطان: إني بمسرة أقبل هذه المصالحة إذا قال الله هاتين الكلمتين لي. فقلت انصرف عني الآن أيها اللعين لأنك الأثيم المنشىء لكل ظلم وخطيئة، ولكن الله عادل منزّه عن الخطايا فانصرف الشيطان مولولاً وقال: إن الأمر ليس كذلك يايسوع ولكنك تكذب لترضي الله. قال يسوع لتلاميذه: انظروا الآن أنَّى يجد رحمة) برنابا ٥١ : ١ـ٣٨ ويمنحون المسيح عليه السلام صفة السلطان والحق في مغفرة الخطايا.

فيرون أن المسيح عندما شفى المفلوج وغفر له خطاياه تململ الكتبة متسائلين في سرهم (لماذا يتكلم هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟ لكن يسوع عرف مافي قلوبهم وبادرهم قائلاً: ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا) مرقص ٢ : ١٠.

ويرى أصحاب اللاهوت بقولهم: (وهكذا نرى أن المسيح يربط بين صلاحيته لمغفرة خطايا البشر وقدرته الإلهية على شفاء أمراضهم).

ويقول بطرس مبشر الأمم: (له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا) أعمال الرسل ١ـ٤٣.

ويقرون أن المسيح يغفر الخطايا على اعتبار أنه الله أو هو والله واحد.

فإذا كان المسيح يغفر الخطايا فهل غفر للفريسيين اليهود والكتبة خطاياهم. لماذا يهاجمهم ويصفهم بأولاد الأفاعي هل غفر المسيح خطيئة اليهود والرومان الوثنيين عندما صلبوه وعذبوه وقتلوه حسب زعمهم؟

إن المسيح عليه السلام نبي من الأنبياء لايملك أن يغفر أو لايغفر الخطايا. قد يتسامح النبي ويصفح عمن أساء إليه شخصياً. وهذه صفة الأنبياء وأخلاقهم أما أنه يغفر الخطايا، فالله وحده الذي يغفرها، وخاصة التي تتعلق، كما يقال، بحق الله والدين على الإنسان.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨].

وقد بنى اللاهوتيون المسيحيون على فكرة أن المسيح يغفر الخطايا أساساً لغفران الخطايا من وكلاء المسيح على الأرض كما يقولون. فالبابا ممثل المسيح على الأرض وهو قادر على أن يغفر خطايا من يريد ويكفّر من يريد.

يقول ابن القيم: وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حدٌّ في الدنيا أبدا ولاعذاب في الآخرة؛ لأن القس أو الراهب يغفره لهم. فكلما أذنب أحدهم ذنباً أهدى للقس هدية أو أعطاه درهماً أوغيره ليغفر له به، وإذا زنت امرأة أحدهم بيّتها عند القس ليطيبها له فإذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيّبها قبل ذلك منها وتبرك به[(١)].

ولعلنا نتذكر جميعاً صكوك الغفران التي أصدرها أحد البابوات في الحملات الصليبية على بلاد العرب. وقد بلغت أثمان هذه الصكوك مبلغاً ملفتاً

---

(١) ابن القيم الجوزية هداية الحيارى صفحة ١٩٥.

للنظر. وأصبحت تجارة رابحة لكثير من البابوات الذين كانوا مفلسين ثم صاروا من أغنى الأشخاص في عصورهم.

ويرتبط بمفهوم غفران الخطايا مفهوم الشفاعة. فبينما ينكر البروتستانت كلية الشفاعة سواء بالعذراء أو الملائكة أوالقديسين، ويرون أن المسيح هو الشفيع وحده عند الآب. ويرى الأرثوذكس أن القديسين والعذراء وكذلك الملائكة يشفعون للمخطئين.

ويعتمد البروتستانت على قول يوحَنّا: (لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار) يوحنا ٢ : ١، وأيضاً على قول بولس، لإنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح. أما الأرثوذكس فيرون أن السيد المسيح يشفع في مغفرة خطايانا باعتباره الكفارة التي نابت عنا في دفع ثمن الخطيئة. وهكذا يقف وسيطاً بين الله والناس، بل إنه، حسب زعمهم، الوسيط الوحيد الذي وقف بين الله والناس، أعطى الآب حقه في العدل الإلهي، وأعطى الناس المغفرة بأن مات عنهم كفارة عن خطاياهم[1].

وهذا الكلام الذي يقره المسيحيون الأرثوذكس نفهم منه أن المسيح، عليه السلام، ليس الله إنما هو واسطة بين الله والناس ليشفع لهم، ولو كان المسيح هو الله ذاته لانتفى كونه وسيطاً؛ لأن الله لايحتاج إلى وسطاء. الله خلق البشر ويعرف مايسرون ومايعلنون وله الشفاعة والمغفرة. ولايشفع أحد من الأنبياء ولا الملائكة لأحد عند رب العالمين إلا بإذنه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ويصل الأمر مبلغاً كبيراً في مفهوم الشفاعة عند بعض المسيحيين إذ يرون أن القساوسة والرهبان يستطيعون أن يشفعوا لمرتكبي الخطايا على اعتبار أنهم نوّاب المسيح، عليه السلام.

---

(١) البابا شنوده الثالث، اللاهوت المقارن ص ٦٦.

المسيح بالرمز والتجسيد والتصوير

دوماً يقول المسيحيون إن الصور التي رسمت للمسيح والعذراء والملائكة هي صور ورسوم جسمانية. أي إنها تمثل الجانب الناسوتي من المسيح.

فمن صفات الله أنه محجوب غير محدود يَرى ولايُرى إلى آخر ماهنالك من الصفات الإلهية. لكن الكنائس وبعض الأديرة تصور المسيح، عليه السلام، بعدة هيئات وصفات، فمرة تصوره وهوطفل تحفه الملائكة وهو في حضن أمه. وتارة يصور وهو يطعن التنين، ويكتبون تحت الصورة: يسوع الناصري، وفي كنائس أوروبا آلاف من الصور والرموز التي ترمز للسيد المسيح.

فإذا كان الله محجوباً وغير محدود فيعني أن الصور التي ترمز للمسيح لاترمز لله مطلقاً بل ترمز لنبي ورسول. فإن قالوا إن الصور تمثل الجانب الناسوتي من المسيح قلنا إذاً لماذا تقدم القرابين والشعائر والعبادات والطقوس لهذه الصور؟

وعلى الرغم من أن كنيسة الفاتيكان الرئيسية تعتبر الصور فيها والرسوم من الفن الرفيع حسب رؤية الغربيين، إلا أن الكاثوليك لايضعون تماثيل في كنائسهم بل يعتبرون ذلك ضد الوصية التي يقول فيها الرب: (لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً ولاصورة ما مما في السماء من فوق ومافي الأرض من تحت، ومافي الماء من تحت الأرض، ولاتجسد لهن ولا تعبدهن) خروج ٢٠ : ٤ـ٥ وهذا بالطبع يرد في التوراة وليس في الإنجيل.

وقد قامت حرب ضد الأيقونات في القرن الثامن الميلادي من سنة ٧٢٦م أيام الإمبراطور ليو الثالث واستمرت بضعة قرون، وهدأت ثم عادت مرة أخرى في البروتستانتيه منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر، واستمرت في معتقداتهم حتى الآن. والمتطرفون البروتستانت يعتبرون الأيقونات من بقايا الوثنية.

أما الأرثوذكس فيكرمون الأيقونات ويقبلونها، ويوقدون الشموع ويسجدون أمامها، لكنهم يقولون: نحن لانعبد الصور ولا الأيقونات وإنما نكرمها، وفي ذلك نكرم أصحابها. ويرون أنهم حينما يسجدون للصليب (فإنما نسجد للمصلوب عليه). ويقولون أن الأيقونات ترجع إلى عصر القديس لوقا حيث إنه كان رساماً، وقد رسم صورة أو أكثر للسيدة العذراء مريم.

ويبدو أن عَوَامّ المسيحيين قد حولوا العبادة إلى عبادة وثنية دون أن يدركوا أنّ تجسيد المسيح وتصويره يناقض تماماً فكرتهم عن الإله.

ويدافعون عن فكرتهم في تكريم الأيقونات؛ الصور والتماثيل وماشابه، باستنادهم على أقوال وردت في التوراة. كأمر الرب لموسى بأن يصنع ثعباناً من نحاس ويضعه ليرمز إلى معجزة الله، وكوضع تماثيل من قبل النبي سليمان في الهيكل.

ولعل هذا الاستناد على العهد القديم يبين مرة أخرى أن اليهودية استطاعت أن تجعل من العقيدة المسيحية عقيدة تابعة، وليست أصلية على الرغم مما طرأ عليها من تحريفات وتطور.

ويرد تصور المسيحية في رؤية المذهب الأرثوذكسي حيث يفسر الكهنوت الأرثوذكسي مشروعية الأيقونات وحكمة الكنيسة في وجودها.

ماذا كان هدف الرب من صنع الصور والتماثيل الذي ورد في العهد القديم؟ يقولون إن الهدف واضح وهو قول الرب لاتسجد لهن ولاتعبدهن، فإن كان الغرض

بعيداً تماماً عن العبادة لاتكون الوصية قد كسرت. ولاشك أن هذا المنع في الوصايا العشر كان في عصر انتشرت فيه الوثنية، وكان هناك خوف على المؤمنين منها حتى إنه كان من الممنوع نحت أي حجر حتى في البناء العادي وحتى في تشييد المذابح.

ونحن نرى أن الله الذي أمر بعدم نحت أية صورة أو تمثال هو نفسه الذي يأمر موسى عندضربة الحيات المحرقة قائلاً: (اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا) عدد ٢١ : ٨ فصنع موسى هكذا ولم تكن في ذلك مخالفة للوصية الثانية.

وعندما أمر الرب موسى بصنع تابوت العهد أمره بصنع كاروبين من ذهب فوقه قائلاً وتصنع كاروبين من ذهب صنعة خراط تصنعها على طرفي الغطاء .

وبنفس الأسلوب صنع سليمان في بناء الهيكل وتزيينه عمل كاروبين من خشب الزيتون علو الواحد عشرة أذرع، وخمسة أذرع جناح الكاروب الواحد وخمسة أذرع جناح الكاروب الآخر. وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشاً بنقر كاروبين ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج) ملوك ٦١ : ٢٩ .

وهكذا كان بيت الرب مزيناً بالصور والرسوم والتماثيل. وظل الناس يعبدون الرب ولم يبعدوا هذه الصور والتماثيل ولم يخالفوا الوصية الثانية.

فعلى طريق وثنية التوراة يبرر الكهنوت المسيحي وجود الأيقونات والتماثيل والسجود لها. ولكن السؤال المطروح هو: كيف يُصور المسيح وأمه العذراء باعتبار أن المسيح إله؟ أليس ذلك مدعاة للتجسيد والتمثيل؟ ثم من قال إن صورة المسيح ظلت عالقة في ذهن المصورين منذ ألفي عام وحتى الآن؟

فالاستناد إلى التوراة يعني استناداً على كتاب مسّه التحريف، وكثير من المسيحيين يؤمنون بذلك. فإذا كان كتبة التوراة قد دوّنوا فيه ماقام به موسى أو

ماقام به سليمان من تصوير ونحت، وهو كـذب وتحريـف، فإن الاستناد عليه في مسألة عقيدية أساسية يجعل الكثيرين يشكون، بل يطعنـون في العقيـدة المسيحية. ألم يتحول بنو إسرايل إلى عبادة الأوثان والأصنام بعد وفاة النبي سليمان؟ ألـم تصرح التوراة عشرات المرات إلـى انحراف بني إسرائيل عـن ديانـة التوحيد إلى عبادة تلك الأوثان والمنحوتـات؟ ألـم يقـل المسيح، عليه السلام: إن بيت الرب أصبح مغارة لصوص وليس معبداً للرب؟

وآخر المطاف نقول إن الفكرة الإلهية في الإسـلام فكـرة تامـة سـواء أكـان القرآن الكريـم يتحدث عـن بني إسرائيل أم عـن النصارى أم عـن المسلمين. وهـذه الفكـرة لايتغلب فيها جانب على جانب ولاتسمح بعارض مـن عوارض الشرك والمشابهة، ولاتجعل لله مثيلاً في الحس ولا في الضمير. بل له المثل الأعلى وليس كمثله شيء.

(فالله وحده لاشريك له.. لم يكن له شـركاء في الملك. فتعـالى الله عمـا يشركون وسـبحانه عمـا يشـركون، والمسـلمون هـم الذيـن يقولـون: ماكـان لنـا أن نشرك بالله، ولن نشرك بربنا أحداً، ويرفض الأصنام على كل وضـع مـن أوضـاع التمثيل أو الرمز أو التقريب.

ولله المثل الأعلى في صفات الكمال، ولـه الأسـماء الحسنى، فـلا تغلـب فيـه صفات القوة والقدرة على صفات الرحمـة والمحبـة. ولاتغلـب فيـه صفـات الرحمـة والمحبة على صفات القوة والقدرة. فهو قادر على كل شيء، وهو عزيز ذو انتقـام، وهو كذلك رحمن رحيم وغفور كريم، وقد وسـعت رحمتـه كـل شـيء، ويختـص برحمته من يشاء، وهو الخلاق دون غيره. وهل من خالق غير الله. فليس الإلـه في الإسلام مصدر النظام وكفى، ومصدر الحركة الأولى وكفى، ولكن الله خـالق كـل شيء وخلق كل شيء فقـدَّره، وهـو يبـدأ الخلـق ثـم يعيـده، وهوبكـل خلـق عليـم. ومجمل مايقال في عقيدة الذات الإلهية التي جاء بهاالإسـلام أن الـذات الإلهيـة غايـة

مايتصوره العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات)[1] .

وصفات الإله حسب ماجاء به المسيح هي نفس الصفات التي تحدث عنها القرآن الكريم ، ولكن الذي حدث أن عوامل داخلية وخارجية ، وأهمها العامل اليهودي ، لعب لعبة التحريف في العقيدة المسيحية ، فجاءتنا كما نراها اليوم وهي أقرب إلى الوثنية منها إلى العقيدة التوحيدية .

---

(١) عباس العقاد . الله في عقائد الشعوب ص ١٦٠-١٦١ .

الفصل الثاني

مفهوم النبوة ومعالمها بين القرآن والأناجيل



مفهوم النبوة ومعالمها بين القرآن والأناجيل

لاشك أن مفهوم النبوة في العقيدة النصرانية يصل مابين العهد الجديد ـ (الأناجيل) ـ ومابين العهد القديم (التوراة).

فالمسيحية تعترف كلياً بأنبياء بني إسرائيل باعتبار أن المسيح جاء ليتمم الشريعة الموسوية لالينقضها، وباعتبار أن المسيح نفسه بعث لليهود أو لبني إسرائيل، وباعتبار أن أول تلاميذه وأهمهم هم من اليهود.

لذلك عندما ننظر في العهد الجديد ـ الأناجيل ـ نرى صورة الأنبياء الذين سبقوا السيد المسيح واضحة، حيث هناك صلة عقيدية ونفسية وتاريخية بين المسيح، عليه السلام، وبينهم، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى ماجاءت به الأناجيل حول أنبياء بني إسرائيل، وكيف تصور اللاهوتيون المسيحيون هؤلاء الأنبياء ونبوءاتهم وأفعالهم وصلتهم بالمسيح. وكذلك إلى مفهوم نبوة المسيح على الرغم من إيمانهم بألوهيته ثم نتطرق إلى ماجاء به إنجيل برنابا من تبشير بالرسول محمد ﷺ وبعض ماخلص إليه بعض اللاهوتيين من إيمان بنبوة خاتم المرسلين وذلك من خلال تحليلهم الصحيح للعهد القديم (التوراة) وأقوال السيد المسيح عليه السلام.

ولاشك أن منهجنا في ذلك لاينفصل عن المنهج الكلي الذي نتبعه في دراسة العقيدة النصرانية كما عرفناها في الأناجيل، وكما وعيناها وعرفناها في القرآن الكريم.

لاشك أن هناك أنبياء ذكرتهم الأناجيل وذكرهم القرآن الكريم، إلا أن

أنبياء بني إسرائيل، كما وردوا في التوراة والإنجيل، ليسوا جميعهم الذين ذكروا في القرآن الكريم. ومن المعروف أن الأنبياء والمتنبئين الذين ورد ذكرهم في التوراة كثيرون جداً. وهذا عائد إلى مفهوم النبوة عند بني إسرائيل الذي قد يختلف جزئياً أوجذرياً عن مفهوم النبوة الذي عرفناه في القرآن الكريم. ولاشك أن هذا الاختلاف ينسحب على الأناجيل أيضاً لأن كتبة الأناجيل يستندون في غالبية أقوالهم على المصادر التوراتية اليهودية.

آدم عليه السلام

تعترف الأناجيل جميعها وكذلك العقيدة النصرانية بالأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم (التوراة)، ولكن طبيعة النبوة تختلف عما هي عليه في القرآن الكريم. وتكاد جميع أقوال الأنبياء الإسرائيليين تكرس في خدمة التنبؤات بشأن المسيح عليه السلام، وحين نطالع التفسيرات المسيحية لأدوار الأنبياء وطبيعة نبوتهم نرى أن الاستناد في ذلك يعود إلى التوراة باعتبارها امتداداً سابقاً للمسيح. وتربط المسيحية المسيح، عليه السلام، بهؤلاء الأنبياء ارتباطاً بشرياً من ناحية سلسلة آباء المسيح، وكذلك تربطه ارتباطاً آخر على اعتبار أنهم جميعاً تنبأوا بمجيئه بصفتيه الإلهية والبشرية حسب مايزعم كهنة المسيحية ومفسروها.

فاستناداً على التوراة تتجلى صورة، آدم عليه السلام، في الرؤية المسيحية.

فآدم يكلّف بمسؤوليات محددة من قبل الله كتسمية المخلوقات بأسماء محددة، وحفظ الجنة. وترى التفسيرات المسيحية أنه يمكن أن نطلق على آدم لقب معاون الله، بمعنى أنه يساهم ويشترك في عمل الله، وأهم امتياز حصل عليه آدم هو نفخُ الله من روحه فيه، فأعطاه نسمة حياة كما تقول التوراة.

وترى هذه التفسيرات أن آدم كان يستمتع بالحديث مع الله وجهاً لوجه دون خوف أو خجل كما حدث بعد السقوط.

وتقول: منذ أن سقط آدم وحواء في الخطيئة وأنزلهما الله من الجنة. . . أي منذ ذلك التاريخ أصبح الإنسان في عداوة مستمرة مع إلهه. فالسقوط الأول كان عبارة عن حلقة أولى في السلسلة الطويلة الثقيلة.

بعد ذلك تبدأ محاولة المفسرين المسيحيين في الميل إلى تفسير هذه الظاهرة على أنها انفصال الخالق عن المخلوق.

ويثبتون ويؤكدون مرة بعد أخرى أن الذي يهمنا من قصة آدم وحواء هو قول التوراة: (وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك وبين نسلها هو يسحق رأسَكِ وأنت تسُمِّين عقبه) تكوين ٣: ١٥. فيرى المفسرون النصارى أن هذا النص يَعني وعداً بمجيء ذلك الذي استطاع وحده أن يسحق سحقاً نهائياً رأس الحية. والكتاب المقدس يزخر بالآيات العديدة التي تبين لنا بوضوح أن يسوع نسل المرأة هو الذي سحق الرأس المسموم، رأس الحية الذي سمم البشرية كلها[1].

ويقولون: فإن كان آدم في جهله وعصيانه يريد أن يكون مثل الله، وبهذا الجهل والعصيان والجرأة غير الحكيمة فَقَدَ نقاوته الأولى، بل كاد يفقد جزءاً كبيراً من كونه على صورته كشبهه، وأصبح بتصرفه وابتعاده عدواً لله فإن الله، من جانبه قد أحب الإنسان محبة أبدية لايدرك لها طول أو عرض، فهي محبة الله نفسه السرمدي الأزلي - يهوه - اسمه الذي له السموات وكل مافيها.

فمن خلال ماتقدم ندرك أن المسيحية تنظر لآدم على اعتباره المخلوق الأول، الذي عصى ربه لأنه يريد أن يكون شبهه، كما نصت على ذلك التوراة. بينما المسيح هو الله الذي تواضع ونزل إلى الأرض بصورة إنسان.

من الواضح أن الأناجيل لاتعطي أهمية لنبوّة آدم، إنما تعترف بأنه المخلوق

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ٢٦-٢٧.

الأول، أما آدم كما هو في القرآن الكريم فهو نبي مرسل. وقد ذكره القرآن الكريم في عدة مواقع يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] فآدم مصطفى من الله كما هو نوح وإبراهيم، والأنبياء الذين أتوا من ذرية إبراهيم. وآدم بعد معصيته وخطيئته استغفر ربه وطلب الهداية.

يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] وفي التراث المسيحي أن آدم سبّب بخطيئته لعنة الله على الأرض. فقد ورد في رومية ١٢-٥ (يذكر الرسول بولس أنه بآدم دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس.

ويتضح أن الفكر المسيحي المستند على أقوال كقول بولس، يحمل آدم مسؤولية كبرى، وبمعنى من المعاني فإن صورة آدم لدى المسيحية كما هي عند اليهودية صورة سلبية.

وقد فات أصحاب العقيدة النصرانية أن الله عندما أراد أن يخلق آدم كان في علمه المسبق قد قرر أن آدم ونسله سيكون مقرهم الأرض وليس الجنة كما يُظن.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وليست في النصرانية هذه الأمور، كما ليس فيها حوار الله مع الملائكة بشأن خلق آدم، وليس هناك أمر بسجود الاحترام لما خلق الله . . . فالمستند في العقيدة النصرانية هو مستند توراتي وليس إنجيلياً وهذا يقودنا إلى القول بأن مفهوم النبوة في العقيدة النصرانية مفهوم مشوش غير واضح.

وتأتي الأناجيل على ذكر النبي نوح والطوفان، لكن هذا الذكر يأتي عابراً دون التعرض لنبوّة نوح وجداله مع قومه:

جاء في إنجيل لوقا: (وكما حدث في أيام نوح فكذلك يحدث في أيام ابن

الإنسان، كان الناس يأكلون ويشربون والرجال يتزوجون والنساء يتزوجن إلى يوم دخل نوح الفلك فجاءالطوفان وأهلكهم أجمعين) لوقا ١٧ : ٢٦-٢٧.

ويرد النص نفسه مع تغيير في التقديم والتأخير (وكما كان الأمر في أيام نوح فكذلك يكون عند مجيء ابن الإنسان، فكما كان الناس في الأيام التي تقدمت الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون بناتهم إلى يوم دخل نوح الفلك وماكانوا يتوقعون شيئاً حتى جاء الطوفان فجرفهم أجمعين) مَتَّى ٢٤ : ٣٧-٣٩.

أما قصة نوح في القرآن الكريم فترد في عدد من السور موضحة الصراع بينه وبين قومه، وموضحة كذلك أنه نبي أُرسل لهداية قومه ودفعهم إلى عبادة الله الواحد، إلا أن قوم نوح فسدوا فجرى الطوفان ونجّى الله نوحاً والذين آمنوا معه.

وقد ترددت قصة نوح والطوفان عليه السلام في عدد من السور كما قلنا. فقد وردت في سورة يونس وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة العنكبوت وسورة الصافات وسورة القمر، ووردت سورة كاملة باسم نوح، وورد ذكره في سورة النساء والأنعام والتوبة وإبراهيم والإسراء والأحزاب وغافر والشورى وق والذاريات والنجم والحديد والتحريم. والآيات التي أشارت إلى نبوته كثيرة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣] فالأناجيل لاتذكر شيئاً صريحاً عن نبوة نوح، وبما أن النصرانية تعتبر التوراة المصدر الأول لعقيدتها فإن أتباعها يؤمنون بما جاء فيها عن نوح والأنبياء.

والأناجيل ليست كالتوراة من حيث المنهج التاريخي الذي اتبعه مدونو التوراة وهي، أي الأناجيل، تستند على عظات وتعاليم وليس على إيراد ماحدث عبر التاريخ.

وإذا توقفنا مع إنجيل برنابا نرى بعض التفصيلات التي لاتوردها الأناجيل الباقية ، فآدم عليه السلام وقصة خلقه وهبوطه وحواره تأخذ حيزاً واسعاً في إنجيل برنابا ، فيورد مثلاً قصة خلق آدم من تراب ، وفي ذلك اختلاف مع ماورد في التوراة التي تحدثت في سفر التكوين بشكل مقتضب عن خلق آدم .

جاء في إنجيل برنابا (ثم أعطى الله نفسه للإنسان ، وكانت الملائكة كلها ترنم : اللهم ربنا تبارك اسمك القدوس . فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها : لاإله إلا الله محمد رسول الله) ٣٩ : ١٤-١٥ .

وجاء أيضاً : فأجاب الله مرحباً بك ياعبدي آدم وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت) ٣٩ : ١٧-١٨ .

ويورد الإنجيل كذلك قصة خلق زوج آدم من ضلع ، ثم يتحدث عن حياة آدم وحواء في الجنة وإغواء الشيطان لهما ، والحية ثم الهبوط إلى الأرض . وفي هذه القصة تشابه مع التوراة تارة وتشابه مع القرآن تارة أخرى ، ولكن إنجيل برنابا يتحاشى التجسيد كما فعلت التوراة . فبدل قول التوراة كان الله يتمشى مع هبوب الريح . جاء في برنابا إذا بالله قد ظهر لهما . وفي برنابا تتماشى القصة وتسلسلها كما جاء في التوراة .

إلا أن إنجيل برنابا يوضح أن آدم تمنّى أن يأتي يوم مجيء الرسول محمد ﷺ ليخلص البشرية من شقائها .

أما شخصية النبي إبراهيم فتتوضح أكثر فأكثر في الأناجيل وأسباب كثيرة تقف وراء ذلك منها أن نسب بني إسرائيل وكذلك عيسى عليه السلام يرجعونه إلى إبراهيم ، ومنها أيضاً أن التوراة تفصّل في الحديث عن إبراهيم أكثر من نوح وآدم عليهم السلام . ففي الفصل الأول من إنجيل مَتَّى يأتي الحديث عن نسب عيسى عليه السلام ، وفي البداية يقول صاحب الإنجيل . (نسب يسوع المسيح بن

داود بن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب . . . ويصل النسب إلى قوله ويعقوب ولد يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح) ١ : ١ـ١٦ .

وهناك إشارات لموقع إبراهيم عليه السلام في ملكوت السموات.

فقد جاء في إنجيل مَتَّى: (أقول لكم سوف يأتي أناس كثيرون من المشرق والمغرب فيجالسون إبراهيم وإسحق ويعقوب على المائدة في ملكوت السموات) مَتَّى ١٨ : ١١ـ١٢ .

وهناك إشارة أخرى في إنجيل لوقا حيث يقول:

(فهناك البكاء وصريف الأسنان إذ ترون إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله) لوقا ١٣ : ٢٨ .

وهناك إشارة إلى إبراهيم في إنجيل لوقا ترد في قصة يوردها الإنجيل تقول:

(كان رجل غني يلبس الأرجوان والكتان الناعم ويتنعم كل يوم بمأدبة فاخرة، وكان رجل مسكين اسمه لعازر ملقى عند بابه قد غطت القروح جسمه، وكان يشتهي أن يشبع من فتات مائدة الغني، غير أن الكلاب كانت تأتي فتلحس قروحه، ومات المسكين فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ثم مات الغني ودفن فرفع عينيه وهو في الجحيم يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم عن بعد ولعازر في أحضانه فنادى: ياأبت إبراهيم ارحمني فأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعه في الماء ويبرد لساني فإني معذب في هذا اللهيب فقال إبراهيم يابني تذكر أنك نلت خيراتك في حياتك ونال لعازر البلايا، أما اليوم فهو ههنا يعزّى وأنت تعذب . . . إلى آخر القصة) لوقا ١٦ : ١٩ـ٢٦ .

وتأتي القصة على سبيل المثل الذي يضربه السيد المسيح ليقارن بين الفقير

والغني والمحسن والمسيء، فهي على سبيل الرمز أقرب منها عن سبيل الواقع الذي عاشه السيد المسيح.

لكن شخصية النبي إبراهيم وحياته منذ البداية حتى وفاته تقريباً تأتي واضحة في إنجيل برنابا. وتكاد تتشابه مع ماورد في العهد القديم (التوراة)، وكذلك مع قصته كما وردت في القرآن الكريم.

فيرد في الفصل الثالث والعشرين حديث عن أصل الختان وعهد الله مع إبراهيم. وترد قصة الغني والفقير في إنجيل برنابا مثلما وردت في إنجيل لوقا، وذلك في الفصل الرابع والعشرين، ثم يورد برنابا في الفصل السادس والعشرين قصة النزاع بين النبي إبراهيم وأبيه حول صنع الأصنام وعبادتها.

فيقول الإنجيل: أجاب يسوع: كان إبراهيم ابن سبع سنين لما ابتدأ أن يطلب الله فقال يوماً لأبيه: ياأبتاه من صنع الإنسان؟ أجاب الوالد الغبي: الإنسان لأني أنا صنعتك وأبي صنعني. فأجاب إبراهيم ياأبي ليس الأمر كذلك لأني سمعت شيخاً ينتحب ويقول ياإلهي لماذا لم تعطني أولاداً. أجاب أبوه: حقاً يابني الله يساعد الإنسان ليصنع إنساناً، ولكنه لايضع يده فيه فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه ويقدم له حملاناً وغنماً يساعده إلهه. أجاب إبراهيم كم إلهاً هنالك ياأبي أجاب الشيخ لاعدد لهم يابني. فحينئذ أجاب إبراهيم ماذا أفعل ياأبي إذا خدمت إلهاً وأراد بي الآخر شراً لأني لاأخدمه؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاق ويقع الخصام بين الآلهة، ولكن إذا قتل الإله الذي يريد بي شراً إلهي فماذا أفعل. من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضاً فأجاب الشيخ ضاحكاً لاتخف يابني لأنه لايخاصم إلهٌ إلهاً.

وبعد عدة أسطر يقول برنابا: فقال إبراهيم ياأبي أي شيء تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ ياغبي إني كل يوم أصنع إلهاً أبيعه الآخرين لأشتري خبزاً. أجاب

إبراهيم: إذاً ياأبي ليس للآلهة نفس فكيف يهبون الأنفاس؟ ولمالم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذاً الحياة؟ فمن المؤكد ياأبي أن هؤلاء ليسوا هم الله.

وتستمر القصة حتى يصل الأمر إلى نزاع بين إبراهيم وأبيه فيطرده ويهدده ثم يورد قصة تكسير الأصنام على يد إبراهيم. ثم يورد قصة القبض عليه ومحاولة إحراقه بالنار وإنقاذه من قبل ملاك الله.

ثم ينتقل الإنجيل إلى الحديث عن حيرة إبراهيم في الله عندما رأى الكوكب بازغاً وكذلك القمر والشمس. ثم تورد قصة إيمانه وهجرته من بلاده إلى أرض كنعان المباركة.

ونلاحظ من مجريات القصة ومافيها من تفاصيل تقاطعها كلياً مع قصة إبراهيم في القرآن الكريم. والواقع أن خلافاً كبيراً يقع بين ماورد في التوراة وماورد في إنجيل برنابا، فالتوراة لاتذكر قصة صراعه مع والده وتحطيمه الأصنام. إنما تركز على هجرته لتنفيذ وعد الله بإعطائه الأرض المباركة إرثاً أبدياً له ولنسله من بعده.

وتتضح نبوة إبراهيم من خلال ماورد في برنابا حين يقول: (حينئذ قال الله لاتخف بل انهض لأني قد اصطفيتك عبداً لي وإني أريد أن أباركك واجعلك شعباً عظيماً.

وتحدث برنابا عن قصة الذبيح وقال: صدقوني لأني أقول لكم الحق إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق. حينئذ قال التلاميذ يامعلم هكذا كتب في كتاب موسى إن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوهاً هذا هو المكتوب ولكن موسى لم يكتبه ولايشوع بل أحبارنا الذين لايخافون الله. الحق أقول لكم إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا، لأن الملاك قال ياإبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله.. إلى آخر ذلك.

ثم قال: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحق البكر وهو لمّا ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين) برنابا ٤٤ : ١ـ١١ .

وماجاء في برنابا يتطابق مع ماجاء في القرآن الكريم والروايات الإسلامية ويخالف مادوّنه أحبار اليهود في التوراة، وكذلك يخالف ماجاء في الأناجيل الأخرى التي تستند على التوراة في القصص التاريخية. غير أن اختلافا يقع بين نص برنابا ونص القرآن الكريم فيما يتعلق بوعد الله لإبراهيم بامتلاك الأرض وجعلها ميراثاً له ولأبنائه من بعده. ولكن نص برنابا يختصر الوعد بكلمات مقتضبة، بينما في التوراة تأتي طويلة مسهبة وتكررها مرات عدة في الأسفار لتؤكد المنحى السياسي الاستيطاني وليس المنحى الديني العقيدي.

ويأتي الإنجيل على ذكر إسحق ويعقوب في مواقع عدة دون أي إشارة لنبوتهما وأكثر مافيها أشارات إلى أن اسحق وَلَدُ إبراهيم ويعقوب وَلَدُ إسحق، وتربط الأناجيل مابين إبراهيم وإسحق ويعقوب في بعض الأقوال التي أوردناها في الصفحات السابقة.

وفي رد المسيح عليه السلام على بني إسرائيل يوضح أن الانتساب إلى إبراهيم لايغفر لهم ولايقربهم إلى الله زيادة عن الناس، وقد جاء في إنجيل متى: (ولايخطر ببالكم أن تعللوا النفس فتقولوا: (إن أبانا هو إبراهيم. أقول لكم إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناء إبراهيم) مَتّى ٣ : ٩ـ١٠ .

وترد إشارات كثيرة إلى النبي موسى عليه السلام ولكنها لاتعني النبوة بوضوحها الذي جاء في القرآن الكريم وتظل كلمات الأناجيل تحوم حول موسى والشريعة وتربطهما بما جاء به المسيح عليه السلام أو بما كتبه أصحاب الأناجيل.

فيأتي مثلاً في إنجيل مَتّى: (لاتظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء. ماجئت لأبطل بل لأكمل) مَتّى ٥ : ١٧ـ١٨ وهذه كناية عن مايسمى الكتاب

المقدس. والأنبياء كناية عن موسى وهارون ومن تبعهم على نهج التوراة.

وفي جداله مع الفريسيين يأتي ذكر موسى، عليه السلام، في عدة مواقف.

يقول الإنجيل: (فقالوا له: فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب طلاق وتسرّح؟ قال لهم من أجل قساوة قلوبكم رخص لكم موسى في طلاق نسائكم ولم يكن الأمر منذ البدء هكذا) مَتَّى ١٩ : ٧-٩.

وهناك إشارة أخرى إلى موسى في قوله:

(وكلّم يسوع الجموع وتلاميذه قال إن الكتبة والفريسيين على كرسي موسى جالسون فافعلوا مايقولون لكم واحفظوه ولكن لاتفعلوا مثل أفعالهم لأنهم يقولون ولا يفعلون) مَتَّى ٢٣ : ١-٤.

ويخاطب المسيح بني إسرائيل: (ألم يعطكم موسى الشريعة ومامن أحد منكم يعمل بأحكام الشريعة) ٧: ١٦-١٩.

وهناك نص في إنجيل مَتَّى يقول: (وإذا موسى وإيليا قد تراءيا لهم يكلمانه فخاطب بطرس يسوع قال: يارب حسن أن نكون ههنا فإن شئت نصبت ههنا ثلاث خيم واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيليا) مَتَّى ١٦ : ٣-٤.

ويستشهد المسيح مراراً بأقوال من الشريعة التي نزلت على موسى، ففي أحد المقاطع يقول: (فقال له أحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك تلك هي الوصية الكبرى والأولى، والثانية مثلها أحبب قريبك حبك لنفسك. بهاتين الوصيتين ترتبط الشريعة كلها والأنبياء) مَتَّى ٢٢ : ٣٧-٤٠.

وباعتبار أن التوراة تورد قصة موسى كاملة، وباعتبار أن العهد القديم هو أساس في العقيدة النصرانية فلا نرى في الأناجيل تفصيلات غير التي ذكرنا عن أنبياء بني إسرائيل.

ونشير هنا إلى إنجيل برنابا وكيف تحدث المسيح فيه عن موسى والشريعة.

يأتي في الفصل الثالث والثلاثين قوله:

(ثم أتم يسوع: تذكروا ماتكلّم الله به وماكتبه موسى ويشوع في الناموس) ٣٣: ١٧-١٨.

وجاء أيضاً: (صدقوني بالحق إنه إذا صلى إنسان لله ينال كل مايطلب. اذكروا موسى عبد الله الذي ضرب بصلاته مصر وشق البحر الأحمر وأغرق هناك فرعون وجيشه) ٣٨: ١٣-١٤.

وفي برنابا أيضاً يحدد أن الله سبحانه يوم القيامة يطلب شهوداً على ماعهد به لرسول الله محمد ﷺ، ويكون الشهود آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وداود ويسوع ابن مريم، وفي نفس النص (فيقول موسى عندنا ثلاثة شهود أفضل منا يارب. الأول الكتاب الذي أعطيتنيه) أي التوراة فإنها تشهد على نبوة محمد ﷺ وتشهد على مامنحه الله من وعد بالشفاعة يوم القيامة.

وذكر داود، عليه السلام، مرات عدة في الأناجيل، ولكن أقواله وحكمته ونبوته كُرست جميعها لخدمة فكرة أن المسيح هو الله وأن داود تنبأ بمجيئه ووصفه بأنه ربه. وسنناقش هذه المسألة بعد صفحات حين نتعرض لما تراه المسيحية في نبوءات الأنبياء الخاصة بالمسيح وصفاته.

ويمر ذكر سليمان أيضاً في سياقات كثيرة عابرة حيث يضرب به السيد المسيح المثل، فيضرب مثلاً عن قصة مملكة سبأ وكيفية مجيئها إلى سليمان فيقول: (لأنها جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان) ومن الطبيعي أن نرى سليمان في أقوال المسيح كما نراه في التوراة ملكاً حكيماً أكثر منه نبياً مرسلاً.

ويرد ذكر النبي يونس باسمه العبراني يونان في سياق أمثال المسيح، عليه

السلام، فقد جاء في الإنجيل: (ولن يعطى سوى آية النبي يونان فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال فكذلك يبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال بنينوى يقومون يوم الدينونة مع هذا الجيل ويحكمون عليه لأنهم تابوا بإنذار يونان وههنا أعظم من يونان) مَتَّى ١٢ : ٤٠ ـ ٤٢ .

وقد وردت إشارة إلى نبيّة كانت في زمن المسيح، وأنه التقاها. يقول الإنجيل (وكانت هناك نبية هي حنة بنت فانوئيل من سبط آشر طاعنة في السن لاتفارق الهيكل متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار) إنجيل لوقا.

وتتعرض الأناجيل لأقوال المسيح عن الأنبياء الكذابين الذين يدَّعون أنهم مرسلون من الله فيقول: (فسيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذابون يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب حتى إنهم يضلون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر) مرقص ٢٤ : ٢٤ . وتكرّر هذا القول في إنجيل مَتَّى. ويقول: (ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلون أناساً كثيرين) متى ٢٤ : ١١ ـ ١٢ ويهاجم المسيح، عليه السلام، بني إسرائيل ويصفهم بقتلة الأنبياء وهذا يتكرر في عدة مواضع من الأناجيل.

يقول: (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون ضرائح الصديقين وتقولون لو عشنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء) مَتَّى ٢٣ : ٢٩ ـ ٣١ .

ويقول: (أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها) مَتَّى ٢٣ : ٢٧ .

ويقول: (الويل لكم فإنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم هم الذين قتلوهم) لوقا ١١ : ٤٨ .

ويقول: (ولذلك قالت حكمة الله سأرسل إليهم الأنبياء والرسل

وسيقتلون منهـم ويضطهـدون حتـى يطـالب هـذا الجيـل بـدم جميـع الأنبيـاء الـذي سفك منذ إنشاء العالم) لوقـا ١١ : ٤٩ ـ ٥٠ . مـن دم هـابيل إلـى دم زكريـا الـذي هلك بين المذبح والهيكل ١١ : ٥١ .

أنبياء العهد القديم.. نبوءات في خدمة فكرة ألوهية المسيح

تعرض الإنجيل لأسماء عدد كبير من الأنبياء ومر على سيرتهم مرور الكرام، إلا أن عدداً آخر من الأنبياء ركز الإنجيل على سيرتهم ونبوءاتهم تركيزاً واضحاً وذلك اعتقاداً من المفسرين المسيحيين أن هؤلاء الأنبياء بشروا بقدوم الله الإنسان، بل إن الإنجيل جعل بعضهم في خدمة دعوة المسيح، وتمهيداً لقدومه كالنبي يحيى - يوحنا الملقب لدى المسيحيين بالمعمدان.

وهؤلاء الأنبياء يجمعهم العهد القديم التوراة باستثناء زكريا ويحيى، باعتبارأن تدوين التوراة أكتمل قبل عصرهما.

وهؤلاء الأنبياء هم دانيال وحزقيال وإرميا وداود، وكان التركيز الأشد على النبي إشعيا، باعتبار أن نبوءاته جميعها كرّست في خدمة الفكرة المسيحية عن ألوهية المسيح.

وتهتم الأناجيل بأنبياء آخرين، وذلك بسبب قرب العهد بينهم وبين عصر المسيح ومنهم النبي إيليا - إلياس.

تبدأ نظرة الفكر المسيحي لنبوءات العهد القديم منذ سفر التكوين الذي هو أول سفر من أسفار موسى عليه السلام.

فيرون أن الله أعلن أن نسل المرأة الذي سيسحق رأس الحية هو شخص الرب يسوع المسيح الوعد الذي أصبح فيما بعد وعلى مر العصور الطويلة موضوع الرجاء والأمل. والواقع أنه بمجيء المسيح وطوال حياته لم يتحقق وعد التوراة. لأن المسيح

كما يزعمون صلب ومات وظل اليهود من بعده يصولون ويجولون بل يخربون العقيدة المسيحية حتى صارت كما هي عليه اليوم لاتمت بصلة إلى المسيح .

ويرون أن موسى يلفت أنظار الشعب في البرية إلى هذا المخلص بالقول : (يقيم لك الرب إلهُك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون) تثنية ١٨ : ١٥ ـ ١٨ ولقد تحقق هذا الوعد عندما جاء المسيح . ويستندون في تثبيت هذا التفسير على القول الإنجيلي (فيلبس وجد نثنائيل وقال له : وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذي من الناصرة) يوحنا ١ : ٤٥ وأعمال الرسل ٣ ـ ٢٢ و ٧ : ٣٧ .

وعلى الرغم من أن هذا الكلام لاينطبق على السيد المسيح فإنه إن كان يتنبأ بمجيء المسيح ، فإنه يتنبأ بمجيء نبي اسمه المسيح ، وليس بمجيء الله كما يزعم النصارى . وحين يقول النص التوراتي مثلي فإنه يعني أن المسيح نبي مثل موسى وليس إلهاً كما يتخيلون .

لكن التركيز الأكثر إثارة إيراد أقوال لداود عليه السلام تُفسر على أنها تعني المسيح الإله الإنسان في آن واحد . فالنبي داود الموحّد المعروف بحكمته ورجاحة عقله يعتبر المسيح ربه حسب قول بعض الأناجيل . ويفسر الإنجيليون أقوالاً لداود في سفر الأمثال يعتبرونها إشارات واضحة لألوهية المسيح .

جاء في الأمثال : (منذ البدء منذ أوائل الأرض قبل أن يوجد القمر أو المياه ، وقبل الجبال وقبل السموات ، وقبل كل ماهو موجود يحيا ويتحرك . فكل ماهو موجود قد وُجد لأن الحكمة كان عنده صانعاً . ويرون أن تشابهاً كبيراً يقع بين أقوال داود وبين إنجيل يوحنا الذي يقول : (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) يوحنا ١ : ١ ـ ٥ .

والعهد الجديد يستعمل كلمة حكمة مراراً كثيرة لكي يشير بها إلى المسيح .

فالحكمة التي يتكلم عنها كاتب سفر الأمثال هو المسيح . حسب مايقوله اللاهوتيون المسيحيون . فداود النبي حسب رأي المسيحيين يبشر بالمسيح على أنه هو الكلمة أي أنه الله ، وعلى هذا الأساس فإن داود ، عليه السلام ، يقع في دائرة الكفر والإشراك . وداود بريء من ذلك كله . لأنه إذا صح مانسب إليه فإن المقصود هو الله الواحد الأحد وليس المسيح لأن المسيح ، عليه السلام ، نبي مرسل وليس إلهاً .

وحسب قول الأناجيل أن المسيح كاشف علماء بني إسرائيل وقال : ماتقولون في المسيح وابن من هو .

قالوا : هو ابن داود .

فقال لهم كيف يسميه داود بالروح إلهاً حيث كنت قال الله إلاهي اقعد عن يميني حتى أجعل منْ أعاديك كرسياً لقدميك . فإن كان داود يدعوه إلهاً كيف هو ولده فلم يقدر أحد منهم على مراجعته .

وجاء هذا النص في الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل مَتَّى الأصلي على الشكل التالي : سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنون في المسيح ابن من هو؟ قالوا له ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك ، ويرد ابن حزم على ذلك بقوله : هذا هو الحق من قول المسيح ، عليه السلام ، ولقد أنكرَ عليه السلام ، المنكر حقاً . والعجب أن هؤلاء المنتمين إلى أتباعه ، عليه السلام ، لايختلفون في الاحتجاج بهذا الفصل المذكور هو ، عليه السلام ، قد أنكر أن يكون المسيح ابن داود وهم يسمونه في الأناجيل كلها بأنه ابن داود[1] .

وقد عرفنا داود من خلال القرآن الكريم موحداً خليفة سخرت الجبال تسبح

---

(١) ابن حزم الأندلسي . الفصل بين الملل والأهواء والنحل الجزء ٢ ص١١١ .

معه لله الواحد، فكيف يجرؤ المسيحيون على أن ينسبوا للمسيح قولاً مثل هذا؟!
إن ذلك يعني تجرؤهم على المسيح أولاً وعلى داود ثانياً. وأعتقد أن جرأتهم تجاوزت جرأة اليهود فيما نسبوه لداود عليه السلام.

وحتى ماجاء به موسى عليه السلام وما أنزل عليه من ربه يعتبره المسيحيون ناقصاً تمهيدياً فيقولون: كان العديد من الأنبياء الحقيقيين قد سبقوا مجيء المسيح وجميعهم تكلموا بكلام الله للشعب، لكن ماأوحى الله لهم به كان ذا طبيعة تمهيدية وغير مكتملة. لقد كانوا جميعاً يرمزون للمسيح النبي الأعظم الذي كانوا قد أتوا من أجل التمهيد لمجيئه)[1].

فإذا كان الأنبياء جميعاً الذين سبقوا المسيح ومأأنزل إليهم قد مهدوا للمسيح، وكانت تعاليمهم غير مكتملة فلماذا استند السيد المسيح على التوراة في أكثر تعاليمه؟ ثم كيف نوفق بين هذا الكلام وبين كلام السيد المسيح: (إنما جئت لأتمم لا لأنقض).

فلو كانت الأناجيل تامة التعاليم كاملة التشريع لما كان المسيح، عليه السلام، استند على العهد القديم في تشريعاته التي أعاد التذكير بها من خلال التوراة.

ويرون أن سبب تعدد الأنبياء وتوالي قدومهم من عند الله في حقبة العهد القديم مرجعه أن لكل منهم دوره في التمهيد لمجيء المسيح. ويرون أن الله أعطى عصمة خاصة لأنبيائه حين دوّنوا الوحي كاملاً بدون خطأ، وهو في نفس الوقت بحكمته وسلطانه عمل على حماية مادوّنوه من التحريف والفقدان عبر الأجيال[2].

---

(١) القس مينس عبد النور. هل تجسد الله ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق ص ٨٥.

والواقع أن الله منح الأنبياء عصمة خاصة عندما دوّنوا الوحي ولكن مادوّنوه حرّف عن مساره ولم يحفظه الله سبحانه وتعالى، ودلالات تحريف التوراة والإنجيل لاتُعد ولاتحصى.

ويرون أن كل نبي أدى دوره بكل أمانة وجدارة مدعوماً بقوة الله في التحضير التدريجي لمجيء المسيح. صحيح أن كل رسالة جاءت لتتمم ماقبلها، وأن الله بعث الأنبياء ليتمم بعضهم بعضاً، ولكن لم يبعث الله الأنبياء من أجل التحضير التدريجي لمجيء المسيح، لأن رسالة المسيح ليست الرسالة الأخيرة من بين الرسالات. وليس صحيحاً أن قمة الهرم يقف عليها المسيح مكمل الوحي وخاتمه. ولو كان الأمر كذلك لما جاءت الأناجيل مختلفة الروايات، ولما أخفي بعضها، ولما استندت المسيحية على التوراة في تشريعاتها.

وإذا راجعنا قصة النبي داود، عليه السلام، كما وردت في القرآن الكريم وجدنا أن ذكر داود جاء في ستة عشر موقعاً من القرآن الكريم، لم تتطرق آية واحدة لتنبؤات داودية توحي بأن داود تنبأ بمجيء المسيح عليه السلام. وكذلك الأمر بالنسبة لموسى وسليمان وإبراهيم عليهم السلام جميعاً[1].

لقد فسر أصحاب العقيدة المسيحية كثيراً من النصوص المرتبطة بالأنبياء تفسيراً يخدم مقولاتهم في ألوهية المسيح المزعومة، بل إنهم ناقضوا ماجاء في التوراة من نبوءات. وهذا التناقض يفضحه عدم التناسب مطلقاً بين ماجاءت به النبوءات ومافسروه، فالتوراة تقول: (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به. ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به

---

(١) ورد الحديث عن داود عليه السلام في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم تحدثت عن نبوته وقضائه وحكمته وملكه وتوريثه الملك لابنه النبي سليمان، وإذا عدت إلى جميع الآيات التي جاءت على ذكره لاتعثر على أي نص أو إشارة توحي بأنه يبشر بالمسيح عليه السلام.

باسمي فأنا الذي أنتقم منه). وقد قال اليهود إن هذه البشارة ليوشع بن نون، ولكنهم يعرفون أن يوشع ليس كموسى، ومع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير عيسى المسيح فقد أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له: أنت إيليا؟ فقال: لا. فقالوا أنت المسيح؟ فقال: لا. فقالوا: أنت النبي فقال لا فقالوا مابالك إذاً تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي؟ فهذه تدل على أن التوراة تبشر بإيليا وبالمسيح ونبيّ لم يأتي بعد وحتى زمن المسيح. ثم إن التوراة تقول في صفة النبي إنه مثل موسى. وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني إسرائيل نبيّ مثل موسى، وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفترى عليه يقتل، والمسيح حسب زعم النصارى صلب وقتل فكيف يوفقون بين البشارة في جزئها الأول مع جزئها الذي يقول بأن النبي الذي يفترى عليه يقتل؟

فحجتهم ضعيفة، بل مرفوضة، ولكنهم كي يدعموا زعمهم بأن المسيح هو الله أو أنه رأس الهرم بالنبوة فسروا كل نص من النبوءات التوراتية تفسيراً مغايراً للحقيقة ومخالفاً للمعطيات النصية والتاريخية والنبوية.

إن النبي داود ملَكَ في بني إسرائيل مدة طويلة من الزمن، وحينما يدّعون أن المسيح يجلس على كرسي داود ويملك على إسرائيل يكونون قد سقطوا في أفدح التناقضات؛ لأن المسيح لم يجلس على كرسي داود ولم يرث الملك منه. إنما صلب وقتل حسب ادعائهم.

النبي يحيى والموضع الخاص

لعل من أكثر الأنبياء وجوداً في الإنجيل وفي التراث المسيحي النبي يحيى الذي يطلقون عليه اسم يوحَنَّا المعمدان. فهذا النبيّ استُغل استغلالاً كبيراً من قبل المسيحية على اعتبار أنه عايش المسيح في قسم كبير من حياته، ولكونه، حسب اعتقادهم، مهّد لقدوم المسيح واعترف بألوهيته المزعومة، ولسبب آخر هو صلة

القرابة بينه وبين السيد المسيح.

ماذا تقول الروايات المسيحية بشأن يحيى؟

تحدثت الروايات عن زكريا عليه السلام وامرأته المدعوّة أليصابات، وكان زكريا يكهن في بيت الرب فتراءى له ملاك الرب وبشره بأنه سيلد له ولد يكون عظيماً أمام الرب لايشرب خمراً ولامسكراً، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمه، ويردّ كثيراً من بني إسرائيل إلى جادة الإيمان والبعد عن الإفساد. وقد اضطرب زكريا وحمله اضطرابه على شيء من الشك في تصديق كلام ملاك الرب، فأجاب مستفهماً كيف يكون هذا وأنا رجل شيخ وامرأتي قد طعنت في أيامها؟ عندها رشقه الملاك بالقصاص عقاباً له على ماخامره من الشك، وقال له: أنا جبرائيل الواقف أمام الله، وقد أُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا، وها أنك تكون صامتاً فلا تستطيع أن تتكلم إلى يوم يكون هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في أوانه[1]، وأما أليصابات امرأته فقد حبلت وأخفت حبلها خمسة أشهر.

وتقول المصادر المسيحية: رب سائل يسأل لماذا عاقب الملاك جبريل زكريا الكاهن عندما بشَّره بيوحَنَّا ولم يعاقب سيدتنامريم العذراء عندما بشَّرها بيسوع مع أنها قد استفهمت مثل زكريا؟

١ ـ كان يجب على زكريا وهو معلم إسرائيل أن يعتقد أن الله قادر على كل شيء.

٢ ـ كان يجب عليه أن يفهم الحادث الذي وقع لإبراهيم وسارة اللذين حصلا على إسحق بعد أن كانا قد تقدما بالعمر أكثر من زكريا وامرأته إليصابات، ولهذا لم يكن له حجة في شك بقول الملاك.

---

(١) الخوري فرنسيس منعم. منية الجنان في حياة يوحنا المعمدان ص ١٩ ـ ٢٠.

أما مريم عليها السلام فقد كانت معذورة في سؤالها : كيف يكون هذا وأنا لاأعرف رجلاً؟ لأنه لم يسبق أن بتولاً قبلها قد حبلت من دون رجل .

إنها لم تشك بقدرة الله ولا بصدق قول الملاك ، بل جل ماهنالك أنها قد استفهمت كيفية حصول هذا الأمر وهي قد نذرت البتولية من قبل . لأن مريم قد خلقت لتكون سلطانة الملائكة وسلطانة السموات والأرض ، ولايقدر جبرائيل والحالة هذه أن ينزل القصاص بها كما قد أنزله بزكريا ، لأنها أرفع منه مقاماً وقد أعدت لتكون أم الله ، وهو بالنتيجة قد كان خادماً لها .

هكذا تقول المصادر المسيحية في زكريا والد يحيى . فهو كاهن وليس نبياً . وهو أخطأ فعاقبه جبريل بالخرس الدائم حتى تلد امرأته ابنه يحيى .

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم وجدنا مافيها يتطابق بعض الشيء مع ماورد في المصادر المسيحية . مع اختلاف بالتسميات .

فهو في المسيحية كان يكهن في الهيكل .

وهو في القرآن الكريم كان قائماً يصلي في المحراب .

وهو في المسيحية كاهن .

وهو في القرآن الكريم نبي مرسل .

وهو في المسيحية يعاقب من قبل جبريل بالخرس الإجباري حتى تلد زوجته .

وهو في القرآن الكريم يطلب آية من الله وليس عقوبة ، وهذه الآية لتبرهن على أنه نزل الوحي عليه ، ويحدد المدة التي لايتكلم فيها مع الناس بثلاثة أيام أو ثلاث ليال إلا بالرمز والإشارة .

يقول الله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً

خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم ٢ - ١١].

فلم تشر الآيات الكريمة إلى عقاب زكريا من قبل جبريل. وزكريا نبي مرسل، فكيف يمكن أن نصفه أنه لايعتقد أن الله قادر على كل شيء؟ ومن قال إنه لم يكن على علم بما منّ الله به على إبراهيم وسارة؟

أما قولهم إن مريم يحق لها السؤال لأنها خلقت لتكون سلطانة الملائكة وسلطانة السموات والأرض، ولايقدر جبريل والحالة هذه أن ينزل القصاص بها لأنها أرفع منه مقاماً وقد أعدت لتكون أم الله وهي أرفع من زكريا.

أما قولهم هذا ففيه من الكفر مافيه، وفيه انتقاص لمكانة الملاك جبرائيل عليه السلام، وانتقاص من مكانة زكريا النبوية، أما أنها أعدت لتكون أماً لله فهذا ليس من التوحيد في شيء بل هو أقرب إلى الوثنية.

فمريم قديسة ومصطفاة من الله ولكنها ليست نبياً ولا ملاكاً بل هي إنسانة أنثى مباركة من الله غير أنها لم تكن رسولة صاحبة رسالة كالأنبياء.

والواقع، كما ذكرنا، فإن زكريا ومريم شأنهما واحد، لم يعاقب الله أحدهما، وباعتبار زكريا نبياً فهو أرفع مقاماً، لأنه كان يباشر نبوته ودعوته حتى قبل أن تكون مريم نفسها.

هذا ماكان من شأن زكريا والد النبي يحيى، وهذا الكلام مقدمة لابد منها للدخول في الحديث عن يحيى عليه السلام.

جاء في المصادر المسيحية، وخاصة الأناجيل، أن مريم دخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات، وماكادت تسمع نغمة سلام مريم العذبة حتى ارتكض الجنين في بطنها بفرح عظيم، وامتلأت أليصابات من الروح القدس، وأخذت تتغنى للحال بأمجاد تلك التي أتت إليها وهي حاملة في أحشائها حامل السموات والأرض. وبهزة من الطرب وفيض من الفرح صاحت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنت من النساء ومباركة ثمرة بطنك، من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ!!

وفي هذا الكلام ماهو مخالف للمنطق والعقل، ولاسيما في قولهم على لسان زوجة زكريا: (وهي حاملة في أحشائها حامل السماوات والأرض. فما الذي أخبرها أن مريم كانت حاملاً أولاً، وثانياً ماالذي أعلمها أن مريم حامل بذكر وليس بأنثى، هل أخبرها جبريل بذلك؟ ثم إذا كانت زوجة نبي كزكريا موحدة مؤمنة وجرت المعجزة الإلهية فيها باعتبار حملها لزكريا، فكيف يتحمل إيمانها وعقلها الناضج أن تقول عن الذي حملته مريم بأنه رب وإله وأن مريم أم هذا الرب؟ وإذا قالت كذلك فهل توافق الصدِّيقة مريم أن ينعت مافي بطنها إلهاً ورباً وهي المؤمنة بالله الواحد، والمؤمنة بأن الذي في بطنها هو نبي إلى بني إسرائيل وليس إلهاً ورباً؟

وفي الأناجيل أن المسيح أحشى من روح القدس، وفي أول باب من إنجيل لوقا أن يحيى بن زكريا أحشى من روح القدس في بطن أمه، وأن أم يحيى احتشت أيضاً من روح القدس، فما ترى للمسيح من روح القدس إلا كالذي ليحيى وأم

يحيى من روح القدس ولافرق بأي فضل له عليهما.

وتقول المصادر المسيحية: (وأول أعجوبة هو الاسم الكريم الذي اختارته له أمه بوحي من عند الله أي يوحَنًا، ومعناه نعمة الله، وهذا الاختيار جاء ضد التقاليد وضد رغبة كل الأقارب والأنسباء والأصدقاء الذين قد أجمعوا على تسميته زكريا باسم أبيه.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن جبريل عليه السلام بشَّر زكريا بالغلام وأطلق عليه اسم يحيى الذي لم يكن له شبيه فيمن سبقه.

وتقول المصادر المسيحية عن زكريا وماكان يكتبه على اللوح الذي كانوا قد قدموه له حتى انفتح فمه وانحلت عقدة لسانه. ولفظ قائلاً يوحَنًا.

إذاً كان زكريا يعلم اسم ابنه منذ أن حملت به زوجه، حيث إن جبريل أطلق عليه هذا الاسم بأمر من الله سبحانه.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم ١٢ - ١٥].

فرسالة يحيى هي تطبيق شريعة موسى عليه السلام بقوة وصلابة، وخاصة أن اليهود بأحزابهم كلها انحرفوا عن الدين الحقيقي، وأن الرومان الوثنيين كانوا أشد عداوة للأنبياء ولديانة التوحيد، فقوله تعالى خذ الكتاب بقوة أي خذ بتعاليم مافي كتاب موسى بقوة.

مسائل يجب التوقف عندها:

في الباب الثاني عشر من إنجيل مَتّى أن المسيح، عليه السلام، قال، وقد ذكر يحيى بن زكريا: أنا أقول لكم إنه أكثر من نبي، وهو الذي قيل فيه: وأنا باعث

ملكي بين يديك ليعد لك طريقك.

فقول مَتّى في يحيى أنه أكثر من نبي فهذا محال لأنه يخلو يحيى ولا غير يحيى إلا أن يكون رسولاً نبياً، ويحيى رسول بإجماعهم، وإن كان لم يُوحَ إليه، فهذه منزلة يستوى فيها الكافر والمؤمن، ولايجوز أن يكون من لايوحي الله تعالى إليه مثلاً لمن استخصّه عزَّ وجلَّ بالوحي إليه، فكيف أن يكون أكثر منه؟

وقوله إن يحيى هو الذي قيل فيه: وأنا باعث ملكي بين يديك، لأن يحيى، عليه السلام، على هذا ملك. والواقع أنه ليس ملكاً لأنه إنسان ابن رجل وامرأة عاش إلى أن قتل وليس هذه صفة الملك ويحيى لم يكن ملكاً. وفي الفصل الذي يليه قال إن يحيى آدمي. فهذا القول ليس صحيحاً وحاشا لله أن يكذب نبي[1].

وجاء أيضاً أن المسيح قال لهم: آمين أقول لكم لم يولد أحد من الآدميين أشرف من يحيى المعمد، ولكن من كان صغيراً وفي ملكوت السماء فهو أكبر.

فإذا كان كما زعم أن الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى، فكل مؤمن يدخل ملكوت السماء ضرورة، فهذا أفضل من يحيى، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بني آدم فهو أفضل من يحيى، وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن. فالمسيح لايمكن أن يقول هذا الكلام إنما الذي ابتدعه مَتَّى صاحب الإنجيل.

ثم جاء في إنجيل مَتَّى أن المسيح قال لهم: كل كتاب ونبوة فإن منتهاها إلى يحيى، ففي ذلك كلام غير معقول ومناقض أيضاً لما ورد في الإنجيل نفسه، فقد قيل ليحيى أنبيّ أنت؟ قال: لا؛ وقال في الموضع السابق، إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى، فمرة ليس هو نبياً ومرة هو نبي الأنبياء، ومرة هو أكثر من نبي.

---

(١) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ٦٨.

وقوله إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى وليس بعد النهاية نبي ، فهو على هذا آخر الأنبياء ، وفي الباب الرابع عشر من إنجيل مَتَّى أن المسيح قال لهم أنا باعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون ، فقد كذب بأن يحيى آخر الأنبياء ومنتهى النبوة إليه ، والنصارى مُقرُّون بأنه قد كان بعده أنبياء ، وأن نبياً أتى إلى بولس وأنذره بأنه سيصلب ذكر ذَلك لوقا[1] .

وفي الباب المذكور أن المسيح قال لهم : (أتاكم يحيى وهو لايأكل ولايشرب فقلتم هو مجنون ، ثم أتاكم ابن الإنسان يعني نفسه فقلتم هذا جواف شروب الخمر خليع صديق المستخرجين والمذنبين) .

وفي إنجيل مرقص أن يحيى بن زكريا عليهما السلام هذا كان طعامه الجراد والعسل البري ، وهذا تناقض ، وأحد الخبرين كذب بلا شك ، وأما خلاف قول النصارى فإنه ذكر أن يحيى كان لايأكل ولايشرب ، وأن المسيح كان يأكل ويشرب ، وبلا شك من أغناه الله عزَّ وجلَّ عن الأكل والشرب من الناس فقد أبانه ورفع درجته على من لم يغنه عن الأكل والشرب ، فيحيى أفضل من المسيح ، بلا شك ، على هذا .

على أية حال فإن هذه المسائل ليست جميع المسائل التي تحدثت عنها الأناجيل بشأن النبي يحيى . فهناك أمور لم يرد ذكرها في القرآن الكريم ، وأهمها أن يحيى جاء ممهداً للمسيح عليهما السلام . ومنها مقتل يحيى وتعاليمه التي نادى بها بين بني إسرائيل والوثنيين . ويذكر أن إنجيل برنابا لم يأت بشيء من ذلك كله .

هل مهد يحيى الطريق أمام المسيح ؟ وإذا كان مهد له فهل كان تمهيده لقدوم نبي أو لتجسد إله كما يقول المسيحيون ؟

---

(١) ابن حزم الأندلسي . الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ٧١ .

لقد أوردت الأناجيل أن أم يحيى حملت به قبل حمل مريم بستة أشهر، وقد أكدت ذلك الخبر كلّ المصادر المسيحية. شب يحيى وشب المسيح وهم أبناء سنة واحدة، وتقول الأناجيل إن المسيح بدأ دعوته وعمره ثلاثون عاماً. وتسقط ذلك على النبي يحيى، أي أن يحيى بدأ نبوته ودعوته وهو في سن الثلاثين.

تقول المصادر المسيحية: (ماإن بلغ يوحنا السنة الثلاثين من عمره الموافقة لسنة ٧٨٠ لتأسيس روما، والسنة الثلاثين للمسيح، حتى وقف الملاك جبرائيل بإزائه وهو يأكل الأعشاب البرية ويعيش على وُصف، وقال له إن الله الذي خلقك وقدسك وأنت في أحشاء أمك ومرسل كل هذه السنين الطويلة وردَّ عنك هجمات الشياطين والوحوش الضارية قد اختارك لتكون آلة بين يديه لخلاص البشر. قم واذهب إلى الأمكنة المأهولة وهناك عظْ وعمِّد الذين يأتون إليك وقل لهم توبوا فقد اقترب ملكوت السموات)[1].

وهذا يعني أن تبليغ النبوة لدى يحيى بدأ وسنه ثلاثون سنة. وتذكر المصادر المسيحية أن هيرودس قتله وعمره ثلاث وثلاثون سنة. بمعنى أن دعوته استمرت ثلاثة أعوام فقط.

وإذا عدنا إلى المسيح، عليه السلام، وجدناه يبلِّغ رسالته وهو أيضاً في الثلاثين من عمره، ودامت الدعوة ثلاث سنوات.

وهذا يعني أن هناك اتفاقاً بين المسيح ويحيى في الولادة والتبليغ والنهاية، وكلاهما دامت دعوته ثلاث سنين فقط.

إذاً كيف بُعث يحيى ليمهد للمسيح. إذا كان فعلاً بُعث تمهيداً له فمن المفترض أن يكون بينهما زمن كافٍ للتمهيد. وإذا كان حقاً مهد للمسيح فمعناه أن

---

(١) الخوري فرنسيس منعم. منية الجنان في حياة يوحَنّا المعمدان ص ٣٤.

نُبوَّته سابقة على نُبُوَّةِ المسيح .

ولكن الحقيقة تقول غير ذلك لنستمع إلى قوله تعالى : ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [مريم : ١٢].

فيحيى منح الحكم وهم حكم النبوَّة وهو صبي . وقد مكّنه الله سبحانه ، من فهم التوراة التي نزلت على موسى ، عليه السلام ، وراح يبلغ رسالته منذ حداثة سنة .

والواقع أن بني إسرائيل كانوا بحاجة لنبي باستمرار حتى يعودوا إلى رشدهم بعد أن ضلوا ، والواقع أيضاً أننا لو رجعنا إلى النص الذي أوردناه ، وهو من مصدر مسيحي ، لوجدنا أن هناك عدة نقاط يجب الاستفهام والاستفسار عنها .

فالذي كتب هذا الكلام كيف عرف ماكلم به جبرائيلُ النبيَّ يحيى . لأن ذلك لم يرد في الأناجيل؟ ثم قوله لقد اختارك لتكون آلة بين يديه لخلاص البشر . فالواقع أن النبي لايكون آلة أو أداة إنما هو نبي موحىً إليه ، ولديه كتاب سماوي يشرع من خلاله .

ولم يرد في القرآن الكريم أن يحيى جاء ممهداً للمسيح ، ونعتقد أن مهمته ليس التمهيد للمسيح بما أنهما وجدا في زمن واحد وبلّغا الرسالة في آن واحد وانتهى وجودهما عن الأرض في آن واحد أيضاً .

غير أن هذا التوافق في الولادة وتبليغ الرسالة والنهاية يوقفنا أمام سؤال؟ لماذا يوجد اثنان من الأنبياء في آن واحد ومكان واحد وبدعوة واحدة؟ ألا يكفي نبي واحد كي يبلغ الرسالة؟

الواقع أن ثلاثة أنبياء اجتمعوا في آن واحد هم زكريا والنبي يحيى والمسيح عليهم السلام ، فزكريا قتل بعد مقتل يحيى وقبل رفع المسيح إلى السماء .

والواقع أيضاً أن عدة أطراف كانت موجودة في ذاك العصر، وهذه الأطراف معادية لدين التوحيد. فكان الوثنيون الرومان من جهة، والفريسيون من جهة والكتبة، وكذلك الصدوقيون، وكانوا جميعاً في حالة إشراك ونفاق وفساد. فلا بد أن يحتاج العصر لأكثر من نبي حتى يدعّم موقفه موقف النبي الآخر. والحقيقة أنه على الرغم من وجود أكثر من نبي فقد استطاع الوثنيون واليهود أن يقتلوا يحيى ثم زكريا ويقتلوا المسيح حسب زعم النصارى، فثلاثة أنبياء تصدوا للوثنية الرومانية وللانحراف اليهودي لكنهم دفعوا الثمن حياتهم.

لكن المصادر المسيحية تقول إن اليهود أخذوا يقبلون إلى يحيى ويعتمدون منه لمغفرة الخطايا تاركين وراءهم تعاليم الصدوقيين والفريسيين والكهنة العقيمة التي لم تكن تروي أرواحهم وعقولهم. والغريب أيضاً إصرار المصادر المسيحية على القول بأن يحيى جاء يعد الطريق أمام وجه المسيح المنتظر ويوجه العقول والقلوب إلى المسيح في كل مناسبة. ويقولون على لسانه إن أعظم نعمة هي نعمة انتظار الله، إن من تنتظرونه منذ أجيال هو قائم بينكم، هو يأتي بعدي وأنتم لاتعرفونه[1].

فكيف بنبي موحى إليه من قبل الله يقول بألوهية إنسان مثله؟ ثم كيف يقول يأتي بعدي وهما من جيل واحد لايفصل بينهما سوى ستة أشهر من العمر؟

وينسب أصحاب العقيدة النصرانية أقوالاً للنبي يحيى إذا دققنا فيها نراها تتناقض مع الواقع التاريخي والديني.

فينسبون له قوله (الخلاص لايقوم بالعبور من جهنم إلى الفردوس السماوي من دون صليب).

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤.

(الله آت إلينا من بعيد ليساعدنا . . أفرحوا أيها الأنبياء وافرح أنت ياالله لأنك قد أرسلت إلينا المنتظر . .) .

فأما القول الأول . . من دون صليب . فإن فكرة الصليب لم تكن مطروحة ولامعروفة قبل أن يصلب المسيح حسب زعم المسيحية ، فمن أين جاء يحيى بفكرة الصليب وكيف أن الخلاص لايقوم من دون صليب؟ أليس هذا القول لواحد ممَّن دونوا الأناجيل المسيحية؟ إذ لايعقل أن يتحدث يحيى عن فكرة الصليب وهي غير معروفة أصلاً لا لديه ولا لغيره .

ثم قوله افرح أنت ياالله . يذكرنا بالإله التوراتي الذي تصوره اليهود يضحك ويفرح ويغضب وهو مزاجي غريب الأطوار . كيف يفرح الله لأنه بعث المسيح ليهدي البشر؟ أيحتاج الله لفرح من أجل ذلك وهو المنزه عن كل أشكال الماديات والمطابقات البشرية .

وعندما ننظر إلى التعاليم المنسوبة إليه نراها تدعو للمحبة والإيثار حتى إنّ بعض الكتب المسيحية تقول إن يوحَنَّا الذي خلق جو المحبة بين اليهود ليؤهبهم لمحبة المسيح ؛ لأنه كان يحب الإنسان ، أياً كان ، محبة حقيقية ، وكان يضرب كثيراً في وعظه وتعاليمه على وتر المحبة .

إن ذلك يقودنا إلى القول إن دين المحبة هو دين يحيى مادام هو الذي ابتدعه وليس المسيح . وهذا مايجعلنا نشك كثيراً في الأقوال المنسوبة ليحيى وللمسيح بشأن هذه المحبة . أيهما استفاد من الآخر؟ ومن له الفضل الأول في طرح مفهوم دين المحبة؟

إن الأقوال تختلط وتتداخل . وأول من وقع في مطب كهذا هم كتبة الأناجيل .

وتورد المصادر المسيحية أن سمعان وإندراوس ويعقوب ويوحَنَّا ونتنائيل

الطاهر وفلبس كانوا تلاميذ يوحَنّا، وقد صاروا فيما بعد تلاميذ المسيح. وهذا يعني أن المسيح عندما التقى هؤلاء كانوا قد آمنوا بالتوحيد واتبعوا النبي يحيى. ولم يجد المسيح صعوبة في استقطابهم.

وتورد الأناجيل أن المسيح طلب التعميد بالماء من يد يحيى، لكن يحيى خجل وصاح باندهال: أنا المحتاج أن اعتمد منه، فأجابه يسوع: دع عنك هذا يايوحَنّا وعمدني؛ لأنه يحب علي أن أتمم كل البر، أنا أطعت الله الآب، أما يجب عليك أنت أن تطيع الله الابن.

فلماذا يحتاج المسيح إلى التعميد إن كان هو الله الابن، وهل يحتاج الله للتعميد بالماء ثم يقولون: إذ رأى ذاته في حضرة الأقانيم الثلاثة.. فهل كان مفهوم الأقانيم الثلاثة موجوداً ذاك الوقت أو أن بولس وأشياعه هم من اخترعوا الأقانيم الثلاثة؟

والأدهى من ذلك كله أنهم ينسبون إلى يحيى قوله: هو ذا حمل الله يرفع خطيئة العالم، إني رأيت الروح مثل حمامة قد نزل من السماء ونزل عليه وأنا عاينت وشهدت أنّ هذا هو ابن الله.

كيف يجرؤ نبي على قوله: إن المسيح هو ابن الله، ثم يقول في مكان آخر إن المسيح هو إله؟ إذاً من بعث يحيى منذ البداية وأين جبيل من تبليغ الرسالة عندما التقى يحيى مبعوثاً من الله سبحانه حتى يبلغ رسالته؟

على أية حال فللمسيح شهادة في يحيى يقول فيها: ذاك كان هو السراج الموقر المنير، وأنتم أحببتم أن تبتهجوا بنوره ساعة، فماذا خرجتم من البرية تنظرون؟ أقصبة تحركها الريح؟ أم ماذا خرجتم تنظرون أأنسانا لابساً لباساً ناعماً. هو ذا الذين عليهم اللباس الناعم هم في بيوت الملوك، أم ماذا خرجتم تنظرون أنبياً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي، لأن هذا هو الذي كتب عنه هاأنذا مرسل

ملاكي أمام وجهك يهيئ طريقك قدامك. الحق أقول لكم إنه لم يقم في مواليد النساء أعظم من يوحَنَّا المعمدان، ومن أيام يوحَنَّا المعمدان إلى الآن ملكوت السماوات يغصب، والغاصبون يختطفونه، لأن جميع الأنبياء والناموس تنبأوا إلى يوحَنَّا، وإن أردتم أن تقبلوا فهو إيليا المزمع أن يأتي.

وتورد المصادر المسيحية أن يحيى كان شديد الاحتجاج على هيرودس الملك الذي أراد أن يتزوج زوجة أخيه ويخطفها من أحضانه بعد أن وقع بينه وبينها حب، وهو ما أدى إلى حقدها عليه، ودفعت هيرودس بعد أن أسكرته ليقطع رأس يحيى ويرتكبان أبشع جريمة بحق نبي، وهو ماجعل المسيح يغضب ويحزن كثيراً.

وإضافة ليحيى فإن هناك أنبياء كإشعيا كرستهم المسيحية وفسرت أقاويلهم على أنها تبشير ونبوءات عن المسيح الإله، وماهي إلا إرهاصات لنبوة قادمة. وقد عهدنا مثل هذه النبوءات عند بعض الأنبياء، كتبشير المسيح عليه السلام بمجيء سيد المرسلين محمد ﷺ.

نبوة المسيح في القرآن والأناجيل

المسيح عليه السلام نبي مرسل صاحب كتاب الإنجيل الذي هو من بين كتب سماوية كبرى هي التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وقد امتازت نبوته بأنه بعث لبني إسرائيل لأسباب أوضحها القرآن الكريم، وبث بعضها الأناجيل وبعض المصادر المسيحية اللاحقة. ولأهمية الموضوع فإننا ندرس فيه:

١ ـ بدء النبوة لدى المسيح، وهل النبوة غير الدعوة. موقع المسيح بين الأنبياء.

٢ ـ تعاليم المسيح التي بثها في بني إسرائيل والرومان الوثنيين.

٣ ـ مجال دعوة المسيح جغرافياً.

٤ ـ صفات نبوته كما نكتشفها من الأناجيل، وصفاته كما وردت في القرآن الكريم.

يشير القرآن الكريم بداية إلى السيد المسيح، عليه السلام، على أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وأنه سيكون نبي بني إسرائيل الجديد. وقد جاءت هذه الإشارة خلال رده في المهد على قوم أمه حين جاءت إليهم تحمله فرابهم ذلك وكادوا يشكُّون في طهارتها.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

فالمسيح أراده الله نبياً منذ البداية، وككل الأنبياء فقد اصطفاهم الله في علمه قبل أن يولدوا، وقد رباهم الله برعايته وحفظه لحين تبليغ الدعوة.

وقد أشارت آيات قرآنية كريمة إلى نبوة المسيح عليه السلام.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

ويقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧].

ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١].

ويقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

ويقول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ..﴾ [آل عمران: ٤٩].

ونستطيع أن نستنتج أن المسيح عليه السلام نبي رسول بعث إلى بني إسرائيل وكانت مهمته إعادتهم إلى جادة الصواب بعد أن انحرفوا عن دين التوحيد وحجّروا الدين، ونستطيع أن نعرف من آيات القرآن الكريم أن المسيح أنزل عليه كما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وموسى. فهو نبي مرسل منحه الله كتاباً سماوياً وهو الإنجيل. وقد أيده بالروح القدس، جبريل، عليه السلام.

ولهذا كان المسيح، عليه السلام، من أولي العزم من الرسل.

كانت وسائله في الدعوة كثيرة، أولها أنه مُنح من الله فهم التوراة، ثم إجراؤه لمعجزات شتى، كشفاء الأبرص وخلق الطير، وإحياء الموتى بإذن الله. ومنحه الله الحكمة وغير ذلك من الصفات والمنح التي لاتُعطى إلا لنبي.

أما في الأناجيل فقد وردت تصريحات عديدة وإشارات تؤكد نبوة المسيح، عليه السلام، لكن أصحاب المسيحية يُرجعون هذه النبوة إلى الجانب الناسوتي من المسيح حسب زعمهم.

ففي إنجيل مَتَّى: (ولما دخل أورشليم ضجت المدينة كلها وسألت عن هذا: فأجابت الجموع هذا النبي يسوع من ناصرة الجليل) مَتَّى ٢١: ١٠-١١.

وجاء فيه: (فلما سمع الأحبار والفريسيون أمثاله وأدركوا أنه يعرض بهم

في كلامه فحاولوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبياً) ٢١ : ٤٥ ـ ٤٦ .

وقد جاء في إنجيل يوحَنّا أن المسيح قال في دعائه : (إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وأنك أرسلت اليسوع المسيح) .

وقال المسيح لبني إسرائيل : (تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله) فذكر ماغايته أنه رجل بلغهم ماقاله الله ، ولم يقل وأنا إله ولا ابن إله على معنى التوالد وقال : إني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسي ، ولكن بمشيئة من أرسلني ، وقال إن الكلام الذي تسمعونه مني ليس من تلقاء نفسي ولكن من الذي أرسلني ، والويل لي إن قلت شيئاً من تلقاء نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني ، وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول : ماجئت لأُخدم إنما جئت لأَخدم . فأنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله الله بها وهي منزلة الخدام ، وقال : لست أدين العباد في أعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ، ولكن الذي أرسلني هو الذي له ذلك منهم . كل هذا في الأناجيل التي بأيدي النصارى وفيها أن المسيح قال : يارب قد علموا أنك أرسلتني وقد ذكرت لهم اسمك) فأخبر أن الله ربه وأنه عبده ورسوله وفيه أن الله الواحد رب كل شيء أرسل من أرسل من البشر إلى جميع العالم ليقبلوا إلى الحق ، وفيه أنه قال : (إن الأعمال التي أعمل هي الشاهدات لي بأن الله أرسلني إلى هذا العالم ، وفيه أيضاً : (ماأبعدني وأتعبني إن أحدثت شيئاً من قبل نفسي ولكن أتكلم وأجيب بما علمني ربي ، أو قال (إن الله مسحني وأرسلني وأنا عبد الله ، وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص) . وقال (إن الله عزَّ وجلَّ ماأكل ولايأكل وماشرب ولايشرب ولم ينم ولن ينام ولا ولد له ولايلد ولا يولد ولا رآه أحد ولايراه أحد إلا مات) وبهذا يظهر لك قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا

﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] وهذا تذكير للنصارى بما قال لهم المسيح.

وقال في دعائه لما سأله ربه أن يحيي الميت (أنا أشكرك وأحمدك لأنك تجيب دعائي في هذا الوقت وفي كل وقت فأسألك أن تحيي هذا الميت ليعلم بنو إسرائيل أنك أرسلتني وأنك تجيب دعائي).

وفي الأناجيل أن المسيح حين خرج من السامرية ولحق بجلجال قال: (لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه) فلم يزد على دعوى النبوة.

وفي إنجيل لوقا: أن رجلاً أقبل إلى المسيح وقال: أيها المعلم الصالح أي خير أعمل لأنال الحياة الدائمة؟ فقال له المسيح لم قلت صالحاً إنما الصالح الله وحده، وقد عرفت الشروط، لاتسرق ولاتزن ولاتشهد بالزور ولاتخن وأكرم أباك وأمك).

وفي إنجيل يوحَنَّا أن اليهود لما أرادوا القبض عليه رفع بصره إلى السماء وقال: قد دنا الوقت ياإلهي فشرفني لديك واجعل لي سبيلاً أن أملك كل من ملكتني الحياة الدائمة. وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً وبالمسيح الذي بعثت، وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت الذي أمرتني به فشرفني).

فلم يدَّعِ سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث. وفي إنجيل مَتَّى: (لاتنسبوا أباكم الذي على الأرض، فإن أباكم الذي في السماء وحده، ولاتدعوا معلمين فإنما معلمكم المسيح وحده)، والآب في لغتهم الرب المربي أي لاتقولوا إلهكم وربكم في الأرض ولكنه في السماء. ثم أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكه وهو أن غايته أنه يعلم في الأرض وإلههم هو الذي في السماء.

وفي إنجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا إن هذا النبي لعظيم وإنّ الله قد تفقد أمته. وفي إنجيل يوحَنَّا أن المسيح أعلن صوته في البيت وقال لليهود: (وقد عرفتموني وموضعي ولم آت من ذاتي، ولكن بعثني الحق وأنتم تجهلون أني

منه وهو بعثني) فما زاد في دعواه على ماادعاه الأنبياء فأمسكت المسيحية قوله إني منه وقالوا إله حق من إله حق. وفي القرآن رسول الله وفي الإنجيل أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له (نحن أبناء الله. فقال لهم لو كان الله أباكم لأطعتموني لأني رسول منه خرجت مقبلاً ولم أقبل من ذاتي ولكن هو بعثني. لكنكم لاتقبلون وصيتي وتعجزون عن سماع كلامي إنما أنتم أبناء الشيطان وتريدون إتمام شهواته).

وفي الإنجيل أن اليهود أحاطت به وقالوا له: (إلى متى تخفي أمرك؟ إن كنت المسيح الذي ننتظره فأعلمنا بذلك) ولم يقل اليهود إن كنت الله أو ابن الله فإنه لم يدَّعِ ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه.

وفي الإنجيل أيضاً أن اليهود أرادوا القبض عليه فبعثوا لذلك الأعوان، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم فقالوا لهم لمَ لمْ تأخذوه؟ فقالوا ماسمعنا آدمياً أنصف منه، فقال اليهود وأنتم أيضاً مخدوعون أترون أنَّه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب؟ فقال لهم بعض أكابرهم أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه فقالوا له اكشف الكتب تَرَ أنه لايجيء من جلجال نبي. فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكه أنه نبي، ولو علمت من دعواه الإلهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه، وكان أعظم أسباب التنفير عن طاعته، لأن كذبه كان يعلم بالحسّ والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء[1].

وترى المصادر المسيحية أنه على الرغم من أن يسوع أشار إلى نفسه أنه نبيّ لديه رسالة خاصة من الله، إلا أن أعماله النبوية الخاصة لم تكن في حاجة إلى تأكيد شفوي على مركزه النبوي، فقد تنبأ عن المستقبل. ثم إن تعاليم المسيح كانت ذات طبيعة نبوية في صبغتها الغالبة كان من الطبيعي أن يشير إليه الناس أنه نبيّ. وعلى الرغم من أن مواصفات النبوّة الشائعة في حقبة العهد القديم انطبقت

---

(١) ابن القيم الجوزية هداية الحيارى ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ـ ٢٠٢.

عليه من جهة علاقة تصريحاته بالماضي والحاضر والمستقبل، إلا أن المسيرة النبوية الجوهرية التي طغت على خدمته كَمَنَت في مقدرته الدائمة على تفسير الشريعة الإلهية وتطبيقها على الحياة اليومية المعاصرة. أما تفسيره للشريعة الإلهية فقد كان مدعوماً دائماً بحياته الطاهرة وسلوكه الذي لم تكن به شائبة أخلاقية. في هذا لم تنطبق عليه مواصفات في مفهوم الوحي الإلهي ليست مجرد ادعاء بالحصول على وحي أو رسالة من الله، لكنها مصحوبة بقوة معجزية خارقة تدل على أن الله هو مصدرها. ثم إنها أيضاً مصحوبة بحياة نقية طاهرة يتحلى بها النبي دلالة قاطعة على أن تكريسه للنبوة هو من الله[1].

وهذا مغاير لادعاءات الكثيرين من الأنبياء المزيفين، فهؤلاء اتّسمت ادعاءاتهم بخلوها من القيمة المعجزية الإلهية، ومع أنهم ادعوا المقدرة على القيام بالمعجزات فإن سجلاتهم تشهد أن المعجزات التي ادعوها كانت من نسج خيالهم، ولم تكن من مصادر موثوق بها، لأن المعجزات الحقيقية التي مصدرها قوة الله لاتحصل في الخفاء بل في العلن وإلا لما كان لحصولها أي معنى. بيد أن الحياة الأخلاقية للأنبياء الكذبة عبر التاريخ تتسم بفساد جنسي ورغبة قوية في التسلط على الآخرين، بالإضافة إلى الخوف الدائم من المعارضين، والسعي للبطش بهم. أما الأنبياء الحقيقيون الذين كان يسوع مثالهم الأسمى، فإن تقواهم الحقيقية لم تكن تخفى على أحد. ثم إنهم عبروا عن ثقة دائمة في الله وعن رغبة دائمة في طاعة شريعته وأوامره الخاصة. أما ثقتهم في الله فقد دلت عليها حياة التضحية التي مارسوها كل يوم؛ لأنه لم يكن يهمهم إرضاء البشر على الإطلاق، بل إرضاء الله في كل مايقولونه ويعملونه ويفكرون به. أما المعجزات التي صحبت خدمتهم فلم يستعملوها لنيل ربح شخصي، بل على

(١) منيس عبد النور هل تجسد الله ص ٨٧.

العكس نراهم يقشعرون عندما يحاول أحد أن يعطيهم سلطة إلهية، أو عندما يعتقد بعضهم أن معجزاتهم تلك ناتجة عن مقدرة كامنة فيهم[1].

إن ماجاءفي بعض المصادر المسيحية من وصف لنبوة المسيح لايكاد يختلف كثيراً عما جاء في الإسلام، لولا الخلط أحياناً بين الأعمال النبوية والأعمال الإلهية، ولولا أنهم يميزونه عن بقية الأنبياء بأنه أفضلهم.

متى كلّف المسيح بالدعوة ومتى أنزل الوحي عليه الرسالة؟

لم يشر القرآن الكريم إلى زمن نزول الوحي بالرسالة على السيد المسيح عليه السلام. بينما وردت أحاديث نبوية تشير إلى ذلك. أما الأناجيل فإنها تروي أن المسيح لما بلغ سن الثلاثين بدأ خدمته النبوية، لكن إنجيل برنابا يصف نزول الوحي على المسيح، عليه السلام، وصفاً هو أقرب للحقيقة لأنه يتشابه مع قصة نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ، وعلى ماحدث مع موسى، عليه السلام، عندما كلمه الله من وراء حجاب وكلفه بالرسالة.

يقول برنابا: (ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر، كما أخبرني بذلك نفسه، صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً. وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات يارب برحمة...، وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لايحصى من الملائكة كانوا يقولون: لِيتمجد الله، فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة، فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به مافعل الله وماقال الله ومايريد الله، حتى إن كل شيء كان عرياناً ومكشوفاً له ولقد قال لي: صدِّق يابرنابا أني أعرف كل نبي وكل نبوة وكل ماأقوله إنما جاء من ذلك الكتاب) برنابا الفصل ١٠ : ١ ـ ٥.

ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل إلى بيت إسرائيل كاشف

---

(١) القس منيس عبد النورهل تجسد الله ص ٨٧.

مريم أمه بكل ذلك) برنابا ١٠ : ٦ ـ ٧ .

أما إنجيل مَتَّى فيعتبر تعميد المسيح بدء دعوته فيقول : (واعتمد يسوع وخرج لوقته من الماء ، فإذا السماوات قد انفتحت فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة وينزل عليه ، وإذا صوت من السماء يقول هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت) مَتَّى ٣ : ١٦ ـ ١٧ .

فحسب مَتَّى لايوجد هناك كتاب ولاتبليغ بالرسالة إنما هناك تعميد من قبل يوحَنّا المعمدان ، وبعد التعميد ينزل الروح القدس دون أن يكلمه أو يبلغه أي رسالة إنما ظهر صوت من السماء يقول هذا هو ابني . .

ويأتي في إنجيل مُرقص ماجاء في مَتَّى حيث إن يسوع يُعمّد على يد يوحَنّا في الأردن ، وبينما هو خارج من الماء رأى السموات تنشق والروح ينزل عليه كأنه حمامة ، وإذا صوت من السماء يقول أنت ابني الحبيب عنك رضيت .

فمَتَّى يقول السماوات انفتحت ، بينما مُرقص يقول السماء انشقت ، وماعدا ذلك فهما يتشابهان وأحدهما يستقي من الآخر ويضيف عليه .

وفي إنجيل لوقا يذكر قصة التعميد على الشكل التالي : ولما اعتمد الشعب كله واعتمد يسوع أيضاً وكان يصلي انفتحت السماء ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة وأتى صوت من السماء يقول أنت ابني الحبيب عنك رضيت .

لكن لوقا يردف قائلاً : وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره وكان الناس يحسبونه ابنَ يوسف بن عالي) .

فسيتضح من كلامه أن التعميد رافقه بدء دعوة المسيح حيث كان عمره ثلاثين سنة .

وجاء في إنجيل يوحَنّا : في اليوم الثاني رأى يسوع آتياً نحوه فقال هو ذا حَمَل

الله الذي يحمل خطيئة العالم، هو الذي قلت فيه يأتي بعدي رجل قد تقدمني لأنه كان قبلي، ولم أكن أعرفه ولكني ماجئت أعمد في الماء إلا لكي يظهر أمره لإسرائيل) وشهد يوحَنّا قال: (رأيت الروح ينزل من السماء كأنه حمامة فيستقر عليه ولم أكن أعرفه، ولكن الذي أرسلني أُعَمَّد في الماء قال لي إن الذي ترى الروح ينزل فيستقر عليه هو ذاك الذي يُعمِّد في الروح القدس، وأنا رأيت وشهدت أنه هو ابنُ الله) يوحَنّا ١ : ٣١ـ٣٤.

فالأناجيل الأربعة لاتشير من قريب أو بعيد إلى نزول الوحي بكتاب على السيد المسيح.

وفي هذه الأناجيل اتفاق على أن الروح القدس نزل على السيد المسيح كحمامة، وانفتحت له أبواب السماء. وإنجيل برنابا هو الوحيد الذي يشير إلى الإنجيل الذي أنزله الله، سبحانه، على المسيح بواسطة الملاك جبريل عليه السلام.

المسيح الكاهن حسب الأناجيل

ترى المسيحية أن المسيح قام بعمل الكهنوت إضافة إلى عمله النبوي. والواقع أن كهنوت المسيح، حسب ماتقوله المسيحية، ليس إلا امتداداً للكهنوت اليهودي حيث إنّ الكاهن هو الشخص الذي يقوم بتمثيل البشر أمام الله، وذلك إما بتقديم ذبائحهم لله بالنيابة عنهم، وإما بنقل صلواتهم وطلباتهم إلى الله. ويرون أن ذلك بالطبع يعود لفقدان البشر المقدرة على الوقوف أمام الله بأنفسهم بسبب فسادهم وخطيتهم. لأجل هذا السبب رتب الله الكهنة من بين البشر الذين أهَّلهم وأعدهم للقيام بتلك المهمة الكهنوتية، فلم يكن الشخص العادي يقدر أن يقترب من قدس الأقداس في حالته الساقطة، مفصولاً أخلاقياً وروحياً عن الله، وهو ذو طبيعة مغايرة لطبيعة الله الطاهرة. لذلك ليس باستطاعة الإنسان القدوم إلى محضر الله بنفسه، أما الكهنة الذين أقامهم الله عبر أجيال حقبة العهد القديم فقد أُعطوا الحق في تمثيل بني البشر أمام المحضر الإلهي، فكان الكاهن يأخذ على

نفسه مهمة إعادة تلك العلاقة الطبيعية التي كانت بين الله وبني البشر إلى ماكانت عليه قبل السقوط، ولو بشكل جزئي ومؤقت[١].

وقد وصل التمادي في الخيال والأسطورة أن المصادر المسيحية اعتبرت كل القرابين التي قدمت لدى كهنة العهد القديم هي من أجل المسيح قبل أن يأتي. إن المسيح هو المرموز إليه في الذبائح والصلوات التي قاموا بتقديمها، وقد دُعي المسيح رئيس الكهنة، ورئيس كهنة عظيم، وكاهن إلى الأبد، ورئيس كهنة إلى الأبد، ورئيس كهنة الله.

من خلال ماتقدم نستخلص أن شخصية المسيح تحمل في ذاتها النبوة والكهنوت إلى جانب الألوهية حسب ماتقول العقيدة النصرانية.

وإذا رجعنا إلى مااعتمده كهنة النصرانية في قولهم عن كهنوت المسيح نرى كثيراً من التناقض يلف مااستندوا عليه، إضافة لمخالفة الواقع الذي عاش فيه المسيح. فقد اعتمدوا على قول سفر زكريا (يبني هيكل الرب، ويحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه) نبوة زكريا ٦ : ١٣ فالواقع أن المسيح لم يبنِ هيكل الرب ولم يتسلط على كرسيه طوال فترة حياته القصيرة. لقد أوردت الأناجيل أن زكريا كان يكهن في بيت الرب، واختيار الكاهن من بين اليهود ليس بالأمر السهل، فهناك قوانين صارمة كان يتبعها اليهود في تعيين الكهنة، منها انتسابهم للأسباط، ومنها أيضاً حمل الشريعة والعلم فيها، والمسيح، عليه السلام، كان محارَباً من قبل اليهود ومن مجلس الكهنوت اليهودي، فكيف ينبي هيكل الرب وكيف يتسلط عليه؟ وتشير الأناجيل نفسها إلى الكاهن الذي كان في زمن القبض على المسيح يدعى قيافا ولم تشر أية حادثة أن المسيح بنى الهيكل أو كان يكهن للرب في بيته.

---

(١) القس منيس عبد النور هل تجسد الله ص ٨٨ ـ ٨٩.

أما قولهم إن المسيح كونه متميزاً بكهنوته عن جميع الكهنة كان الواسطة بين الناس والله ليغفر خطاياهم أو يمثلهم أمام الله، فكيف يمثل المسيح الناس أمام الله وهو، حسب قول المسيحية، هو الله ذاته تجسد بشكل إنسان، كيف يكون المسيح واسطة الناس لنفسه فهو الله وهو النبي وهو الكاهن حسب زعم النصرانية؟ أما إذا قيل إنّ النبوة والكهنوت تتمثلان بالجانب الناسوتي من المسيح فنرى أن المسألة تحوي من التناقض الكثير. إذ لايمكن أن يكون المسيح واسطة بين الله والناس إلا إذا كان بشراً نبياً أو كاهناً وليس له علاقة بالألوهية. أما أن يقولوا إن المسيح هو الله فيعني ذلك أن الالوهية تنفصل عن شخصيته حين يكهن أو يخدم خدمته النبوية. فإما أن يكون المسيح هو الله فلا يحتاج لواسطة أوليكون هو واسطة لغيره، وإما أن يكون كاهناً ونبياً فحسب، وعندهنا يكون واسطة بين الله والناس حسب ماتقول النصرانية.

وتلجأ التفسيرات المسيحية إلى شرح كهنوت المسيح بأنه هو الذي قدم نفسه قرباناً أو ذبيحة تكفيراً عن خطايا الشعب. وتقول التفاسير: (إن الوحي الإلهي يطرح نفسه أمامنا حقيقة راسخة لانزاع عليها بالنسبة لعمل المسيح الكفاري، وهي أنه هو وحده الذي كان مؤهلاً لأن يكون فادي البشر. والذي باستطاعته معالجة معضلة سقوطهم وخطيتهم، وماكانت ذبائح العهد القديم سوى رموز يتذكر بها البشر خطيتهم. ويتطلعون إلى قدوم ذلك المخلِّص الذي يذبح قانونياً بالنيابة عنهم (لأن أولئك بدون قسم صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء، وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لايزول).

وتقول التفسيرات المسيحية ذبيحة المسيح تختلف عن ذبائح الآخرين من عدة جوانب، فهي ذبيحة حقيقية، فالذبائح السابقة لم تكن لها سوى فائدة واحدة وهي أنها كانت ترمز إليه. وذبيحة المسيح هي ذات مدى غير محدود، فهو كالكاهن الإلهي غير المحدود، قدم ذبيحة غير محدودة الفعالية. وذبيحة المسيح هي أبدية الأثر.

ويقولون إن وظيفة المسيح الكهنوتية لها جانب شفاعته بالنيانة عن مفدييه. فالذي نلاحظه أن كهنوت المسيح الذي تقول به المسيحية يرتبط بمسألة أكبر وهي صَلْبُه وموته على الصليب حسب زعم المسيحية. ولعل ماينبنى على ذلك هو باطل لأن المسيح لم يصلب إنما رفعه الله إلى السماء. أما قولهم إنه قدّم نفسه قرباناً أبدياً فرفع خطايا البشر، فماذا نقول عن المخطئين الذين جاؤوا بعد المسيح، هل قدَّم نفسه قرباناً عن خطأ الذين سبقوه والذين أتوا بعده؟ وإذا كان قد كَفَّر عن خطايا الذين أتوا بعده. فكل أخطاء البشر من قتل وزنا وسرقة وحرام مغفورة سلفاً، وهذا ماينافض الحقيقة ويناقض أساس خلق البشرية. فالبشرية خلقت لتُمتحن ويحاسب كل إنسان على عمله، ولو أن المسيح فعلاً كفّر عن ذنوب البشر الذين أتوا بعده لما بقي حاجة لعمل الخير أو العبادة أو التمسك بالعقائد. فمن لايعمل خيراً ولايعبد الله ولايتمسك بالعقيدة سيكون مع الخيّرين في الجنة لأن ذنوبه مغفورة سلفاً.

إن المسيح لايملك أن يغفر ذنوب أحد فهو نبي كسائر الأنبياء وليس بيده الأمر حتى يغفر لفلان ولايغفر لفلان آخر.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٧ - ١٦٩].

ويقول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

ويقول الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

ومن جانب آخر فإن قول المسيحية إن المسيح كفّر عن خطايا البشر حتى يوم الدينونة يفتح الباب على مصراعيه للأهواء البشرية لترتكب أفحش الجرائم من قتل وزنا وسرقة وكل أشكال المحرمات، وفي الوقت نفسه فإن هذا التكفير يلغي قول المسيح لاتزن ولاتسرق ولاتقتل. فلماذا ينهى المسيح الناس عن المحرمات وفي نفس الوقت هو الذي سيغفر ذنوبنهم بتقديم نفسه قرباناً لله.

وإذا درسنا منهج الدعوة عند الأنبياء جميعاً وجدنا أنهم يعترفون أنهم بشر ولايستطيعون مغفرة أي ذنب، لأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، وليس لديهم خزائن الأرض ولا أموال حتى يفرّقوها على الناس. إنما أجرهم على الله كما هي دعوتهم لله دون أن يعدوا الناس بأي مال أو ذهب. إنما يعدونهم بالجنة من خلال وعد الله للمؤمنين الصادقين بأن آخرتهم رضاً وجنان واطمئنان.

النبي المسيح والكتب السماوية

ماعلاقة المسيح، عليه السلام، بالتوراة والزبور؟

لاشك في أن التوراة التي أنزلت على النبي موسى والنبي هارون هي وحي من السماء. وطبيعي أن الأنبياء جميعاً يؤمنون بالله الواحد الأحد، والأنبياء الذين أتوا برسالات كبرى كالنبي عيسى، عليه السلام، والنبي محمد ﷺ يؤمنون بتلك الكتب المنزلة من السماء، وهذا الإيمان بالكتب السماوية جزء أساسي من العقيدة وجزء أساسي من الإيمان ككل.

والمسيح، عليه السلام، بعث إلى بني إسرائيل الذين كان لديهم كتاب التوراة، فعدَّلوا عليه وحرفوا كثيراً من أقواله وتعاليمه. وباعتبار أن المسيح نبي موحى إليه كان يعرف ماطرأ على التوراة من تحريف ويعرف كيف يهيمن على تلك التوراة بقدرة الله عزَّ وجلَّ. ولذلك واجه اليهود من خلال تعاليم التوراة الصحيحة.

وأنزل الله، سبحانه، الإنجيل على المسيح، عليه السلام، لينقض التحريفات التي جرت في التوراة وليكمل تعاليم الأنبياء الذين أتوا قبله.

ولو قارنا بين ماجاء في الإنجيل وماجاء في التوراة لوجدنا تداخلاً واضحاً في التعاليم والإرشادات بشكلها العمومي دون تفصيلات. ونستطيع أن نتعرف هذه التعاليم من خلال القرآن الكريم.

ومما لاشك فيه أن الأناجيل تزخر بأقوال للمسيح، عليه السلام، تذكر اليهود بما في توراتهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ويقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

فمن الواضح جداً أن الله، سبحانه، أرسل المسيح نبياً لبني إسرائيل يعرف التوراة والحكمة، أي إنه يعرف التشريعات الإلهية التي أنزلها على الأنبياء قبله. فلا حجة لليهود عليه ولامجال للادعاء بأنهم أعرف منه بالشريعة والتوراة.

ومنذ الفصل الثاني من إنجيل مَتَّى نرى التداخل بين التوراة والإنجيل حيث يقول: (فقد أوحي إلى النبي فكتب وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست أصغر ولايأتي يهودا فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي إسرائيل).

وفي الحديث عن استشهاد أطفال بيت لحم يورد مَتَّى قولاً على لسان النبي والمقصود به نبي من بني إسرائيل: (صراخ سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزى لأنهم زالوا عن الوجود).

ويورد هذا الإنجيل في الفصل الرابع أقوالاً من التوراة على لسان إشعيا النبي.

فقال: (ليتم ماقيل على لسان النبي إشعيا: أرض زبولون وأرض نفتالي طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم، الشعب المقيم في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والمقيمون في بقعة الموت وظلاله أشرق عليهم النور).

وفي الفصل الخامس يعترف المسيح أنه لم يأت ليبطل الشريعة بل ليكملها:

(لاتظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء، ماجئت لأبطل بل لأكمل).

ثم يستشهد يسوع، حسب قول الإنجيل، بأقوال من التوراة تتضمن كلامه: حيث يقول: (ليتم ماقيل على لسان النبي (هو الذي أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا).

ويورد في الفصل الثاني عشر اقتباساً من سفر إشعيا يقول: (هو ذا عبدي الذي اخترته، حبيبي الذي عنه رضيت، سأفيض روحي عليه فيبشر الأمم بالحق، لن يخاصم ولن يصيح ولن يسمع أحد صوته في الساحات. القصبة المرضوضة لن يكسرها، والفتيلة المدخنة لن يطفئها، حتى يسير بالحق إلى النصر وفي اسمه تجعل الأمم رجاءها).

وقد جاء هذا المقطع تحت عنوان (في يسوع تتم نبوءة إشعيا).

وإذا لاحظنا معاني هذا النص وجدنا أنها لاتنطبق على المسيح قطعاً. فعندما

يصرح إشعيا بقوله هو ذا عبدي الذي اخترته، فإن المسيحية لاتعترف بأن المسيح عبد الله بل هو الله ذاته. وفي جانبه الناسوتي فهو نبي وكاهن وملك وليس بعبد.

وقد رأى كثير من العلماء المسلمين والمسيحيين الذين عرفوا الحق أن هذه النبوءة تنطبق على النبي محمد ﷺ، ومنهم البروفسور عبد الأحد داود الذي فسر نبوءات إشعيا في كتابه المهم (محمد في الكتاب المقدس). ومنهم أيضاً ابن القيم الجوزية في كتابه (هداية الحيارى) وابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصَل بين الملل والأهواء والنحل).

ويقتبس إنجيل مَتَّى نبوءة إشعيا في الفصل الثالث عشر التي تقول: (تسمعون سمعاً فلا تفهمون. وتنظرون نظراً فلا تبصرون. فقد غلظ قلب هذا الشعب. وأصمّوا آذانهم عن السماع وأغمضوا عيونهم، لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويتوبوا فأشفيهم).

ويورد الإنجيل في الفصل ١٥ نبوءة أخرى لإشعيا وهي تصف بني إسرائيل بقوله هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فبعيد عني. . إنهم بالباطل يعبدونني فليس مايعلّمون من المذاهب سوى أحكام بشرية.

ويستند الإنجيل كثيراً على تعاليم التوراة فيورد أقوالاً للمسيح، عليه السلام، هي من صلب تعاليم التوراة كقوله:

(أحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك تلك هي الوصية الكبرى الأولى والثانية مثلها أحبب قريبك حبك لنفسك) ٢٢ : ٣٧ ـ ٤٠.

ويستعير الإنجيل من أقوال النبي إرميا نصاً يشير إلى يهوذا الخائن وكيف باع المسيح بثلاثين قطعة من الفضة فيقول:

وأخذوا الثلاثين من الفضة وهي ثمن المثمّن

ثمّنه بها بنو إسرائيل

وأدُّوها عن حقل الخزاف

هكذا أمرني الرب

وهناك إشارة في إنجيل لوقا إلى أن المسيح كان يحمل معه سفر النبي إشعيا وهو يبشر بدعوته فقال لوقا : فدخل المجمع يوم السبت على عادته وقام ليقرأ فرفع إليه سفر النبي إشعيا ففتح السفر فوجد المكان المكتوب فيه .

روح الرب نازل علي لأنه مسحني لأبشر الفقراء

وأرسلني لأعلن للمأسورين تخلية سبيلهم

وللعميان عودة البصر إليهم . وأفرّج عن المظلومين

وأعلن سنة قبول عند الرب .

وفي كلّ الأناجيل إشارات لمفهوم يوم السبت ، فقد كان هذا المفهوم محلّ جدال عنيف بين المسيح ، عليه السلام ، وبين الفريسيين والكتبة اليهود . وكان أبرز هذا الجدال في قصة السنبل وشفاء رجل مصاب يوم السبت ، واحتجاج اليهود على السيد المسيح . وكان هذا الجدال دليلاً على معرفة السيد المسيح بالتوراة ظاهرها ومخفيّها ، ألفاظها ورموزها . أما تعاليم السيد المسيح وماجاء به من تشريعات مستندة على التوراة فلها شأن آخر وسندرسها إن شاء الله في الجزء المخصص للعبادات والمعاملات في العقيدة النصرانية .

الفصل الثالث

عالم الغيبيات بين القرآن والأناجيل

الموت والبعث - يوم الدينونة - الملائكة - الجن

إبليس - الشيطان



يشكل عالم الغيبيات في العقيدة النصرانية جزءاً هاماً مما جاء به المسيح عليه السلام، فقد وردت أحاديث كثيرة في الأناجيل عن مفهوم الموت ويوم الدينونة وعالم المخلوقات الخفية من ملائكة وجن وشياطين وحساب.

والملفت للنظر أن بعض هذه المفاهيم ربط بين الوجود الدنيوي المجسد وبين الوجود الأخروي الغائب.

فالموت ومابعده ارتبط بموت المسيح وقيامته من بين الأموات حسب قول الأناجيل، وذلك في عالم الدنيا المجسدة، وكذلك ارتبط بمفهوم مجيء المسيح يوم الدينونة (يوم الآخرة).

ونرى أيضاً ربطاً بين الوجود الدنيوي للملائكة والشياطين والوجود الأخروي، فالشيطان موجود في حياة المسيح الدنيوية، وكذلك الملائكة، وموجود أيضاً في يوم الدينونة حيث جهنم والحساب العسير.

ماذا يعني الموت في العقيدة النصرانية؟

من الطبيعي أن العقيدة النصرانية التي قامت تعاليمها في غالبيتها على التوراة والعقيدة اليهودية تولي مسألة الموت ومابعده أهمية واضحة. ففي جانب لم تشذ المسيحية عن اليهودية في مفهومها للموت، وفي جانب آخر اختلفت اختلافاً واضحاً حين ربطت مسألة الموت بموت السيد المسيح وقيامته حسب رأي الأناجيل.

ترى المصادر المسيحية أن المسيح القائم من الموت ينتمي من حينها إلى عالم الميتافيزيق (الـ ماوراء) وترى أنه انطلاقاً من نهاية مصيره، وانطلاقاً من قيامته من بين الأموات نستطيع أن ندرك معنى نهاية قيامتنا.

وقيامة المسيح هي سر عبور البشرية مع الكون كله إلى الحياة في الله. وللموت وجه آخر هو أنه ولادة جديدة. قد يتألم المسيحي من موته ولكنه

لايعجب منه فقد عاشه في يسوع العبد المتألم، وفي يسوع القائم من الموت يتم انتظار قيامة الأموات الرؤيوي.

وقد ظهرت في المسيحية أفكار عديدة عن الموت كان منها أفكار أوريجانيس، الذي يرى أن نهاية الإنسان يجب أن تكون كبدايته. فيرى أن النهاية ستجدد البداية ومنتهى الأشياء سيرد إلى بدئها، وعلى البشرية أن تعتقد بأن جوهرنا الجسدي كله سيرد إلى هذا الوضع حين تعاد الأشياء إلى الوحدة ويكون الله كل شيء في الجميع)[1].

ومن تلك الأفكار الإرجائية، وهي نزعة تتأصل في المفهوم اليهودي لمثوى الأموات، وهي التي تقول بتأجيل الرؤية السعيدة إلى مابعد قيامة الأجساد والدينونة العامة، وإذاً إلىنهاية الأزمنة وبانتظار ذلك اليوم يقيم مختارو المستقبل في مكان غير منظور يحدده الله أو فنَاء أو في مكان راحة، أو في الفردوس الذي خلقه لآدم، أو في حضن إبراهيم أوأيضاً تحت المذبح. وجميع هذه التعابير تعني المهلة المفروضة على النفوس البارّة حتى نهاية الأزمنة. ويوجد هذا المفهوم عند عدد من اللاهوتيين لاسيما القديس أمبروسيوس، وعند أفراهاط السرياني، ويعتقدون بأن النفس بعد الموت تكون في حالة تخدّر قواها.

وقد تفشت هذه الأفكار في العصر المسيحي الوسيط ومازالت متفشية إلى الآن في المذهب الأرثوذكسي. ثم في عهد يوحَنَّا الثاني والعشرين رجع البابا وكذلك الكنيسة عن هذه الأفكار وقام خليفته بندكتس الثاني بإصدار مرسوم يقول إن المختارين بعد الموت يتمتعون برؤية الله وجهاً لوجه وإن الهالكين يعانون منذ الآن عقاب جهنم.

وهذا يعني أن الإرجائيين لايعتبرون أن الموت بداية الحساب ولايعتبرون أن

---

(١) أوغسطين دوبريه لاتور. دراسة في الإسكاتولوجيا ص ٣٤.

الميت معرض للمحاسبة بعد موته، إنما هناك زمن طويل يبقى فيه هذا الميت في حالة انتظار حتى يقوم جميع الأموات في يوم الدينونة، بينما يرى بندكتس الثاني أن الإنسان فور موته يفرز إما إلى النعيم وإما إلى الجحيم.

وترى هذه الفئة أن نفوس الذين يموتون في حالة الخطيئة المميتة تنزل حالاً بعد موتهم إلى جهنم، حيث تعذب بعذابات جهنمية، ومع ذلك فإن جميع البشر يمثلون يوم الدينونة في أجسادهم أمام محكمة المسيح لتأدية الحساب عن أفعالهم الشخصية (لينال كل واحد جزاء ماعمل وهو في الجسد أخَيْراً كان أم شراً)[1].

وتقول المصادر المسيحية إن الموت الجسدي يقذف بنا في الوقت نفسه إلى أفق نهاية الأزمنة الإلهي، وبأنه لايعود هناك فرق بين قيامة مباشرة وقيامة عامة، فإن كل واحد يصبح بموته معاصراً لموت المسيح والدينونة الأخيرة والقيامة الأخيرة.

والواقع أننا لو عدنا إلى مفهوم الموت بداية ونهاية لرأينا أن المسيحية كما اليهودية، تُحمِّل آدم خطيئة كبرى جعلت الله يطرده من الجنة، وبطرده أصبح قابلاً للموت حيث إنه في الجنة كان وسيكون خالداً. ولكن الواقع أن آدم خُلق ليكون في الأرض وخلق ليموت، وما الدار الآخرة إلا البديل عن الحياة الدنيا الفانية.

لقد كان اليهود يعتقدون أن الإنسان عندما يموت ينجرّ نفساً وجسداً إلى ملكوت النسيان أو إلى بلاد الموت، ولم يكن لديهم أي مفهوم للمجازاة والمكافأة بعد الموت. ففي مثوى الأموات يحشر جميع الأموات في حالة رقاد ولايبقى أي رجاء ولا أية معرفة لله ولا أي اختبار لخوارقه ولا أية تسابيح ترفع إليه.

بينما في المسيحية يرون أن انتصار المسيح على أعدائه يعني أيضاً انتصاره على الموت، انتصار الحياة على الموت. على اعتبار أنّ المسيح في نهاية الأزمنة سينتصر

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧.

على أعدائه ويقهر الشيطان أو بعدها خلود ودوام فلا موت ولا معاناة ولا ألم.

على أية حال فملخص مفهوم الموت لدى المسيحية يقول بأن الموت عبور إلى حياة أخرى بما أن المسيح مات ثم قام من بين الأموات إلى عالم البرزخ والخلود الأبدي.

والواقع أن المسألة هنا تصل غاية الحساسية. فالقرآن الكريم يؤكد أن الموت عبور إلى الحياة الآخرة. ولكن ليس لأن المسيح قام من بين الأموات ودخل ملكوت الله، بل لأن الموت نهاية كل حي خلق من تراب أو نفس. وقد قضى الله، سبحانه، بالموت على بني البشر لأن الدنيا دار امتحان وعمل فحسب، والآخرة هي دار البقاء والخلود.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾ [مريم: ٣٣].

فالمسيح، عليه السلام، يموت مثل بقية البشر ويُبعث يوم القيامة حياً كما بقية البشر أيضاً، وقد وردت كلمة موت في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعاً، ووردت مشتقاتها أكثر من مئة مرة بصيغة الفعل والصفة والمضاف وما إلى ذلك.

وإذا عدنا إلى حادثة موت المسيح، كما تزعمها الأناجيل، وجدنا أن كثيراً من الخيال يلفها. والواقع أن المسيح لم يصلب ولم يمت، ولذلك فإن الحادثة في أساسها مزاعم وماأحيط بها أيضاً ليس إلا مزاعم.

في إنجيل مَتَّى الإصحاح ٢٧/ ٤٥ يقول: ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة، وفي مرقص يقول: ولما كان الظهر خَيَّم ظلام على الأرض كلها حتى الساعة الثالثة ١٥/ ٣٣. وفي إنجيل لوقا: وكانت الساعة نحو الظهر فخيَّم الظلام على الأرض كلها حتى الثالثة، لأن الشمس قد احتجبت) ٢٣/ ٤٤-٤٥.

والواقع أن حادثة الصلب والموت المزعومة دفعت كتبة الأناجيل كي يضفوا عليها هالة كبيرة، يريدون من ورائها إقناع الأتباع بأن موت المسيح كان عظيماً عظمة الكون كله حتى إن الدنيا أظلمت بسبب هذا الموت.

والحقيقة أن ماكتبه أصحاب الأناجيل ليس إلا صدىً لعقائد الهنود والرومان وغيرهم من الوثنيين. فيقول الهنود: إنه لما مات كرشنا مخلصهم على الصليب حدثت في الكون مصائب جمة وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند نصف النهار، وأمطرت السمات ناراً ورماداً. وقال كنون مزار إن الرومانيين واليونانيين القدماء يعتقدون أنه عند ولادة أحد العظما وموته تظهر حوادث سماوية تنبئ عن ذلك، وقد قالوا إن الشمس أظلمت عند موت رومولس مؤسس رومة، وأنه حدث ظلام في الدنيا دام ست ساعات)[1].

والواقع أنه بموت أي إنسان، نبياً كان أو بشراً عادياً، لاتحدث حوادث سماوية ولا أرضية، فالشمس لاتظلم ولاتحيط بالقمر غيمة سوداء، ولايسقط نجم أو ماشابه، وكل هذه المخلوقات الشمس والقمر والنجوم والأرض آياتٌ إلهية لتعرّف الإنسان على عظمة الخالق وليس لها علاقة بموت فلان أو ولادة فلان.

وقد بنى المسيحيون على موت المسيح المفترض أفكاراً تقول إن المسيح وطئ الموت بالموت.

وبولس يقول: (فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات) رسالة بولس إلى كورنثوس ١٥/ ٢١ ذلك حسب رأيهم أن المسيح قهر الخطيئة وإبليس، وخلص البشر جميعاً (لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع) رسالة بولس إلى كورنثوس ١٥/ ٢٢.

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر التنير ص ٧١ ـ ٧٢.

وتشير لنا آيات القرآن الكريم إلى طبيعة المسيح القابلة للموت لأنه مخلوق أساساً من تراب .

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩].

ويدحض القرآن الكريم الزعم بقيامة المسيح بقوله تعالى :

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران : ٥٥].

ويقول الله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩].

ويقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة : ١١٧].

يوم الدينونة في العقيدة النصرانية

يرد مصطلح الدينونة كثيراً في الأناجيل والمصادر المسيحية الأخرى وتطلق هذه الكلمة على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم . وتقول المسيحية إن الدينونة أعطيت للرب يسوع المسيح فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حساباً عن أعمالهم في الجسد خيراً كانت أم شراً . وهذه الدينونة عامة وشاملة وحكمها نهائية لايقبل النقض والاستئناف وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت الله وأفراحها ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية والبأس الأبدي . وقد وردت كلمة الدينونة في الأناجيل مرات عدة وارتبطت دوماً بمسألة الحساب الأخروي وفرز الصالحين عن الطالحين .

في إنجيل مَتَّى يرد: (أقول لكم إن كل كلمة باطلة يقولها الناس يحاسبون عليها يوم القيامة لأنك تزكى بكلامك، وبكلامك يحكم عليك) مَتَّى ١٢ : ٣٦.

ويأتي في إنجيل يوحَنَّا: (لاتعجبوا من هذا فتأتي ساعة فيها يسمع صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها، أما الذين عملوا الصالحات فيقومون للحياة، وأما الذين عملوا السيئات فيقومون للقضاء. أنا لاأستطيع أن أفعل شيئاً من عندي بل أحكم على ماأسمع، وحكمي عادل لأني لاأتوخى مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني) يوحَنَّا ٢٨ : ٣٠.

وورد في يوحنا أيضاً لأن الآب لايدين أحداً بل جعل القضاء كله للابن) يوحَنَّا ٥ : ٢٢.

ولعل أهم ماورد في الأناجيل عن الدينونة ماجاء في إنجيل مَتَّى بقوله:

وإذا جاء ابن الإنسان في مجده تواكبه جميع الملائكة يجلس على عرش مجده وتحشر لديه جميع الأمم فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي النعاج عن الجراء فيقيم النعاج عن يمينه والجراء عن شماله. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامن باركهم ربي فرِثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم لأني جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعدّتموني وسجيناً فجئتم إليّ، فيجيبه الأبرار يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ومتى رأيناك مريضاً أو سجيناً فجئنا إليك، فيجيبهم الملك الحق: أقول لكم: كلما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار فلي قد صنعتموه.

ثم يقول للذين عن الشمال إليكم عني أيها الملاعين، إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته، لأني جعت فما أطعمتموني وعطشت فما سقيتموني وكنت غريباً فما آويتموني وعرياناً فما كسوتموني ومريضاً وسجيناً فما زرتموني، فيجيبه

هؤلاء أيضاً يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً غريباً أو عرياناً مريضاً أو سجيناً وماأسعفناك؟ فيجيبهم الحق أقول لكم أيّما مرّة لم تصنعوا ذلك لواحد من هؤلاء الصغار فلي لم تصنعوه فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والأبرار إلى الحياة الأبديةَ . مَتَّى ٢٥ : ٣١-٤٦ .

فهذه النصوص التي وردت في الأناجيل عن يوم الدينونة تخبرنا أن هذا اليوم هو يوم الحساب بعد أن يخرج الناس جميعهم من موتهم ويبعثوا ليحاسبوا .

والواقع أن هذه النصوص تستوقفنا كثيراً ونحن نقرأها .

في نص مَتَّى عندما يقول تأتي ساعة فيها يسمع صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها . يرد قوله أنا لاأستطيع أن أفعل شيئاً من عندي : وهذا التصريح من السيد المسيح يظهر لنا بوضوح أن المسيح عليه السلام ليس بيده أمر يوم القيامة كما ورد في مواضع أخرى من الأناجيل . وبهذا الكلام يؤكد أنه نبي سيشهد على أمته يوم القيامة . وقوله : بل أحكم على ماأسمع يؤكد أنه شاهد على أفعال أمته .

يقول الله تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

وقول مَتَّى : (أنا لاأستطيع أن أفعل شيئاً من عندي يناقض تماماً قول يوحَنَّا لأن الآب لايدين أحداً بل جعل القضاء كله للابن .

فالله سبحانه ليس هو الذي سيحاسب الناس بل وكل هذه المهمة للمسيح ابنه . فهل يقاضي المسيح من خلق الله منذ آدم وحتى نهاية البشرية؟

ولنستمع إلى مايقوله إنجيل برنابا بصدد يوم الدينونة :

ولعمر الله إني أنا أيضاً لاأذهب إلى هناك لأني أعرف ما أعرف .

ثم يدعى بعد ذلك إلى الدينونة كل الكافرين والمنبوذين فيقوم عليهم أولاً كل الخلائق التي هي أدنى من الإنسان شاهدة أمام الله كيف خدمت هؤلاء الناس، وكيفأن هؤلاء أجرموا مع الله وخلقه، ويقوم كل من الأنبياء شاهداً عليهم) ٥٧ : ٨ـ١١ .

ويقول: (لعمر الله الذي أقف في حضرته، مع أني الآن أبكي شفقة على الجنس البشري، لأطلبن في ذلك اليوم عدلاً بدون رحمة لهؤلاء الذين يحتقرون كلامي، ولاسيما أولئك الذين ينجسون إنجيلي) ٥٨ : ٢١ ـ ٢٢ .

فالمسيح عليه السلام كسائر الأنبياء يُبعث من موته ويكون شاهداً على الناس الذين حرفوا إنجيله وادعوا أنه الله .

وفي النص الذي ورد في إنجيل يوحَنَّا ترد بعض المصطلحات والأسماء وتظهر لها مهمات وهي ابن الإنسان الملك رب، فابن الإنسان يأتي في مجده تحفُّه الملائكة ويجلس على عرشه وتحشر لديه جميع الأمم. والمقصود بابن الإنسان المسيح، فهو حسب هذا القول، يهمّش الخالق ويبدأ هو بمهمته الإلهية، فيحشر الناس حتى يحاسبهم وتحفُّه الملائكة من كل جانب، ثم يقول الإنجيل: ثم يقول الملك للذين عن يمينه. والملك حسب المصادر الإنجيلية أيضاً هو المسيح. فلماذا قيل في البداية ابن الإنسان ثم قيل الملك؟

ويبدو أن هناك تداخلاً بين عمل الله الملك الديان وبين المسيح .

ثم يقول: تعالوا يامن باركهم ربي. فالرب موجود ولكن في الحساب مهمش، لأن المسيح هو الذي يحاسب. فما هو عمل الله في تلك الدينونة؟ هل عمله المراقبة لما يجري أو الشهادة على الناس؟ إذا كان الله سبحانه خلق البشر وأسكنهم الأرض لتكون دار امتحان فإنه هو الذي يحاسبهم لأنه هو أعلم بخلقه وبأعمالهم .

وتتصور المسيحية أنه في نهاية الأزمنة ينتصر المسيح على أعدائه ويسلم الملك لله الآب أو (يصير هذا الملك لربّنا ولمسيحه) رؤيا ١١/ ١٥ .

ومن الملاحظ أن كل ماورد عن معنى الدينونة ، باستثناء المقطع الموسع في إنجيل يوحنا ، ليس إلا إشارات مختصرة للنعيم في ملكوت السماوات وللعذاب في جهنم أو في الظلمة الخارجية . ويرى بعض المفسرين أنه لانستطيع أن نجزم حتى ذلك اليوم أهو يوم القيامة أم يوم قيامة المسيح بعد دفنه بثلاثة أيام كما ورد في الأناجيل[١] .

يقول إنجيل مَتَّى : فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله ، الحق أقول لكم إن من القيام هنا قوماً لايذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته . فهذا النص يعني قيامة المسيح بعد ثلاثة أيام من صلبه كما جاء في الأناجيل ، وقد يؤخذ هذا النص أيضاً على أن ذلك اليوم هو يوم القيامة .

ويرد في الأناجيل مصطلح يوم الرب ، ويرى المسيحيون أن هذا التعبير هو المفضل لله دلالة على تدخل الله المهيب في التاريخ ، وهو يدل على ظهور مهيب لله يمارس فيه دينونته على الخلائق . فمن وجهة النظر هذه يعبر يوم الرب والدينونة عن حقيقة واحدة وهي أن الله يمارس سيادته على العالم .

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم فإننا نرى تفصيلاً واسعاً ودقيقاً ليوم القيامة . ولأن الإيمان بحصول هذا اليوم ركن أساسي من أركان الإيمان فقد جاء في القرآن الكريم بشكل مفصل .

يقول الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا

---

(١) سيد قطب . مشاهد القيامة في القرآن ص ٣٢ .

صَفًّا (٢٢) وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٢].

ويقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم من حيث تسلسل هذا الحدث الأعظم نرى:

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

إذاً هناك نفختان: نفخة يموت فيها الخلق جميعاً، ونفخة أخرى يقوم فيها الناس من موتهم ينظرون، والنفخ في الصور ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ولكل موقع دلالة تختلف عن الدلالة الأخرى من حيث تسلسل مجريات الحدث العظيم.

ففي الصورة الأولى تقرر الآية الكريمة أن الملك يومئذٍ لله فنفخ الصور يتم والله وحده الذي يهيمن على الوجود لاأحد يشاركه لأنه لاوجود لأحد سواه.

والصورة الأخرى تصف لنا الفزع الذي يحدث في السماوات والأرض.

يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

ويقول الله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وهذه الآية تدلل على أن كل شيء يهلك بنفخة أولى من الصور ثم كل من خلق الرحمن يقوم ناظراً ماالذي حدث.

وتأتي آيات أُخَر تصف قيام الناس من موتهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١ - ٥٢].

ويقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فهل للمسيح دور في ذلك اليوم؟

ومن يدّعِ يوم القيامة أنه ينتسب إلى المسيح أو إلى غيره فلا أنساب بين الناس وكل نفس تتحمل وزر ماتفعل.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] ندرك أن كل ما خلق الله سبحانه سيفنى: الأنبياء والرسل والملوك وجميع الناس والمخلوقات ولايبقى إلا وجه الله المهيمن برحمته وجبروته على مقاليد الكون.

ويطالعنا في الإنجيل مصطلح ملكوت السماوات الذي يعني الارتباط بما أعده الله للمؤمنين والكافرين، ويرتبط حتماً بما قدم الإنسان في دنياه من إيمان وخير، أومن كفر وشر، ولكننا أحياناً نرى اختلاطاً في المصير أهو في السماء أم في الأرض؟

جاء في إنجيل مَتَّى: (طوبى لفقراء الروح فإن لهم ملكوت السماوات، طوبى للوُدَعاء فإنهم يرثون الأرض) مَتَّى ٥ : ٣ ـ ٤. فقوله يرثون الأرض تعني أن الصالحين يرثون الأرض، فهل يرثون الأرض التي نحن عليها؟ أم أن ملكوت السماوات يلغي الأرض التي عرفناها ويقرر أرضاً إلهيةلم نعرفها؟

ويتضح مما ورد في الأناجيل أن مصطلح ملكوت السموات يرتبط بالحساب والجزاء والعقاب. جاء في مَتَّى: طوبى للمضطهدين على البر فإن لهم ملكوت السموات ٥ : ١٠.

وجاء فيه أيضاً: إن أجركم في السماوات عظيم. مَتَّى: ٥ : ١٢.

ويقول إن لم يزد بركم على بر الكتبة والفريسيين لاتدخلوا ملكوت السموات ٥٢ : ٢٠.

ويقول: سوف يأتي أناس كثيرون من المشرق والمغرب فيجالسون إبراهيم وإسحق ويعقوب على المائدة في ملكوت السماوات) مَتَّى ٧ : ٤.

ويأتي أيضاً وأما بنو الملكوت فيلقون في الظلمة البرانية وهناك البكاء وصريف الأسنان. مَتَّى ٨ : ١٣.

وتأتي تعاليم المسيح مركزة على المعاملات بين الناس وثوابها عند الله سبحانه وتعالى:

فيقول: وأبوك الذي في الخفية يجازيك.

فإن تغفروا للناس زلاتم يغفر لكم أبوكم السماوي. مَتَّى ٦ : ١٤.

وإن لم تغفروا للناس لايغفر لكم أبوكم زلاتكم. مَتَّى: ٦ : ١٥.

ويقول: وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك) مَتَّى ٦ : ١٨.

فنلاحظ أن الارتباط بين ملكوت السماوات والجزاء واضح المعالم من خلال ماسبق، ولكن نلاحظ تناقضاً في مسألة لمن ملكوت السماوات؟ ففي أكثر النصوص أن المضطهدين وفقراء الروح والودعاء والأبرار هم من يمنحهم الله ملكوت السماوات. فلماذا قال مَتَّى: وأما بنو الملكوت فيلقون في الظلمة البرانية وهناك البكاء وصريف الأسنان، فما المقصود ببني الملكوت؟ وهل هناك ملكوت واحد أو اثنان؟ هذا مايُشْكِل على القراء لما فيه من تناقض واضح.

على أية حال فإن تعاليم المسيح الأخلاقية المجردة عن كونه إلهاً، حسب مايدعي النصارى، هي تعاليم في غاية الشفافية، تربي النفس وتهذبها، وتعلم الإنسان كيفية التعامل الإنساني بين البشر، خاصة أنه يربط بين السلوك الجيد والجزاء الأخروي. وهذا أيضاً مانجده موسعاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أحداث القيامة كما وردت بين القرآن والأناجيل

تعرفنا مايسمى يوم الدينونة ويوم الرب وملكوت السماوات في الأناجيل وتعرفنا ماورد في القرآن الكريم عن النفخ في الصور وبداية اليوم الآخر. وإضافة لذلك فإن بعض الأناجيل حفلت بوصف أحداث اليوم الآخر، وكذلك فإن آيات القرآن الكريم جاءت لتصف هذا اليوم بتوسع وإسهاب. ومن خلال المقارنة بين ماجاء في القرآن الكريم وبعض الأناجيل نرى تقاطعات كثيرة واختلافات أيضاً. وأهم مانلاحظه أن الأناجيل استندت في كثير من تصوراتها على ماجاء في التوراة ولاسيما نبوءات إشعيا والأنبياء.

جاء في إنجيل مَتَّى : (وعلى أثر الشدة في تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لايرسل ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع قوات السماوات، وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان فتنتحب جميع قبائل الأرض) ٢٤ : ٢٩ ـ ٣٠.

وجاء فيه أيضاً : (السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول، فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فما من أحد يعلمهما لاملائكة السموات ولا الابن إلا الآب وحده) مَتَّى ٢٤ : ٣٥ ـ ٣٦.

وجاء فيه أيضاً : (فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان، يكون عندئذ رجلان في الحقل فيُقبض أحدهما ويترك الآخر، وتكون امرأتان تطحنان بالرحى فتقبض إحداهما وتترك الأخرى، فاسهروا إذاً لأنكم لاتعلمون أي يوم يأتي ربكم) مَتَّى ٢٤ : ٤٠ ـ ٤٣.

أما إنجيل مرقص فيردد ماقاله مَتَّى في الفصل الثالث عشر.

يقول : (وفي تلك الأيام بعد هذه الشدة تظلم الشمس، والقمر لايرسل ضوءه وتتساقط النجوم من السماء وتتزعزع القوات في السموات) ١٣ : ٢٥ ـ ٢٦.

ويقول : (وحينئذ يرسل ملائكته ويجمع الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع من أقصى الأرض إلى أقصى السماء) ١٣ : ٢٧.

وجاء في إنجيل لوقا مثل ماجاء في مَتَّى ومرقص وإن اختلفت الألفاظ وطول المقاطع، وذلك في الفصل ١٧ : ٣٤ ـ ٣٧.

وقد ورد في أعمال الرسل الفصل ٢ : (وأجعل فوقاً أعاجيب في السماء. وسُفلاً آيات في الأرض، دماً وناراً وعمود دخان، فتنقلب الشمس ظلاماً والقمر دماً) ١٩ ـ ٢٠.

وبالإجمال فإن ماجاء في الأناجيل المعترف بها من قبل المسيحيين، وماجاء

في أعمال الرسل وبقية ماجمعه العهد الجديد، لايخرج عن هذا التصور. فهناك يوم يسمى يوم مجيء ابن الانسان المعني به يسوع. ففي هذا اليوم تبرز علامات غير عادية. كما ظلام الشمس والقمر وتزلزل النجوم. وسوى هذه الإشارات لانعثر على شيء آخر.

ويتضح من ذلك أن مفهوم يوم القيامة والأحداث السريعة المتلاحقة لم يكن واضحاً في العقيدة المسيحية وهو كذلك إلى الآن.

ويبقى إنجيل برنابا الوحيد بين الأناجيل الذي أسهب في وصف تلك الأحداث في عدة مواقع منه، ولعل أهمها ماجاء في الفصل الثالث والخمسين حيث يقول:

(قبل أن يأتي ذلك اليوم سيحل بالعالم خراب عظيم، وستنشب حرب فتاكة طاحنة فيقتل الأب ابنه، ويقتل الابن أباه بسبب أحزاب الشعوب. ولذلك تنقرض المدن وتصير البلاد قفراً، وتقع أوبئة فتاكة حتى لايعود يوجد من يحمل الموتى للمقابر. بل تترك طعاماً للحيوانات، وسيرسل الله مجاعة على الذين يبقون في الأرض فيصير الخبز أعظم قيمة من الذهب فيأكلون كل أنواع الأشياء النجسة. ياالشقاء ذلك الجيل الذي لايكاد يسمع فيه أحد يقول: أخطأت فارحمني ياالله. يجدفون بأصوات مخوفة على المجيد المبارك إلى الأبد، وبعد هذا مَتَّى أخذ ذلك اليوم في الاقتراب تأتي كل يوم علامة مخوفة على سكان الأرض مدة خمسة عشر يوماً. ففي اليوم الأول تسير الشمس في مدارها في السماء بدون نور، بل تكون سوداء كصبغ الثوب، وستئن كما يئن أب على ابن مشرف على الموت. وفي اليوم الثاني يتحول القمر إلى دم. وسيأتي دم على الأرض كالندى، وفي اليوم الثالث تشاهد النجوم آخذة في الاقتتال كجيش من الأعداء. وفي اليوم الرابع تتصادم الحجارة والصخور كأعداء ألداء. وفي اليوم الخامس يبكي كل نبات وعشب دماً، وفي اليوم السادس يطغى البحر دون أن يتجاوز محله إلى علو مئة

وخمسين ذراعاً، ويقف النهار كله كجواد، وفي اليوم السابع ينعكس الأمر فيغور حتى لايكاد يرى. وفي اليوم الثامن تتألب الطيور وحيوانات البر والماء ولها خوار وصراخ. وفي اليوم التاسع ينزل صَيِّب من البرد مخوف بحيث إنه يفتك فتكاً لايكاد ينجو منه عُشْر الأحياء. وفي اليوم العاشر يأتي برق ورعد مخوفان فينشق ويحترق ثلث الجبال. وفي اليوم الحادي عشر يجري كل نهر إلى الوراء ويجري دماً لاماء. وفي اليوم الثاني عشر يئن ويصرخ كل مخلوق. وفي اليوم الثالث عشر تطوى السماء كطي الدرج وتمطر ناراً حتى يموت كل حي. وفي اليوم الرابع عشر يحدث زلزال مخوف حتى إن قنن الجبال تتطاير منه في الهواء كالطيور، وتصير الأرض كلها سهلاً. وفي اليوم الخامس عشر تموت الملائكة الأطهار، ولايبقى حياً إلا الله وحده الذي له الإكرام والمجد.

ويتابع وصفه في الفصل الرابع والخمسين: فمَتَّى مرت هذه العلامات تغشى العالم ظلمة أربعين سنة ليس فيها من حي إلا الله وحده الذي له الإكرام والمجد إلى الأبد).

فما مرّ معنا لايكاد يختلف عما نراه في القرآن الكريم من وصف لأهوال مقدمات يوم القيامة.

فالشمس تسير في مدارها في السماء بدون نور. نراها في الآية القرآنية: ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ فهي التي كانت ترسل أشعتها الطليقة المنتشرة ينحسر ضوءُها وتطوى أشعتها فلا ضوء ولاشعاع. والنجوم آخذه في الاقتتال. تقابل قوله تعالى ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾. فبعدما كانت متماسكة انفصم رباطها فتناثرت في كل اتجاه، وخبا نورها فأظلمت.

يطغى البحر دون أن يتجاوز محله. نراه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجّرت﴾ فمياهها المنبسطة السارية تتجمع فتمتلئ مجاريها. وتتألب

الطيور وحيوانات البر والماء ولها خوار وصراخ. نراه في قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾. فهي منزوية تتجمع من الهول وهي الشاردة في الشعاب.

ونلاحظ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٤ ـ ٥].

ولاحظ قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

ولاحظ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ٨ ـ ١٠].

ولاحظ أيضاً ماجاء في إنجيل برنابا في قوله: يحدث زلزال عظيم حتى إن قنن الجبال تتطاير منه في الهواء كالطيور.

أما الحساب الذي يجي بعد بعث المخلوقات فيأتي في إنجيل برنابا في الفصل السابع والخمسين فيقول: (ثم يدعى بعد ذلك إلى الدينونة كل الكافرين والمنبوذين فيقوم عليهم أولاً كل الخلائق التي هي أدنى من الإنسان شاهدة أمام الله كيف خدمت هؤلاء الناس الذين أجرموا مع الله وخلقه. ويقوم كل من الأنبياء شاهداً عليهم فيقضى الله عليهم باللهب الجحيمية) ٥٧ : ٨ ـ ١٢.

ويقول: (حينئذ يعيد الله إلى التراب كل نفس حية أدنى من الإنسان ويرسل إلى الجحيم الفجار الذين يرون مرة أخرى في أثناء سيرهم ذلك التراب الذي يعود إليه الكلاب والخيل وغيرها من الحيوانات النجسة فحينئذ يقولون: أيها الرب الإله أعدنا نحن أيضاً إلى هذا التراب ولكن لايُعطون سؤلهم) ٥٧ : ٢٧ ـ ٢٩.

ويقول: (إن الجحيم واحدة وفيها يعذب الملعونون إلى الأبد إلاّ أن لها سبع طبقات أو دركات الواحدة منها أعمق من الأخرى.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢] ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٩].

وكم مرة تمنى الكافرون عندما رأوا عذاب جهنم أن يعودوا تراباً. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وتكثر مشاهد الحساب والعقاب في سور القرآن حتى إنها ترد في ثمانين سورة من سوره، فتصف الشيطان ومصيره، والكافرين ومصيرهم. وكذلك تصف المؤمنين وجنّتهم. وهناك تفصيلاتٌ لما تحويه جهنم من عذاب، وكذلك ماتحويه الجنة من نعيم وخير.

ولعل التركيز على اليوم الآخر في القرآن الكريم يبين مدى الارتباط بين العمل الصالح والجنة كجزاء لما قدم الإنسان في الدينا، وكذلك يبين مدى الارتباط بين النتيجة الأخروية والأعمال الدنيوية التي يقوم بها الخلق.

عالم الملائكة بين القرآن والأناجيل

يشكل عالم الملائكة جزءاً هاماً من الإيمان، فهو في العقيدة الإسلامية أحد أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وإذا نظرنا في الأناجيل وبقية أعمال الرسل، كما يطلقون عليهم، وجدنا أن الملائكة تأخذ حيزاً مافيها وتظهر مهماتها المكلفة بها من قبل الله.

لكن الإشكال الذي وقعت فيه النصرانية هو الخلط بين مايسمى الروح القدس والملاك جبريل، أو ملاك الرب.

ونرى أن ملاك الرب يتراءى في الحلم.

والملائكة مكلفة بأن تحمي المسيح.

وتلعب الملائكة دوراً في يوم الدينونة حيث يفصلون الأشرار عن الأخيار.

والملائكة في السماء لايتزوجون ولايتوالدون مثل البشر.

والروح ينزل على المسيح كأنه حمامة ويخرجه إلى البرية.

وملاك الرب يتراءى لزكريا يبشره بغلام.

وجبرائيل يرسله الله إلى مدينة الناصرة ليبشر مريم بالغلام.

وملاك الرب يحضر عند الرعاة ويكلمهم.

وهو الذي يسمي يحيى ويسوع.

والملائكة تغني مجتمعة عندما يولد المسيح.

وملائكة تحرس قبر يسوع حسب قول إنجيل لوقا ويوحَنَّا.

والواقع أن الأناجيل تختلف فيما بينها في بعض القضايا التي تتدخل فيها الملائكة. فإنجيل لوقا يتحدث عن الملاك جبريل وبشراه لزكريا، ومن ثم بشراه لمريم، بينما لانجد ذلك في بقية الأناجيل سوى إنجيل برنابا.

في إنجيل مَتَّى يرد أن مريم كانت حاملة من الروح القدس. وأن ملاك الرب تراءى ليوسف خطيبها في الحلم، وقد ورد ذلك في الفصل الأول ٢٠ ـ ٢٥، حيث يأمر ملاك الرب يوسف أن يحتفظ بخطيبته لأنها حامل من الروح القدس. ثم تراءى له في الحلم ثانية عندما أمره أن يهرب بالطفل إلى مصر، وذلك في الفصل٢: ١٣، ثم يتراءى ملاك الرب ليوسف في الحلم ليأمره بالعودة إلى فلسطين وذلك في الفصل الثاني ١٩ ـ ٢٠.

من خلال ماورد في إنجيل مَتَّى نرى فرقاً بين مصطلح الروح القدس والملائكة وخاصة الملاك جبريل. فيرون أن الروح القدس هو روح الله الأقنوم الثالث في الثالوث وقد سمي روحاً لأنه مبدع الحياة، ودعي قدوساً لأن من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن، ويدعى روح الله وروح المسيح.

وليست هناك أية إشارة إلى أن الروح القدس هو جبريل الملاك. فجبريل ملاك له شخصيته المستقلة ومهامّه المتعددة.

وملاك يراد بها رسول، حيث تشير أحياناً إلى أناس لا إلى أرواح سماوية، غير أنه في أكثر الأماكن يشار بها إلى أرواح خادمة مرسلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص وهذا ماورد في رسالة العبرانيين ١ : ١٤.

ويقول شارح قاموس الكتاب المقدس: إن معرفتنا بهذه الذوات مقصورة

على ماأوحي إلينا في كتاب الله، ونستفيد من ذلك أنهم طاهرون وعالمون، وأنهم كانوا يأتون بخدماتهم في كل عصر من عصور شعب الله[1].

ويأتي ذكر الملاك جبريل في الأناجيل بشكل واضح لاسيما في إنجيل لوقا. حيث تبرز مهمته في التبشير بمولد المسيح عليه السلام.

يقول لوقا: (في الشهر السادس أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم الفتاة مريم، فدخل إليها فقال: افرحي أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك، فداخلها اضطراب شديد لهذا الكلام، وسألت نفسها مامعنى هذا السلام، فقال لها الملاك: لاتخافي يامريم فقد نلت حظوة عند الله، فستحملين وتلدين ابناً نسميه يسوع. سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى، ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً، فأجابها الملاك إن الروح القدس سينزل عليك وقدرة العلي تظللك، لذلك يكون المولود قدوساً ابن الله يدعى، وها إن نسيبتك أليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها) لوقا ١: ٢٦-٣٦.

وهذا مالايتعارض مع القرآن الكريم، حيث إن مهمة جبريل، عليه السلام، كانت محددة بتبشير مريم بأنها ستحمل ولداً ويكون مباركاً من الله.

وقبل ذلك بصفحة فقط نرى الإنجيل يتحدث عن ملاك الرب الذي تراءى لزكريا وهو في المعبد ويبشره بغلام. لكن الإنجيل يكتفي بكلمة ملاك الرب. ونعرف أنه جبريل عليه السلام على الرغم من عدم التصريح باسمه، وذلك من خلال قوله لمريم: وها إن نسيبتك أليصابات قد حبلت..) وهذا أيضاً يتوافق مع ماجاء في القرآن الكريم من أن جبريل بَشَّر زكريا بالولد الذي يكون نبياً وعارفاً بالشريعة.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٠.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. قال ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

ويرد في إنجيل لوقا وإنجيل مَتّى أن ملاك الرب حضر إلى رعاة، وبشرهم بولادة المسيح عليه السلام.

(وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية يتناوبون السهر في الليل على رعيتهم فحضرهم ملاك الرب وأشرق مجد الرب حولهم، فخافوا خوفاً شديداً فقال لهم الملاك: لاتخافوا هاإني أبشركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كله، وُلد لكم اليوم مخلّص في مدينة داود وهو المسيح) لوقا ٢: ٨ ـ ١٢.

ويأتي في لوقا أن ملائكة آخرين انضموا إلى الملاك بغتة وأطلق عليهم الجنود السماويين أتوا يسبحون الله. (وانضم إلى الملاك بغتة جمهور الجند السماويين يسبحون الله فيقولون المجد لله في العلى. والسلام على الأرض للناس أهل رضاه، فلما انصرف الملائكة عنهم إلى السماء) لوقا ٢: ١٣ ـ ١٥.

ولم يرد صراحة في الأناجيل الكنسية الأربعة أن جبريل أنزل على عيسى كتاباً اسمه الإنجيل، ومن المعروف أن جبريل، عليه السلام، هو المكلف من الله سبحانه كي ينزل الكتب السماوية على الأنبياء.

بينما نجد ذلك واضحاً في إنجيل برنابا.

يقول: (وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات يارب برحمة) وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوقة من الملائكة كانوا يقولون: ليتمجد الله، فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة برّاقة فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به مافعل الله

وماقال الله ومايريد الله) برنابا ١٠ : ٢ ـ ٥ .

بينما الأمر كذلك في برنابا نجد لوقا ومَتَّى يذكران أن المسيح تعمّد في الماء على يد يحيى، ومن ساعتها بدأ رحلته النبوية في الدعوة. ولم تذكر الأناجيل الأربعة أن جبريل أنزل على قلب المسيح كتاباً اسمه الإنجيل. ويبدّلون بجبريل الروح القدس الذي يحل على المسيح.

جاء في لوقا: (واعتمد يسوع أيضاً وكان يصلي انفتحت السماء ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: أنت ابني الحبيب عنك رضيت) لوقا ٣ : ٢١ ـ ٢٢ .

فلا ذكر لإنجيل ولا ذكر لجبريل. ونلاحظ أن هذه الأناجيل تفصل بين جبزيل والروح القدس. إذ تعتبر أن الروح القدس الأقنوم الثالث من أقانيم الله.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

ويأتي ذكر ملاك الرب في إنجيل مَتَّى في حادثة قيامة يسوع المزعومة بعد صلبه ودفنه حسب مايقول مَتَّى:

فإذا زلزال شديد قد حدث ذلك، بأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه وكان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثلج، فارتعد الحرس وصاروا كالأموات، فقال الملاك للمرأتين: لاتخافا أنتما، أنا أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب إنه ليس ههنا. .) مَتَّى ٣٧ : ٢ ـ ٦ .

فملاك الرب حسب ماجاء في إنجيل مَتَّى هو جبريل الذي بَشَّر مريم بالمسيح.

ولكن بقية الأناجيل لاتأتي على ذكر ملاك الرب.

ففي مرقص: (فأبصرن شاباً جالساً عن اليمين عليه حلة بيضاء فارتعبن) مرقص ١٦ : ٥ .

وفي لوقا: (وبينما هن في حيرة من ذلك إذ حضرهن رجلان عليهما ثياب برّاقة) لوقا ٢٤: ٥.

وفي يوحَنَّا: (فرأت ملاكين في ثياب بيض جالسَيْن حيث وضع جثمان يسوع) يوحَنَّا ٢٠: ١٢.

بطبيعة الحال فإن القرآن الذي ينفي القصة من أساسها ـ فما صلبوه ـ ينفي بشكل طبيعي ماتحدثت عنه الأناجيل عن وجود ملاك الرب، أو ملائكة في قبر المسيح عليه السلام.

أما إنجيل برنابا فيتحدث عن الملائكة وخاصة جبريل بمنحى آخر.

إذ يقول: (فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم. فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد) برنابا ٢١٥: ٤ ـ ٥.

وهنا تتضح لنا مهمة جبريل، عليه السلام، وهي مهمة أخرى كلفه الله بها لإنقاذ المسيح ورفعه إلى السماء.

لقد وردت في القرآن الكريم حادثة رفع المسيح، عليه السلام، ولكن آيات القرآن لم تأتِ على ذكر جبريل والملائكة في قصة رفعه هذه.

يقول الله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

أما الملائكة الآخرون فإن الأناجيل تورد أخباراً مقتضبة عنهم إذ يتدخلون في حياة المسيح دون أن يعرف لهم عمل محدد.

يأتي في مَتَّى: (ثم تركه إبليس وإذا بملائكة قد دنوا منه وأخذوا يخدمونه) مَتَّى ٤: ١١.

ويأتي في لوقا: (وتراءى له ملاك من السماء يشدد عزيمته، وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة) لوقا ٢٢ : ٤٣ . وفي إنجيل مَتَّى مايشير إلى أن الملائكة تحضر يوم الدينونة فيقول مَتَّى. والحصاد هو نهاية العالم والحصَّادون هم الملائكة، فكما أن الزؤان يجمع ويحرق في النار، فكذلك يكون عند نهاية العالم يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون مسببي العثرات والفاسقين كافة، فيخرجونهم من ملكوته ويقذفون بهم في أتون النار ١٣ : ٤٠ ـ ٤١ .

ويقول مَتَّى: (وكذلك يكون عند نهاية العالم يأتي الملائكة فيفصلون الأشرار عن الأخيار ويقذفون بهم في أتون النار، فهناك البكاء وصريف الأسنان) مَتَّى ١٣ : ٤٩ ـ ٥٠ .

فمهمة الملائكة واضحة هنا حيث تتجسد في فصل الأخيار عن الأشرار يوم القيامة ثم أخذ المجرمين إلى النار.

ويدّعي كتبة الرسائل والأعمال الرسولية أن الملاك جبريل ـ ملاك الرب ـ قد ظهر لتلاميذ المسيح كظهوره لفلبس وبطرس عندما كان في السجن، ويدَّعون أن الملائكة ظهرت ليوحَنَّا كاتب الإنجيل الرابع.

يقول العهد الجديد: (وكلَّم ملاك الرب فيلبس قال: قم فامض نحو الجنوب في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة وهي مقفرة) أعمال الرسل ٨ : ٢٦ .

ويقول: (وعلى الباب حرس يحرسون السجن وإذا ملاك الرب يمثل فيشرق النور في الحبس، فضرب الملاكُ بطرس على جنبه فأيقظه وقال له: قم على عجل، فسقطت السلسلتان عن يديه فقال له الملاك أشدد وسطك بالزنار، واربط نعليك، ففعل ثم قال له: البس رداءك واتبعني، فخرج يتبعه وهو لايدري أنّ فعلَ الملاك شيء حقيقي، بل خيل إليه أنه يرى رؤيا، فاجتازا الحرس الأول والثاني، وبلغا إلى باب الحديد الذي ينفذ إلى المدينة، فانفتح لهما من نفسه فخرجا وقطعا

زقاقاً واحداً ففارقه الملاك من وقته) أعمال الرسل ١٢ : ٧ ـ ١١ .

ويرد في رؤيا يوحَنَّا قوله : (هذا ماكشفه يسوع المسيح بنعمة من الله ليُطلع عباده على مالابد من حدوثه وشيكاً فأرسل ملاكه ليخبر به يوحَنَّا عبده) رؤيا يوحَنَّا ١ : ١ ـ ٢ .

ويستدل على عدد الملائكة في عدة مواقع وردت في الأناجيل .

فيرد مثلاً في مَتَّى : (أوتظن أني لاأستطيع أن أسأل أبي فيمدني الساعة بأكثر من اثني عشر فيلقاً من الملائكة) مَتَّى ٢٦ : ٥٣ ـ ٥٤ .

وقد ورد أيضاً : وذلك أنّا معروضون لنظر العالم والملائكة والناس) كورنثوس ٤ : ٩ .

فإذا دققنا في مجمل ماورد عن عالم الملائكة نرى أن هناك جانبين من حياتهم ؛ الجانب الأول دنيوي والجانب الآخر أخروي . جانب يتحدث عن مساعدة الملائكة للرسل وإنقاذهم ، وجانب يتحدث عن عمل الملائكة من فصل بين الأشرار والأخيار في الآخرة ودفع المجرمين إلى النار .

وإذا قارنا ماورد في هذه الأناجيل وماورد في القرآن الكريم حول الملائكة ومهماتهم وجدنا فروقاً شاسعة .

فالقرآن ينص على أن الملائكة مخلوقون قبل خلق آدم ومهمتهم تسبيح الله وتقديسه ، وذلك مادلت عليه الآية ٣٠ من سورة البقرة .

والملائكة لايعلمون الغيب وهذا مانصت عليه الآية ٣١ والآية ٣٢ من سورة البقرة .

ولبعض الملائكة في القرآن الكريم فضل على غيرهم من الملائكة وقد ورد فيه اسم جبريل ، عليه السلام ، ثلاث مرات بالاسم الصريح . وورد اسم ميكال (ميكائيل) أيضاً .

يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقد ظهرت مهمة جبريل في القرآن الكريم في أكثر من موقع. فهو الذي نزل بالقرآن الكريم على قلب رسوله محمد، ﷺ. فهو الروح الأمين وهو روح القدس والروح.

وقد أوضحت آيات القرآن الكريم أن جبريل مكلف بالوحي إلى الأنبياء؛ فقد أوحى إلى نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان. وقد يكون الوحي تبشيراً أو إنذاراً. فكما بشرت الملائكة إبراهيم بولده إسحاق وبشَّرَت زكريا بولده يحيى، ومريم بولدها المسيح، فإنها أيضاً أنذرت الكافرين ودمرت أقواماً مثل قوم لوط وهود وصالح.

وتؤمر الملائكة بتبليغ الاطمئنان للمؤمنين والبشرى بالنعيم. وينزل الله الملائكة لتقاتل مع المؤمنين نصرةً لدين الحق. وللملائكة مهمة قبض الأرواح.

يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقد وردت مهمة قبض الأرواح من قبل الملائكة في الآية ٢٨ من سورة النحل، وفي سورة الأنعام الآية ٦١، وسورة السجدة الآية ١١.

وفي العقيدة المسيحية تجسيد للملائكة، إذ يتصور بعض المسيحيين شخصية المسيح، عليه السلام، وأمه والملائكة حيث تصورهم بأطفال لهم أجنحة يحيطون بالمسيح عند ولادته، وهذه الرسوم موجودة في جميع الكنائس. والواقع أن ذلك شيء من لوثة الوثنية إذ لم يعرف الإسلام صوراً أو مجسمات للملائكة أو الأنبياء. فهي من عالم الغيبيات التي تخفى على الإنسان.

عالم الجن والشياطين في العقيدة النصرانية

إذا رصدنا ماجاء في الأناجيل عن عالم الجن والشياطين وجدنا أن جانباً واحداً يبرز من خلالها وهو الجانب الشيطاني، فليس هناك عالم للجن فيه الصالح والطالح. إنما هناك وجه واحد شرير للشيطان أو إبليس.

ويبرز موقف العقيدة المسيحية من الشيطان أو إبليس بشكل واضح في الأناجيل وفي التعاليم المسيحية، فهو موقف عدائي كما هو في العقيدة الإسلامية.

ولعل الموقفين النابعين من موقف عدائي لإبليس والشيطان جعل نظرتيهما واحدة تجاه أعمال الشياطين من وسوسة وطغيان. وكذلك موقفهما من مصير إبليس وجماعته في اليوم الآخر.

لكن الذي يلفت النظر أن العقيدة المسيحية تعتبر الشيطان ملاكاً في الأصل، وجماعته هم الملائكة الذين ضلوا.

وأكثر ماتستند العقيدة المسيحية في فهمها لعالم الشياطين هو كتاب العهد القديم، فلا يمكن فهم موقفها عن إبليس والشيطان إلا من خلال التوراة، وماقاله أنبياء العهد القديم.

فالكتاب المقدس، حسب قولهم، يرى أن الشيطان كان على رأس الملائكة، وأن إبليس وجنوده خلقهم الله مع الملائكة الأبرار الطاهرين، ولاتوجد فيهم نجاسة ولم يوجد فيهم شر أو شبه شر. وهم بإراداتهم وبدون غواية من مخلوقات أخرى حولوا أنفسهم إلى أشرار بتكبرهم وعصيانهم لله.

يقول سفر الرؤيا : (وظهرت آية أخرى في السماء هو ذا تنِّين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه السبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض) رؤيا ١٢ : ٣ ـ ٤ .

ومن المعروف أن صورة التنين هي صورة من صور الأساطير التي جاء بها اليهود في حكاياتهم وقصصهم ، وهي بشكل عام مستمدة من التراث الشرقي .

غير أن المسيحية ترى ، استناداً إلى أسفار العهد القديم ورؤيا يوحَنَّا ، أن التّنّين هو الشيطان ، ومن الواضح أن هذا الوصف لإبليس يأتي بعد أن غضب الله عليه وحوَّله أو تحول ، حسب رأي المسيحية ، من ملاك عظيم إلى شيطان رجيم .

إن هذا التصور يتنافى مع تصور القرآن الكريم حيث أن كلّ الآيات القرآنية التي تناولت الشيطان أكدت أنه ليس ملاكاً أو هوليس من جنس الملائكة . فهو مخلوق من نار بينما الملائكة غير ذلك ، وهو من الجن ، والجن عنصر غير عنصر الملائكة .

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ، وفي سورة الكهف حدّد القرآن الكريم أن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة .

يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف : ٥٠].

وترى المسيحية أن الله أعطى لإبليس ميزات لم يتمتع بها أحد من قبله حتى إنّ الرب توّجهُ رئيساً لكل الملائكة بلا استثناء ، وأيده بالحكمة والكمال والقوة والعظمة والبهاء ، حيث إنّه كان يعكس جمال الله[1] .

---

(١) جوزيف بطرس . السحر والجان في مملكة الشيطان من منظور مسيحي ص ١٢ .

واستناداً على قول أنبياء التوراة فإن لإبليس صفات الكمال، وقد ميّزه الله عن غيره في القوة والمكان.

وفي هذا يقول حزقيال: (أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت في عون جنة الله، كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر، وعقيق أبيض وزبرجد، وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب. أنشأوا فيك صنعة صبغة الفصوص وترصيعها يوم خلقت أنت الكروب المظلل. وأقمتك على جبل الله المقدس كنت بين حجارة النار، تمشيت أنت كامل في طرقتك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم). فمن المؤكد أن مايحويه هذا الكلام يدل على الاستفادة الكبيرة من أساطير شعوب المنطقة، وهي بالمحصلة نبوءات توراتية دوَّنها التوراتيون على ضوء استفادتهم من التراث البابلي والكنعاني وغيرهما.

وفي سفر إشعياء يرد أن سبب سقوط إبليس هو تفكيره بأن يصبح كالإله: (أنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيّ فوق كواكب الله (الملائكة)، وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال، أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلي) إشعياء ١٤ : ١٣.

وماجاء في هذا الحديث يشير بشكل واضح، إلى الاستفادة من الأساطير الكنعانية التي تقول إن الإله إيل يسكن في أقاصي الشمال، ويسيّر من هناك شؤون الخلق. والواقع أن إبليس سقط ليس بسبب تفكيره بأن يصبح كالإله؛ إنما بعصيان أمره بأن يسجد لما خلق الله. إن آيات القرآن الكريم لم تشر إلى أنّ إبليس قد كفر بالله أو أنه أشرك به ونفى ألوهيته. إنما حلف بعزة الله أنه سيكون عدواً لهذا الإنسان. وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى اعتراف إبليس بالحق وبألوهية الله.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

واعتمد كتبة الأناجيل وكذلك تلاميذ المسيحية على رؤى توراتية واضحة في حديثهم عن الشيطان ونهايته وسبب سقوطه.

يقول بطرس: (الله لم يشفق على ملائكة أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء) ٢ بط ٢ : ٤.

وتحت عنوان (أسطورة سقوطهم) تقول المصادر المسيحية أن حرباً طاحنة جرت ين جيوش الملائكة برئاسة الملاك ميخائيل (ميكائيل)، وجيوش ملائكة الشيطان، وأن جيوش الشيطان هُزمت وأصبح الملاك ميخائيل في موقع القيادة الذي كان يتمتع به الشيطان المسمى (ستانائيل).

وحتى تخدم النصوص الواردة في العهد القديم رؤية المسيحية في ألوهية المسيح ترى أن بنوة الله للمسيح أمر لم يطقه الشيطان، وتقول إنه بتجسده يشرف للبشرية كلها وتسجد له كل المخلوقات التي في السماء، والتي على الأرض والتي تحت الأرض. وتقول المصادر المسيحية: رأى الشيطان أن هذا الفكر الإلهي سيحطم مكانة إبليس التي تصور نفسه أنه سيكون رباً لهذا الإنسان الذي سيخلقه الرب من طين، وكان يريد لهذا المخلوق الجديد أن يصير ذليلاً له يتلقى الثواب والعقاب على يديه.

وتقول: وهذه البنوة للإنسان لاتنافس بنوة الملائكة التي سيحصل عليها الإنسان، حيث إنها بنوة ناتجة عن اقترابهم من الله.. بل إن البنوة التي سيحصل عليها الإنسان بالتبني من شخص ابنه الوحيد الجنس المولود من الآب قبل كل الدهور)[١].

---

(١) جوزيف بطرس. السحر والجان في مملكة الجان من منظور مسيحي ص ١٥.

ويستعير يوحَنَّا في الرؤيا أحداث أساطير بابل في الحديث عن صراع بين إبليس وجنوده من جهة وميخائيل والملائكة من جهة أخرى.

فيقول: (وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنّين وملائكته، ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطرح التنّين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس، والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت ملائكته) رؤيا ١٢ : ٧ ـ ٩.

أليس ذلك الصراع هو نفسه الصراع الذي حدث في الأسطورة البابلية بين مردوخ وجنود السماء وتعامت وجنود الشر؟

فالشيطان الذي انهزم أمام جنود الله هو ذاته ينهزم أمام صليب المسيح حسب ماتقول المسيحية: (وكذلك انهزم أمام صليب المسيح حيث أكمل الرب عمله بفداء البشرية وإنقاذها من سلطان إبليس وجنوده، بل أعطى لكل من يؤمن به سلطاناً أن يصير ابناً لله في شخص المسيح المصلوب عن البشرية كلها. وفي هذه البنوة أعطى المؤمنين سلطاناً من قبل الرب أن يدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوات العدو)(١).

والواقع أنه ليس هناك دليل على أن الشيطان هزم أمام مايسمى صليب المسيح. فالشيطان سيظل يخلق الفتنة وينشر الفساد في الأرض إلى يوم الدين، وذلك لأن الامتحان الذي جعلنا الله نعيش فيه يقتضي وجود إبليس وأعماله الفاسدة ليكون الصراع حتمياً بين الخير والشر، بين الإنسان القريب من الله، وبين طاغوت الشيطان وفساده.

---

(١) المرجع السابق ص ١٩.

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٢ - ٦٤].

فالشيطان لن ينهزم نهائياً، وإنما سيظل يصارع من أجل فساده وإفساده وسيظل المؤمنون يصارعونه حتى يجيء أمر الله بانقضاء الكون.

وليس هناك اختلاف بين ماورد في القرآن الكريم وماورد في المصادر المسيحية عن نهاية إبليس وجنوده. فالمصير هو جهنم للشيطان ومن تبعه، وتقول المسيحية إن ذلك هو السقوط الأخير الذي لاقيام بعده، فهو في نهاية العالم.

لكنهم يقولون: إن ذلك يحدث حين يأتي المسيح في مجيئه الثاني بمجد عظيم مع ملائكته، ويقضي على الشيطان وجنوده بإلقائهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت إلى أبد الآبدين.

والواقع إن هذا الحديث يرتبط أساساً برؤية المسيحية القائلة بألوهية المسيح، فالمسيح لن يكون سوى نبيّ من الأنبياء يشهد على من اتبعوه ومن لم يتبعوه. والمسيح ليس له ملائكة، فالملائكة لله. ولن يكون هو الحاكم على مصير إبلس بل الله وحده.

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تشير إلى مصير إبليس وجنوده ومن يتبعهم من البشر.

يقول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

ويقـول اللـه تعـالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣].

وتورد المصادر المسيحية ألقاباً للشياطين، وقد عُرفت هذه الألقاب من خلال ماورد في الأناجيل، ومن خلال ماورد من أقوال اللاهوتيين، وكذلك من خلال ماورد في التوراة.

فيعددون ثلاثة عشر لقباً للشياطين وهي:

الشيطان الذي ورد في التوراة ومعناه المتمرد أو المخاصم.

إبليس، ومعناه المجرب أو المفتري أو اليائس من رحمة الله، وكان اسمه عزازيل واسم عزازيل موجود في العهد القديم، وقد ورد في سفر اللاويين ١٦ : ٧ـ ١٠.

رئيس هذا العالم: ويرون أن هذا اللقب مستمد من قولهم إن كل تابعية من البشر هم أولئك الذين سلكوا حسب الجسد، ولم يسلكوا حسب الروح، فأسلموا حياتهم للشيطان من دون الله.

التنِّين: وسمي الشيطان تنيناً لعظم قساوته وقوته المرعبة التي تنفر منها الطباع.

الحية القديمة: وقد سمي بالحية لخبثه ومكره ودهائه الذي يشبه الحية.

المُضِل: وسمي كذلك لأنه يقاتل منذ سقوطه لإبعاد الناس عن طريق الله.

إله هذا الدهر: وقد سمي كذلك عند بولس وليس من الإنجيل أو التوراة.

سلطان الظلمة: وكذلك فإن هذا اللقب جاء من خلال قول بولس وليس من الإنجيل والتوراة.

الشرير: وجاء هذا اللقب في إنجيل يوحَنَّا وإنجيل مَتَّى ولُقب كذلك لأنه صانع الشر.

بعل زبول: وجاء هذا اللقب في العهد القديم.

رئيس سلطان الهواء: وجاء هذا اللقب في رسالة أفسس، وسمي كذلك لاعتقاد المسيحيين أن كثيراً من الأرواح موجودة في الهواء.

بليعال: وجاء ذلك من خلال ماقاله بولس، ويطلق هذا الاسم على الأشرار، وقد دعي ستانائيل، وليسقورس وغير ذلك من الألقاب المذمومة.

وإذا تابعنا ماقال به القرآن الكريم وجدنا أنه ذكر اسمين له هما إبليس والشيطان، وغالباً ماكان يُطلق على إبليس وهو في الجنة وفي قصة خلق آدم. بينما يتناول لفظة الشيطان من خلال عمله الإفسادي في الأرض، ولإغواء الإنسان لينحاز عن طريق الله. ولإبليس صفات أطلقها القرآن الكريم، وهي ليست أسماء له، ومنها الرجيم، العدو المضل، الكافر، الكفور.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وفي العقيدة المسيحية تبرز أعمال كثيرة للشياطين وأهمها الضلال، وتعطيل وصول الرسالات الإلهية للبشر، وتشكيك المؤمنين وحسدهم وإضعافهم روحياً والإغراء والإثارة والتخويف وإثارة الفزع، ومن صفات الشياطين الكبرياء والتكبر.

ومن خلال آيات القرآن الكريم نرى أن صفات إبليس الشيطان وأعماله تبرز على الشكل التالي:

١ ـ أنه عدو للإنسان.

٢ ـ أنه يفسد العقول والنفوس ويوسوس فيها.

٣ ـ وعود الشيطان كاذبة وتؤدي إلى التهلكة.

٤ ـ يزين الأمور أمام الأعين فيضل الناس.

٥ ـ ينهى عن الخير ويحض على فعل الشر بكل أشكاله.

٦ - يتدخل الشيطان في النفس والعقل فيُنسي الإنسان ذكر ربه وينسيه الأمور.
٧ - للشيطان أولياء وجنود وأتباع وحزب.
٨ - يحذر الله سبحانه من الشيطان.
٩ - يحذر الله سبحانه من عبادة الشيطان لأن ذلك كفر بالله.
١٠ - هناك شياطين من الجن وآخرون من الإنس مهمتهم الإفساد بين البشر.
١١ - مصير الشيطان وأتباعه نار جهنم.
١٢ - جعل الله في السماء شهباً لرد الشياطين عن سرقة أخبار السماء.
١٣ - ليس للشيطان سلطان على عباد الله المؤمنين.

ومن أمثله ذلك في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ويقول الله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

ويقول الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

ويظهر أن أهم مافي الأناجيل ذكرها لتجريب الشيطان للمسيح عليه السلام وتغلب المسيح عليه وقهره. وهذا لم يرد في القرآن الكريم.

جاء في إنجيل مَتَّى وكذلك لوقا ومرقص:

(ثم سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس، فصام أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى جاع فدنا منه المجرب وقال له (إن كنت ابن الله فمرْ أن تصير هذه الحجارة أرغفة، فأجابه: (مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة

تخرج من فم الله) فمضى به إبليس إلى المدينة المقدسة وأقامه على شرفة الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فألق بنفسك إلى الأسفل، فإنه مكتوب: (يوصي ملائكته بك فيحملونك على أيديهم لئلا تصدم رِجلك بحجر. فقال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجربن الرب إلهك، ثم مضى به إبليس إلى جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها، وقال له: أعطيك هذا كله إن جثوت لي ساجداً، فقال له يسوع اذهب ياشيطان فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد. ثم تركه إبليس فإذا بملائكة قد دنوا منه وأخذوا يخدمونه) مَتَّى ٤: ١ ـ ١١ ولم تثبت هذه الحادثة إلا في الأناجيل، ولم يتعرض القرآن لها لاصراحة ولا تلميحاً.

القسم الثاني

العبادات والمعاملات



العبادات في عصر المسيح عليه السلام

عندما ندرس العبادات التي جاء بها السيد المسيح، لابد أن نطلع على عبادات العقائد التي كانت سائدة آنذاك في فلسطين والحضارات المجاورة، وخاصة عبادات اليهود والرومان، باعتبار أن الطرفين كانا الأكثر وضوحاً من حيث عقائدهما عند مجيء السيد المسيح، عليه السلام.

أما العبادات في اليهودية فإن كثيراً من المصادر دوّنت لها ووصفتها، وكذلك بث الأناجيل شيئاً منها.

والواقع أن الحقبة التاريخية التي سبقت مجيء المسيح بحوالي مئة عام شهدت انطلاقاً شديداً لتابعي اليهودية، فالظروف التي وجد فيها اليهود لم تكن مشجعة لهم على إقامة الشعائر الدينية؛ لأن الحملات الآشورية ثم البابلية والفارسية واليونانية قد تركت طابعاً لم يكن من السهل إزالته، حيث انتشرت في طول البلاد وعرضها العبادات الوثنية على اختلافها، وشيدت في كل أنحاء فلسطين معابد وهياكل لآلهة عديدة وكثيرة.

وأما ديانة يهوه فاضطهدت وضعفت، بل في كثير من الأحيان لم تعد كديانة من الديانات الأخرى الموجودة في البلاد بل أصبحت ديانة مُكْلفة كان ثمنها في بعض الأحيان حياة الذين كانوا يتمسكون بها ويحيونها حياة عمليةَ.

وفي عام ١٦٧ ق. م قام أنطيخوس الرابع بإقامة تمثال يحتمل أن يكون تمثال جوبيتر الأولمبي في نفس المكان الذي كان فيه مايسمى مذبح التقدمة. وبذلك اعتبر

اليهود هذا العمل بأنه نجّس بيت الرب . وقد أصدر هذا الإمبراطور قراراً يمنع اليهود من تقديم الذبائح والعبادة لله في بيت الرب . وكان هدف هذا القرار توحيد الديانة الرومانية والقضاء على تنوع الديانات . والواقع أن هذا القرار كان ضد جميع الديانات وليس الديانة اليهودية فحسب ، وكان من يتعبد لآلهة أخرى ويقدم لها الذبائح يحكم عليه بالموت . وأنذاك أرغم اليهود على أكل لحم الخنزير .

وكان من العادات اليهودية تعيين رئيس للكهنة الذين يكهنون لبيت الرب ، وقد عرفنا من خلال الأناجيل أن زكريا ، عليه السلام ، وهو الذي عاصر بداية حياة المسيح ، كان يكهن للرب ، لاسيما عندما جاء الملاك جبريل وبشره بولده يحيى .

وعندما ننظر إلى واقع العبادات لدى اليهود لابد لنا أن نشير إلى أنهم كانوا عدة فرق ، وكان أهمها فرقة الفريسيين التي عاندت السيد المسيح ورفضت مابشر به ، وفي الوقت نفسه كانت جماعة الأسينيين في قمران تؤسس لنفسها عالماً خاصاً بها . وقد برزت فرقة الأتقياء من الفريسيين كجماعة ترفض الاندماج وتبني الثقافة الرومانية ، وبرزت أيضاً فرقة الصدوقيين التي كانت تؤيد الحكم الروماني ولكنها ظلت على يهوديتها .

وكان عدد الكهنة الصدوقيين أكثر من غيرهم حتى انقلب الأمر للفريسيين زمن المسيح ، وكان الصدوقيون يؤمنون بأسفار موسى الخمسة ، ويرفضون كل تقليد شفهي وكل الطقوس الخاصة بالطهارة ، وكان الصدوقيون أيضاً يرفضون قيامة الأموات كما أنهم لايؤمنون بالملائكة ولا بالشياطين ، ولايؤمنون بالعناية الإلهية ، ويعتقدون أن الإنسان حرٌ في اختيار الخير ورفض الشر .

وقبل ظهور المسيح بسنوات بدا واضحاً أن اليهود على مختلف أحزابهم آنذاك تركوا التمسك بالناموس والمكتوب ، واشتركوا في عبادات ومعاملات غير يهودية ، وقد تواطأت طبقة الكهنة آنذاك مع الرومان .

ومع ولادة المسيح وظهوره على ساحة الدعوة كانت العبادات اليهودية وكذلك المعاملات تسير جنباً إلى جنب مع عبادات الوثنيين من الرومان ومعاملاتهم.

والواقع أنه لو رجعنا إلى تاريخ اليهود لرأينا أن الفترة التي بدأ فيها المسيح دعوته كانت فترة اضطراب وقلق وعدم استقرار من الناحية السياسية والدينية.

ومع ذلك كله فإننا نجد أن العبادات اليهودية وكذلك المعبد بقيت على حالها زمن بعثة المسيح. إلا أن تطور العقيدة المسيحية بعد رفع المسيح لحق التطور في العبادات نفسها. فالصلاة تطورت وكذلك الصيام وكذلك بقية الأمور المتعلقة بالقرابين والمعبد والأعياد.

وتبرز الصلاة كأهم أنواع العبادات التي اهتم بها كتبة الأناجيل والقائمون على العقيدة النصرانية. وقد عرفنا أن اليهود قد أقاموا الصلاة، وعرف منهم الصلاة في أوقات ثلاثة، وكذلك الصلاة في أيام معروفة محددة.

وقد وردت في الأناجيل إشارات عديدة لصلاة السيد المسيح، عليه السلام، إن كانت في بيت الرب أو في أماكن أخرى.

وكذلك عرف السيد المسيح الصيام وقام به، وقد ظهر ذلك في الأناجيل بشكل واضح. وهناك عبادات أخرى كالأدعية وتقديم القرابين والاغتسال والقيام بالامتناع عن المحرّمات كشرب الخمر أو الزنا أو هتك الأعراض والتعريض بالناس.

وكل هذه الأمور أصبحت تشريعات طورها الكهنة وكبار رجال الدين في العقيدة النصرانية.



الفصل الأول

الخدمة الكهنوتية - الصلاة - الصيام - التعميد - الحج



الخدمة الكهنوتية

يورد إنجيل لوقا في الفصل الأول أن زكريا كان يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله في دور فرقته، وألقيت القرعة جرياً على سنة الكهنوت فأصابته ليدخل مقدس الرب ويحرق البخور، وكانت جماعة الشعب كلها تصلي في خارجه عند إحراق البخور، فمن خلال ماجاء في هذا الإنجيل نعرف أنه مع ولادة المسيح كانت هناك طقوس سائدة لدى اليهود. فهناك خدمة كهنوتية في بيت الرب يقوم بها كبير فرقة من فرق الكهنوت اليهودية، وهناك قرعة تُجْرى لمعرفة دور من يكهن.

ويرافق هذا العمل حرق البخور الذي هو عادةٌ موجودةٌ فرضتها التقاليد التي بثتها التوراة. وإلى جانب ذلك هناك صلاة جماعية يقوم بها الناس خارج المقدس الذي يكون بداخله الكاهن الأكبر.

ويتضح أيضاً أن هناك مايسمى مذبح البخور، حيث يحرق فيه البخور لتكملة مهمة التقديس.

وقد أورد القرآن الكريم قصة زكريا وتعبده ودعائه.

فحسب النص القرآني فإن زكريا كان يتعبد بالصلاة في المحراب.

يقول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

ويقول الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

إذن فهناك صلاة وهناك تعبد في المحراب، وليس هناك شديد اختلاف في الإطار العام.

وجاء في إنجيل لوقا أنه لما انقضت ثمانية أيام فحان للطفل أن يختتن سمّي يسوع كما سماه الملاك قبل أن يُحبل به.

وجاء أيضاً: ولما حان يوم طهوره بحسب شريعة موسى صعدا به إلى أورشليم ليقرباه للرب. كما كتب في شريعة الرب أن كل بكر ذكر ينذر للحرب وليقربا كما ورد في شريعة الرب زوجَيْ يمام أو فرخي حمام.

فنرى أن المسيح عليه السلام يُختن وهو ابن ثمانية أيام وذلك تطبيقاً لسنة إبراهيم عليه السلام وشريعة اليهود، التي سارت في الختان على نهج إبراهيم. فالختان إذاً من العبادات أو الطقوس التي كانت سائدة حين وُلد المسيح عليه السلام.

ويتضح أيضاً أن هناك طقوساً للطهارة تقوم بها المرأة بعد ولادتها بأربعين يوماً، أما الغلام الذي يُراد تطهيره فينذر للرب ثم يُفدى بقربان.

ويتضح أيضاً أن قربان الفقراء من الناس كان عبارة عن فرخين من الحمام، أما الأغنياء فكانوا يقربون حَمَلاً، وهذا ماورد في نصوص التوراة، وخاصة في أسفار موسى الخمسة.

ويرد في الفصل الثاني من إنجيل لوقا أن هناك نبيّة هي حنّة ابنة فانوئيل كانت متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار.

وهذه أيضاً إشارة لوجود صلاة وصوم عند اليهود زمن ولادة السيد المسيح.

ويأتي في لوقا أن أبويه كانا يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح.

فعيد الفصح من أعياد اليهود المعروفة ويدوم عدة أيام.

وفي الفصل الثالث من لوقا تظهر عادة التعميد وقد ابتدعها يوحَنَّا وهـي من الأمور الهامة التي ترتبط بالعقيدة النصرانية.

جاء فيه (أنا أعمدكم بالماء) (وكان يقـول للجموع التي تخرج إليه لتعتمد عن يده) (ولما اعتمد الشعب كله واعتمد يسوع أيضاً وكان يصلي).

وندرك أن التعميد من صنـع يوحَنَّا وليس مـن صنـع المسيح بمعنى أن هـذه العادة سبقت خدمة المسيح.

ويتضح من الفصل الرابع أن المسيح، عليـه السلام، كان يصوم أربعين يوماً وليلة. وقد نجد ذلك في التوراة عند الحديث عن موسى عليه السلام عندما ذهب ليتلقى تعاليم ربه. وقد ورد ذلك في القرآن الكريـم في قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥٢].

وقد ورد أيضاً قول لوقا: مكتوب: (للرب إلهك تسجد) وهـذا يعنـي أن في العقيدة السائدة زمن السيد المسيح سجوداً. والسجود لله لايتم إلا في صلاة.

ومن عادات العبادات أن النـاس كـانوا يتعبـدون يـوم السبت ويذهبـون إلى معبد الرب، يقول لوقا ودخل المجمع يوم السبت على عادته وقام ليقرأ.

ويمر أيضاً في إنجيل لوقا أن المسيح أمر الأبرص الذي شفاه وقال له: (اذهـب إلى الكاهن فأره نفسك ثم قرب عن برئك ماأمر به موسى شـهادة لديهـم)، وهـذا يعني أن الذي كان يُشفى من مـرض مـايقدّم تقدمـة وقربانـاً لـلرب حسـب ماقـالت شريعة موسى.

وأورد إنجيل لوقا أن تلاميذ يوحَنَّا يكثرون من الصوم ويقيمون الصلوات.

ويرد أيضاً: (وفي تلك الأيام ذهب إلى الجبل ليصلي فأحيا الليل كله في الصلاة).

ويرد أيضاً: (وبينما هو يصلي تبدل منظر وجهه وصارت ثيابه بيضاً تتلألأ كالبرق).

ويرد في إنجيل لوقا أن المسيح طلب السهر والصلاة من تلاميذه حتى يكونوا أهلاً للنجاة.

ويرد مايسمى عشاء عيد الفصح، ويوم الفطير، وهو من الأعياد اليهودية المعروفة (وجاء يوم الفطير وفيه يجب ذبح حمل الفصح فأرسل بطرس ويوحَنَّا وقال لهما اذهبا فأعدا لنا الفصح لنأكله).

ويرد أيضاً عن صلاته: (وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة وصار عرقه كقطرات دم متخثر تتساقط على الأرض. ثم قام عن الصلاة فرجع إلى تلاميذه فقال لهم مابالكم نائمين قوموا فصلّوا لئلا تقعوا في التجربة).

فمن خلال ماتقدم نعرف أن الصلاة كانت موجودة كعبادة يقوم بها الأنبياء والكهنة والناس، وكذلك الصيام والختان والطهارة والأعياد، فمن هذه الأمور ماظل المسيح سائراً عليها ومنها مارفضه ووضع بديلاً تعبُّديّاً عنه.

الصلاة في العقيدة النصرانية

من خلال النصوص التـي وردت في الأنـاجيل نـدرك أن المسـيح ، عليـه السـلام ، كـان يصلـي ، وصلاتـه كـانت تعبـداً للـه وتقربـاً لـه ، وقـد ورد في القـرآن الكريم مايشير إلى أن الله أمر المسيح بـالصلاة فقـال اللـه تعـالى : ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم : ٣١].

والصـلاة فرضـت علـى سـائر الأنبيـاء ، لكـن كـل نبـي كـان يصلـي حسـب ماأملاه الوحـي الإلهـي عليـه ، ولـم تشـر الأنـاجيل ولا القـرآن الكريـم إلـى كيفيـة الصلاة . بينما أشارت آية إلى أن زكريـا ، عليـه السـلام ، كـان يصلـي وهـو قـائم ، ولاندري إذا كان القيام جزءاً من عدة حركات للصلاة أم أن الصـلاة كـانت تـؤدى في حالة القيام فحسب .

وعندمـا يـرد في إنجيـل لوقـا : (وأخـذه الجهـد فـأمعن في الصـلاة وصـار عرقـه كقطرات دم متخثر) نرى من خلال ذلك أن الصلاة التي كان يؤديها المسيح تأخذ منه جهداً وليست هـي صـلاة بـدون حركـة ، فـإذا كـان سـاكناً في وضـع معين لايتصبب العرق منه ، ولابد أن يكون قد أدى حركات عديدة حتى أخذ الجهد منه هذا المبلغ .

ويظهر أيضاً أن المسيح كان قد صلى في عـدة أمـاكن فتـارة في المعبـد ، وتـارة في البرية ، وهذا يشير إلى أن صـلاة المسيح ليس لهـا مكـان محـدد ، وعليـه فـإن حصـر الصلاة في الكنيسة أو الدير لايتبع الصلاة التي أداها المسيح في أي مكان دون تحديد .

وقد ورد في إنجيل مَتَّى في الفصـل السـادس مايسـمّى الصـلاة الربانيـة . وقـد

جاءت على لسان المسيح حسب هذا الإنجيل: ويقول فيها: (فصلوا أنتم هذه الصلاة: أبانا الذي في السموات ليقدس اسمك ليأت ملكوتك، ليكن ماتشاء في الأرض كما في السماء أُرزُقنا اليوم خبز يومنا، وأعفناَ مما علينا. فقد أعفينا نحن أيضاً مَنْ لنا عليه، ولاتعرضنا للتجربة. بل نجّنا من الشرير).

وبشكل عام فإن الصلاة حسب أكثرية المذاهب سبع صلوات في اليوم والليلة، وهي صلاة البكور وصلاة الساعة السادسة والحادية عشرة والثانية عشرة ومنتصف الليل. واهتمام المسيحية بالصلاة هو أكثر من اهتمامهم بالصوم، وليس للصلاة ترتيب خاص، وإنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان، وغاية مايلزم أن تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي ذكرناها.

وحسب المذهب الأرثوذكسي فإن الصلاة تبدأ بصلاة النهوض من النوم، واتفقوا على أدعية معينة تقال في هذه الصلاة، تبدأ بقولهم باسم الآب والابن والروح القدس آمين المجد لك ياإلهنا المجد لك. أيها الملك السماوي المعزي روح الحق الحاضر في كل مكان وصقع، والمالئ الكل كنز الصالحات، ورازق الحياة، هلمّ واسكن فينا وطهرنا من كل دنس وخلص أيها الصالح نفوسنا.

ويستمر هذا الدعاء حتى قولهم: وأمجدك أيها الإله الكلمة الممجّد في الآب والروح آمين. ويستشف من هذا أن الذي وضع هذه الأدعية ليس المسيح، عليه السلام، بل القائمون على الديانة النصرانية. وتنبع هذه الأدعية من الإيمان بالتثليث وليس بالوحدانية، ويلاحظ كثرة الصفات التي يلصقونها بالمسيح، عليه السلام، وبعضها صفات من صفات الله التي تنمّ عن خلط بين المسيح وبين الذات الإلهية وصفاتها.

وعندهم كذلك الصلاة السَّحرية، وتبدأ أيضاً بقولهم: باسم الآب والابن والروح القدس آمين، قدوسٌ الله قدوسٌ القوي الذي لايموت ارحمنا (ثلاثا)

المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى الدهر دهر الداهرين آمين. . . أيها الثالوث القدوس ارحمنا يارب اغفر خطايانا، ومن هذه الأدعية قولهم: أيتها الشفيعة الرهيبة غير المخذولة ياوالدة الإله الكلية التسبيح لاتُعرضي ياصالحة عن توسلاتنا. .).

وعندما نراجع بعض الأدعية التي وردت في بعض العقائد الفرعونية والهندية نرى تشابهاً كبيراً بينها وبين الأدعية التي مرّت معنا، وخاصة تلك التي تتعلق بالعذراء أم المسيح، عليه السلام.

ويستند المسيحيون في صلواتهم على بعض ماورد من مزامير التوراة كالمزمور الثالث والمزمور السابع والثلاثين، والمزمور الثاني والستين، والمزمور السابع والثمانين والمزمور الثاني بعد المئة والمزمور الثامن والأربعين بعد المئة. وبعد المزامير يرددون تراتيل لاتوجه لله، بل توجّه للملائكة كقولهم: (يارئيسَيْ الجنود السماويين إننا نبتهل إليكم نحن غير المستحقين طالبين أن تشملانا بتضرعاتكما بستر أجنحة مجدكما) وهذا يحدد بيوم الاثنين. أما في يوم الثلاثاء فيرتلون بقولهم: (إن تذكار الصديق بالمديح وأنت أيها السابق تكفيك شهادة الرب، لأنك ظهرت بالحقيقة أشرف من كل الأنبياء). وفي يومي الأربعاء والجمعة يقولون: (خلص يارب شعبك وبارك ميراثك وامنح المؤمنين الغلبة على محاربيهم واحفظ بقوة صليبك جميع المختصّين بك. .) وفي يوم الخميس: (أيها الرسل القديسون تشفعوا إلى الإله الرحيم أن يمنح غفران الزلات لنفوسنا)، وفي يوم السبت: (أيها الرسل والشهداء والأنبياء ورؤساء الكهنة والأبرار والصديقون الذين أكملتم حسناً شوط الجهاد وحفظتم الإيمان. .).

وفي الصلاة هذه دعاء للأموات الراقدين يقولون فيه: (اذكر يارب عبيدك بما أنك صالح، وسامحهم بكل ماخطئوا به إليك في هذا العمر لأنه ليس أحد بلا

خطيئة إلا أنت القادر أن تمنح المتقلين الراحة).

ويؤدون بعد هذه التراتيل المزمور الخمسين الموجود في التوراة الذي يقول: (ارحمني ياألله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امحُ مآثمي... الخ).

وفي الصلاة نفسها يوجد مايسمى التسبحة التاسعة، ويقال عنها تسبحة السيدة والدة الإله. ويقولون فيها: (تُعظِّم نفسي الربَّ وتبتهج روحي بالله مُخَلِّصي) وهي من إنجيل لوقا ١/ ٤٧ ـ ٥٥. ثم يقولون فيها المزمور الثامن والأربعين بعد المئة، والمزمور التاسع والأربعين بعد المئة ويقولون فيه: (رتلوا للرب ترتيلة جديدة، فإن تسبحته في مجمع الأبرار ليفرح إسرائيل بخالقه وليبتهج بنو صهيون بملكهم. ليسبحوا لاسمه بالطبول ليرتلوا له بالدف والمزمار) ثم يقولون في نفس الصلاة المزمور المئة والخمسين. وفيه أيضاً ترتيلة تحت عنوان المجد له.

أما الصلاة الثالثة فهي صلاة الغروب ويقولون فيها: (هلموا نسجد ونركع لملكنا وإلهنا، هلموا نسجد ونركع للمسيح ملكنا وإلهنا. هلموا نسجد ونركع للمسيح هذا هو ملكنا وربنا وإلهنا. والمسيح نفسه قال في الإنجيل لاتسجد إلا للإله، ولم يقل لاتسجد إلا للمسيح)، وفي هذه الصلاة يرتلون المزمور الثالث بعد المئة والمزمور المئة والأربعين والمزمور الحادي والأربعين بعد المئة الذي يُقال فيه: (بصوتي إلى الرب صرخت، بصوتي إلى الرب تضرعت، أسكب أمامه تضرعي وأحزاني قدّامه أخبِّر).

وفي هذه الصلاة أيضاً يرتلون المزمور التاسع والعشرين بعد المئة والمزمور السادس عشر بعد المئة. وفي هذه الصلاة أيضاً تراتيل منها ترتيلة المساء، وتقال يوم الأحد مساءً ويوم الاثنين مساء وفيها يقولون: (الرب يستمع لي حين أصرخ إليه «مرتين»، لما دعوت استجاب لي إله بري. الرب يستمع لي حين أصرخ إليه «مرة») ثم يوم الثلاثاء مساء والأربعاء مساء والخميس مساء والجمعة مساء

والسبت مساء، وفي هذه الأخيرة يقولون: (أهّلنا يارب أن نُحفظ في هذا المساء بغير خطيئة. مبارك أنت يارب إله آبائنا مُسبّح وممجد اسمك إلى الأبد).

وهناك صلاة رابعة تسمّى صلاة النوم الصغرى. ويقولون فيها المزمور الخمسين الذي يقول: (ارحمني ياالله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امحُ مآثمي).

ويقولون فيها أيضاً المزمور التاسع والستين والمزمور الثاني والأربعين بعد المئة وفيها مايسمى المجد له.

وهناك صلاة إلى الملك الحارس أو الملاك الحارس، يقولون فيها: (أيها الملاك القديس الملازم نفسي الشقية، وحياتي الذليلة، لاتهملني أنا الخاطئ، ولاتبتعد عني بسبب إسرافي وتبذخي، ولاتُعطِ من فرصة للشيطان الشرير لكي يسود باقتداره على جسدي هذا المائت) وهناك صلوات إلى ولدة الإله كما يقولون.

والصلاة الخامسة هي صلاة قبل المناولة. وهذه تعني أن المسيحي حين يزمع أن يتناول الأسرار المقدسة عليه أن يتلو صلاة النوم المعتادة، ويضيف عليها قانوناً آخر يقولون فيه: (أيها الرب المتحنّن فليصرْ لي جسدك المقدس ودمك الكريم خبز حياة أبدية ودواء شافياً للأمراض الكثيرة).

ويلاحظ أيضاً في هذه الصلاة التشابه الكبير بين مايقال هنا وماقاله الوثنيون الهنود في صلواتهم عن الإله براهما. ولعل عبارة جسدك المقدس ودمك الكريم تدل على ذلك، وفي هذه الصلاة كلام ودعاء للقديس يوحَنَّا الذهبي الفم ولسمعان المترجم.

وهناك أيضاً صلوات مختلفة مثل صلوات المائدة وتقال قبل الأكل وبعد الأكل، وهناك صلاة عند مطالعة مايسمى الكتاب المقدس، وصلاة قبل الدرس، وصلاة بعد الدرس، وصلاة قبل الاعتراف، وصلاة التوبة.

وهناك أشبه شيء بالصلاة وهي التراتيل التي ترافق بالألحان، وهي عبارة عن أدعية أيضاً وتمجيد للسيد المسيح وللعذراء، ولكنها تُرافق بموسيقا، وذلك داخل الكنيسة. ولم تشر الكتب والمصادر المسيحية إلى أن هناك غسلاً أو مايشبه الوضوء والطهارة قبل الصلاة. ففي الإسلام لاتصح الصلاة دون وضوء وتطهير. وهنا لابد أن يُطرح سؤال يقول: هل الصلاة في المسيحية معنوية لفظية فحسب، ولاتستدعي الطهارة والغسل؟ هل يمكن للذي يقوم من نومه وهو جنب أن يؤدي الصلاة الصباحية أو صلاة بعد النوم؟ هل يستطيع أي إنسان الدخول إلى الكنيسة وتأدية الصلاة دون أن يكون مغتسلاً أو متطهراً من نجاسة البول أو الغائط أو الجنابة؟

فالمسيح، عليه السلام، كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض، وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب، وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولايمس ماء ولايستجمر. والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك، وصلاته صحيحة تامة ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره فضلاً عما سوى ذلك.

ويقولون إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود، وأقرب إلى مخالفة الأمتين. ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه. وحاشى المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد الحواريين. والمسيح كان يقرأ في صلاته ماكان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤون في صلاتهم من التوراة والزبور. وطوائف النصارى إنما يقرؤون في صلاتهم كلاماً قد لحّنه لهم الذين يتقدمون ويصلّون بهم، يجري مجرى النوح والأغاني. فيقولون هذا قدّاس فلان وهذا قدّاس فلان، ينسبونه إلى الذين وضعوه. وهم يصلّون إلى الشرق، وماصلى المسيح إلى الشرق قط، وماصلى

إلى أن رفعه الله إلاّ إلى بيت المقدس، وهي قبلة داود والأنبياء قبله)[1].

والواقع أن اختلافاً كبيراً يقع بين المذاهب المسيحية بشأن الصلاة، فالبروتستانت لايطلبون الرحمة لنفس الميت ولا النياح له. كل مايحدث أن يدخل جثمان الميت إلى الكنيسة لتقرأ بعض الفصول، وتلقى العظة لمجرد تعزية أسرة المتوفى، أو للاستفادة من الموت، ولكن لايصلون مطلقاً من أجل الميت، ولايطلبون مغفرة ولايسألون الله من أجل أبدية هذا الذي انتقل[2].

وكنائس البروتستانت لاتتجه إلى الشرق مثل الأرثوذكس، كذلك إذا وقفوا للصلاة لايتجهون إلى الشرق، بل في أي اتجاه حسب موضع كل منهم.

وليس للبروتستانت مايسمّى صلاة قنديل، أي صلاة مسحة المرضى سواء اعتبرت سراً من أسرار الكنيسة أم لا. فهم لايؤمنون بالأسرار أو بأية صلاة طقسية ولا بالصلاة على المرضى كسرٍّ كنسي فيه تقديس الزيت والدهن به، ولايؤمنون بالصلوات السبع التي للكنيسة، لا بمواعيدها ولا بمحتوياتها، ولا يلتزمون بمبدأ الصلوات المحفوظة عموماً. يصلي كل إنسان مَتَّى يشاء وكيفما يشاء، ولايستخدمون صلاة (أبانا الذي في السموات) في بدء الصلاة ولا في نهايتها. ولايلتزمون بها إطلاقاً. كما لايلتزمون مطلقاً بصلاة المزامير، ويرى الأرثوذكس أن الملائكة تعرف صلوات الناس لأنها تحمل الصلوات إلى العرش.

---

(١) ابن القيم الجوزية: هداية الحيارى.

(٢) البابا شنوده الثالث. اللاهوت المقارن ص ١٦.

الصوم في العقيدة النصرانية

مثلما كان للعهد القديم أثره الأول والكبير في صلاة المسيحيين من حيث تلاوة مزامير وأقوال لأنبياء بني إسرائيل. فإن الصوم أيضاً هو امتداد من اليهودية إلى المسيحية مع تطور واضح على يد من يسمّون الرسل وكتبة الأناجيل والرسائل والأعمال.

والصوم أساسي في العقيدة المسيحية، حتى يرد أن الصوم عند المسيحيين أهم من الصلاة. والصوم توجيه اختياري لا إجباري. ومعنى الصوم عندهم الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار، ثم هو تناول طعام خال من الدسم، ويشمل الصوم عند المسيحيين صوم يوم الأربعاء، وهو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على السيد المسيح، عليه السلام، حسب قول الأناجيل، وكذلك صيام يوم الجمعة؛ لأن المسيح، كما يزعمون، صُلب يوم الجمعة، وعندهم مايسمى صوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهي بعيد الميلاد. ولديهم أيضاً الصوم المقدس، وعدد أيامه ٥٥ يوماً وهي عبارة عن الأربعين يوماً التي صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعان. الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين، ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس. والأسبوع الثاني أسبوع الآلام، ويأتي بعد الأربعين وينتهي بأحد القيامة. ويمتنع في هذا الصوم أكل لحم حيوان أو مايتولد منه، أو مايستخرج من أصله، ويقتصر على أكل البقول ولايعقد في أثنائه سر الزواج. ثم يجيء صيام الرسل، وعدد أيامه يزيد أو ينقص حسب الطوائف، وتتراوح مدته بين ١٥ و ٤٩. ثم صوم العذراء ومدته ١٥ يوماً

تبدأ من أول شهر مسرى وهو اسم شهر عبراني .

وهناك مايسمّى الصوم الإفخارستي (أي الصوم استعداداً للمناولة) وهو تراث كنسيّ قديم ، ويكون بالانقطاع عن الطعام منذ منتصف الليل السابق ليوم المناولة ، يُستثنى من ذلك الأطفال والطاعنون في السن ومن عليهم أخذ دواء أو طعام أو شراب بحسب وصفة طبيب . وفي حال إقامة القداس الإلهي مساءً وجب انقطاع المؤمن عن الطعام والشراب خمس ساعات قبل القداس الإلهي[1] .

وقد ورد في الأناجيل مايشير إلى صيام السيد المسيح عليه السلام .

فقد جاء في إنجيل مَتَّى : فقد سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس فصام أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى جاع) مَتَّى ٤ : ١ ـ ٢ .

وجاء أيضاً في إنجيل مَتَّى : وإذا صُمْتُم فلا تعبسوا كالمرائين فإنهم يكلّحون وجوههم ليظهر للناس أنهم صائمون . الحق أقول لكم إنهم أخذوا أجرهم ، أما أنت فإذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكيلا يظهر للناس أنك صائم) مَتَّى ٦ : ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ .

ومن خلال قراءتنا لتعاليم الكنيسة ، وخاصة الأرثوذكسية ، نرى أن الصوم لم يكن رمزاً إنما هو وصية قائمة في العهد القديم كما هي قائمة في العهد الجديد .

والبروتستانت لاينكرونه بصفة مطلقة ، إنما يلغونه تقريباً من الناحية العملية فيقول البروتستانت إن الصوم ينبغي أن يكون في الخفاء بين الإنسان والله عملاً بوصية الرب في العظة على الجبل .

وليست للبروتستانت أصوام ثابتة يصومهاجميع المؤمنين في مواعيد محددة لها . وفي مناسبات خاصة بها إنما الصوم عندهم ، في غالبيته ، عمل فردي يصوم الفرد

---

(١) بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس . الدليل الرعائي إلى الأسرار ص ٧٤ .

منهم متى شاء وكيف شاء. ولاسلطان للكنيسة عليه في هذا ولاتدخل لها في صومه.

ويعتمدون على فهم خاطئ للآية التي تقول (لايحكم أحد عليكم في أكل أو شرب أو من جهة عيد أوهلال أو سبت التي هي في ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح) ولايوافقون في الصوم على الطعام النباتي، والامتناع عن الأطعمة الحيوانية ويتهمون الأرثوذكس بأنهم في ذلك ينطبق عليهم على الأقل الجزء الأخير من الآية التي تقول في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان. . . مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة خلقها الله لتُتناول بالشكر).

ويرى الأرثوذكس أن الصوم في الخفاء خاص بالعبادة الفردية وليس بالعبادة الجماعية؛ لأنه يوجد هذان النوعان في العبادة. فالصوم الفردي في الخفاء لايمنع الصوم العام لكي يشترك كل المؤمنين معاً في صومهم.

وتستند المسيحية في الصيام على ماجاء في العهد القديم من صوم الشعب أيام أستير وصوم أهل نينوى. وصوم الشعب أيام عزرا ونحميا والصوم أيام يوئيل. أما الصوم في العهد الجديد فقد ورد أن الرسل قد صاموا وليس في الخفاء. فالصوم الجماعي مقبول وليس فيه رياء كما يقول البروتستانت.

والصوم في مواعيد محددة تعليم كتابي كما حدد الرب في سفر زكريا النبي، صوم الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر، والحكمة من ذلك تنظيم العبادة الجماعية. ويرون أن الكنيسة نظمت الصوم ووضعت له أسسه الروحية ومواعيده الثابتة المبنية على قواعد روحية. وبرأيهم أن الكنيسة من حقها أن تنظم، بل من واجبها أن تنظم. أما البروتستانت فمن أجل حرية الفرد أضاعوا فائدة الجماعة كلها واختفى الصوم عندهم تقريباً حسب رأي الأرثوذكس. ويستشف من الصيام عند المسيحيين أنه يقتصر على عدم أكل الدسم، وهو بشكل عام صيام روحي.

ولم نعثر على أي نص يقرر إن كان يجوز للرجل أن يتابع صومه إذا وطئ

زوجته أو يجوز للمرأة الحائض أو النفاس أن تصوم. وقد حدد القرآن الكريم ذلك فمنع المرأة الحائض والنفاس من الصيام حتى تطهر، ومنع الأزواج من معاشرة أزواجهن معاشرة جنسية إذا كانوا صائمين. والواقع أن الكنيسة طورت بمفهوم الصيام فلم يكن في حياة المسيح مثل ماهو عليه اليوم.

وفي زمن أحد القساوسة كتب بطريق (بترك) الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس وبترك أنطاكية وبترك رومية في كتاب فصح النصارى وصومهم وكيف يُستخرج من فصح اليهود. فوضعوا فيها كتباً على ماهي اليوم. قال وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود المسيح إذا عيَّدوا عيد الغطاس من الغد يصومون أربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح، لأنه لما اعتمد في الأردن خرج إلى البرية فأقام بها أربعين يوماً، وكان النصارى إذا أفصح اليهود عيّدوا هم الفصح. فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح، وكان المسيح يعيّد مع اليهود في عيدهم واستمر على ذلك أصحابه إلى أن ابتدعوا تغيير الصوم، فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم إلى وقت لايكون عيدهم مع اليهود[1].

---

(١) ابن القيم الجوزية هداية الحيارى ص ٢٣٠.

الحج ومفهومه في المسيحية

لم يكن الحج يوماً من الأيام عبادةً من عبادات العقيدة النصرانية. فلم تشر الأناجيل إلى ذلك، ولم تظهر هذه العبادة في الكتابات المسيحية الأولى. وكبقية العبادات خضعت هذه العبادة أو الشعيرة لاختراعات وابتداعات من قبل اللاهوتيين المسيحيين وخاصة البابا.

وباعتبار أن المسيح عليه السلام قد ولد في فلسطين، ورفع إلى السماء منها فقد أنشئت له كنيسة في الناصرة وكنيسة القامة في مدينة القدس، وكذلك كنيسة أخرى في بيت لحم، واعتبر المسيحيون كل بقعة تجول فيها المسيح مكاناً مقدساً.

وراح اللاهوتيون مع مرور السنين يفلسفون مفهوم الحج بأنه زيارة واجبة على كل مسيحي إلى تلك الأماكن المقدسة.

كيف نشأ مفهوم الحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين؟

في القرن الحادي عشر كانت الكنيسة مالكة غنية للحقول والمروج والبساتين، وكانت تستثمر العبيد والفلاحين الذين يخصونها استثماراً وحشياً. وبما أن الكنيسة كانت أكبر مَلاّك عقاري إقطاعي فقد كانت حصناً روحياً لعموم طبقة الإقطاعيين، وفي ذلك كانت تتلخص وظيفتها الاجتماعية، وكان رجال الدين يساعدون الإقطاعيين في السيطرة على الفلاحين والحرفيين، وذلك بالوعظ بالتعاليم المسيحية التي تقول: إن النظم الأرضية هي من صنع الرب، وإنه لايصح ولايمكن بالتالي تغييرها وبمطالبة الكادحين بالخضوع التام لأسيادهم، وبوعد الودعاء بالنعيم في الجنة

بعد الموت، وبتهديد المتمردين والعصاة بالعذابات الأبدية في الجحيم.

وعندما أخذ العبيد يَهُبُّون ضد الأسياد في القرنين العاشر والحادي عشر وعندما بدأت أفعال الفرسان والإقطاعيين تصيب بالضرر أتباع الكنيسة من رهبان وغيرهم راحت الكنيسة تبتدع أساليب جديدة توطد من خلالها مواقعها المادية والمعنوية، وكان من أهم الأساليب التي ابتدعتها الكنيسة تحويل أنظار طبقة العبيد والفقراء نحو الشرق. فبدل النهب والسلب وجَّهَتْهُم تجاه الشرق، أي تجاه بلاد الشام وفلسطين بالذات من خلال مفهوم الحج الذي طرحته.

وقد وجه البابا آنذاك نداء إلى جموع المسيحيين في الغرب يدعوهم فيه للحج إلى فلسطين، والقدس بالذات.

ويرى الباحثون أن التوجه لزيارة كنيسة القيامة وكنيسة المهد والأماكن الأخرى يعود للقرن الرابع الميلادي. لكنه لم يكن ملحوظاً باعتباره طقساً أو عبادة كالصلاة.

وما إن حل القرن الحادي عشر حتى غدا منتشراً بقوة كبيرة في أوساط المسيحيين الغربيين وبدأت عمليات الحج بشكل فردي، ثم تطورت حتى أصبحت عملياتها تتكاثر وتكتسب طابعاً عاماً. وقد أشارت المصادر إلى أن جموعاً لاتحصى كانت تمضي من جميع أنحاء العالم إلى القدس.

وعمليات الحج أو زيارات الأماكن المقدسة انتشرت على درجة كبيرة بحيث انعكس هذا على كل قيم نظام المجتمع الإقطاعي الروحية، وفي المقام الأول على التصورات عن القداسة التي كانت لها أهمية كبيرة في الفكر الإقطاعي. وأصبحت عمليات الحج بمنزلة قسم إلزامي من الزهد والنسك. والتوجه بالسفر إلى القدس صفة لاغنى عنها في سيرة القديسين، وكل من كان يريد أن يخلق ويثبت لنفسه سمعة الطاهر (الفقير بالمسيح) كان يذهب إلى القدس لتكريم المقدسات المسيحية

الموجودة هناك من قديم الزمان. والصلاة في كنيسة القيامة والتمتع بإجلال ومهابة بمشاهدة جميع الأماكن التي تجوَّل فيها المسيح يوماً ما.

وقد ترابطت مفاهيم عادة الحج مع مفاهيم العهد بممارسة سلوك النساك المقدسين بدرجة عالية من الثقة، إلى حد أنه كان لايندر لسير القديسين أن تنسب السَّفر إلى القدس، بقدر ماتنسب للقديسين أنفسهم على الرغم من أن كثيراً منهم لم يذهب إلى فلسطين ولم يحج إلى القدس. وقد ألفت الكنيسة قصصاً خيالية قالت فيها إن القديسين الذين لم يحجوا إلى فلسطين كانت في نيتهم زيارة القدس والحج إليها إلا أن ظروفاً معينة حالت دون زيارتهم إلى فلسطين.

لقد أصبح السفر إلى فلسطين للحج إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين قانوناً في سرد قصص القديسين. وصار واقعة ثابتة إن لم يكن الواقعة المركزية، وهذا السَّفر إلى القدس هو الذي رمز إلى تحوّل الإنسان العادي إلى قديس، وكأن الحج كان يشكل ذروة الصعود إلى قمم تلك الحياة المكرسة كلياً لهموم العالم الآخر. وقد صار أهم علامة على أن الإنسان قد قطع صلته بالعالم الباطل، وغدا رمز التعوّد على العصمة عن الخطيئة والطهارة. فالسفر إلى فلسطين باعتبارها مهد المسيح وقيامته تعتبره الكنيسة مأثرة عظيمة كبيرة أمام الله، وكان يُنسَب إلى الصلاة في الأرض المقدسة معقول خاص وكان كل هذا يضفي على القدس جاذبية كبيرة.

كانت الأسفار التي تسمى أسفار التقى والورع إلى القدس عاملاً جوهرياً من عوامل نشوب الحروب الصليبية. وبفضل هذا الحج الذي اخترعه البابا قام في أوروبا الغربية جوٌّ مفعم بأمزجة الانقطاع عن خيرات الدنيا والندم والتكفير عن الذنوب. جو من الزهد الديني نبع أصلاً من اضطراب الوضع الاجتماعي في الغرب الذي أسفر عن ظهور الإحساس بالاضطراب والاعتلال، وعن السعي إلى

التخلص من المصائب الحياتية، وكانت عمليات الحج تسهل كثيراً على البابوية اختيار وتعيين اتجاه عدوان الفرسان، الاتجاه الذي يمكن أن تتلاقى فيه الرغبات المتناقضة لمختلف فئات الإقطاعيين.

أما من حيث التركيب الاجتماعي فقد كانت عمليات الحج حركة مزخرفة ملونة، وبدا أن أهداف الحجاج الفعلية كانت مختلفة على الرغم من أن الحج بدا للجميع مشروعاً دينياً صرفاً. فكانت مثلاً لدى الفئات الفقيرة تعبيراً مغلفاً بغلاف الدين، أما في عيون طبقة الإقطاعيين فقد كانت الأهداف المهمة هي البواعث الدنيوية، أي الرغبة في اكتساب سلع البذخ في الشرق، ورؤية أماكن جديدة، والتخلص، ولو مؤقتاً، من رتابة الحياة القروية مع همومها اليومية.

ومن أمثلة ذلك أن أسقف أورليان المدعو أود إلرك عندما ذهب وحج إلى القدس اشترى فانوساً نفيساً من بطريرك القدس مقابل رطل من الذهب، وقال في ذلك أحد شواهد الحملات الصليبية، وهو رادولف غلابر: إن الأسقف حمل الفانوس إلى أورليان لأجل تجميل كنيسته حيث عاد على المرضى بالكثير من النفع.

وهناك أهداف أخرى تجلت من خلال مواقف بعض زعماء الإقطاعيين الأوروبيين، ومثال ذلك أن روبير الأول النورماندي الذي انطلق إلى الشرق سنة ١٠٣٥م أجبر أتباعه الكبار قبل بدايةالحج على حلف اليمين والاعتراف بابنه غير الشرعي غليوم ابن الزنى (والذي أصبح الفاتح فيما بعد) وريثاً له. وهكذا كان الحج في هذه الحالة ذريعة مناسبة لأجل بلوغ هدف سياسي معين.

ومن عادات الزعماء الإقطاعيين أثناء سفرهم إلى فلسطين بغية الحج أنهم كانوا يوزعون شتى المجوهرات التي أخذوها معهم لهذه الغاية. وكانوا يعتبرون ذلك بمنزلة توطيد لنفوذهم في أوساط الشعب البسيط، وكانت الكنيسة تشجع هذه التوزيعات بوصفها فعلاً يرضي الله.

وتحت ذريعة الحج كان الفرسان ينضمون إلى الزعماء والملوك. ففي سنة ١٠٦٥م انطلق من ألمانيا إلى الحج زهاء سبعة آلاف شخص إلى اثني عشر ألفاً. وكان الذين لاأرض لهم وكذلك المعدمون يفتشون فيما وراء البحار عن الفرص لإصلاح أوضاعهم، وكان بعض منهم يرغبون في غفران الجرائم التي اقترفوها في بلادهم، والواقع أن الفرسان نهبوا في بلادهم الكنائس والأديرة، وعلى الرغم من ذلك توجهوا إلى الحج لغايات وأهداف كثيرة أخرى. لقد تقبل هؤلاء المسيحية على طريقتهم كما فهموها وكيّفوها للمفاهيم المألوفة على الإقطاعيين، وكانوا يتصورون الرب بصورة المولى الأعلى الذي يكافئ أتباعه الأرضيين بسخاء على خدمتهم الأمينة، ويغفر الخطايا، ويمنح الغبطة الأبدية في الجنة، كل هذا يفسر اتساع اشتراك الفرسان في عمليات الحج، وهذه العمليات كانت تلقى التحبيذ التام من جانب رجال الكنيسة.

إن حركة الحج التي اخترعها البابا والإقطاع قد هيأت للحروب الصليبية فكرياً وعملياً، فقد أسهمت في تعاظم الأمزجة والميول الدينية الزهدية، وعرّفت الأوروبيين على الطرق إلى الشرق وعلى الوضع في الوطن العربي. وأهم ماأسهمت فيه تعطُّشُ الإقطاعيين لامتلاك إقطاعات وأراض واسعة في الشرق العربي[١].

وإذا نظرنا إلى مفهوم الحج في وقتنا المعاصر الذي يخص المسيحية فإننا نرى ضعفاً كبيراً فيه، بل انقطاعاً تاماً لدى بعض الفئات المسيحية، ومع الاحتلال الصهيوني لفلسطين زاد ضعف مفهوم الحج لدى المسيحيين.

ومن جانب آخر فقد أصدر البابا شنودة قراراً يمنع فيه المسيحيين الأقباط من الذهاب إلى القدس بحجة الحج مادامت القدس في قبضة الاحتلال الصهيوني.

---

(١) ميخائيل زوبوروف. الصليبيون في الشرق ص ٢١ ـ ٢٣.

وبشكل عام فإن الكنائس الشرقية ترى في الحج إلى القدس في هذه الظروف ضرباً من الخروقات للمسيحية. فلا حج إلى بيت المقدس في ظل الاحتلال الصهيوني.

بينما قام البابا الحالي بزيارة إلى فلسطين وأدى حجه وزار كنيسة القيامة وكنيسة المهد وزارحائط البراق المسمّى زوراً وبهتاناً حائط المبكى.

وبذلك شكل بادرةً طيبة بالنسبة لليهود المحتلين. وفتح باباً لجميع المسيحيين الغربيين الكاثوليك لزيارة الأماكن المقدسة ولو كانت تحت الاحتلال.

أما البروتستانت فإنهم يجدون باحتلال الصهاينة للقدس أمراً محبباً، بل أمراً إلهياً يهيئ لمجيء المسيح الثاني، ويشجع البروتستانت الكيان الصهيوني على إقامة مايسمى الهيكل مكان المسجد الأقصى. على الرغم من أن البروتستانت أكثر المسيحيين حقداً على الإسلام وأكثر المسيحيين تحلّلاً من تعاليم الدين المسيحي. فالحج بنظرهم أمرٌ تافهٌ إذا ماقيس بتحقيق نبوءات الكتاب المقدس القائلة بإعلان الحرب على المسلمين وإقامة الهيكل وتقوية الدولة اليهودية حتى يأتي المسيح حسب مايزعمون.



الفصل الثاني

الإفخارستيّا - القرابين - التوبة والاعتراف

الكهنوت - الأديرة



الإفخار ستيّا

تعني الإفخار ستيا سر الشكر ـ ويقولون إنها مائدة الرب التي يقدم فيها المسيح لنا نفسه مأكلاً ومشرباً حقيقيين في ذبيحة غير دموية . إذ هي استمرار لضحية الصليب عينها كما يقولون ، وتعني أيضاً مناولة القرابين الإلهية ، وهي اشتراك في جسد الرب ودمه فإن الخبز والخمر يصبحان باستدعاء الروح القدس وحلوله غير المنظور جسدَ المسيح الطاهر نفسه ودمه الكريمَ عينه .

والكنيسة هي التي تقيّم الإفخار ستيا ، والإفخار ستيا هي التي تشكل الكنيسة وتوحد أعضاءها ، وتغذيهم بالحياة ، لهذا فَسِرُّ الشُّكر هو سر الجماعة ووحدتها وترابطها .

والواقع أن الإفخار ستيا صنعها زعماء الكنيسة وجعلوا لها طقوساً وقدّاساً ولم يكن المسيح قد طرحها ، أو لم يقل بها على الإطلاق .

وسر الشكر حق خاص بالأساقفة والكهنة ، فهم الذين يقيمون سر الشكر (القداس الإلهي . أما الشمامسة فيساعدون في إتمامه وفق الدور الذي تخصصه لهم الترتيبات الطقسية .

القُدَّاس

القُدَّاس الإلهي حدثٌ كنسيٌ لافرديٌ ، حيث يحتفل الكاهن بالقداس الإلهي وسط جماعة المؤمنين ، ولايقيمه منفرداً . لأن القداس الإلهي هو سر جماعة المؤمنين التي تؤلف جسد المسيح كما يقولون . فهو للكنيسة كلها . وهناك

زمن يقام به القداس الإلهي ، فهو يُقام يوم الأحد والأعياد المسيحية ، وفي كل الأيام عدا تلك التي تمنع الترتيبات الطقسية إقامته فيها . ويُحتفل بالقداس الإلهي صباحاً . ويجوز الاحتفال به مساء وذلك حسب الحاجة ، ويقام القُدَّاس (سر الشكر) مرة واحدة فقط في اليوم الواحد في الرعية نفسها ، فلا يجوز إقامة أكثر من قداس إلهي في يومٍ واحدٍ على المذبح الواحد لأن المسيح واحدٌ والذبيحة واحدةٌ والرعية واحدةٌ .

ويحتفل دوماً بالقدّاس الإلهي على موائد مكرسة وفق الطقس الخاص للتكريس بوضع ذخائر القديسين الشهداء . وهي توضع في المائدة لكي لا يظن بأن المذبح هو حجر المائدة المقدس لأن المذبح الحقيقي لله هو الشهيد .

الجُنَّاز

في الواقع أن الكهنة يقومون بقداس وجناز لروح الميت المسيحي ، ويقام هذا الطقس لراحة روح الميت . وتُقرأ بعض النصوص المسيحية الإنجيلية بهذه المناسبة ويشترك فيها من يحضرون الجُنّاز .

القرابين في العقيدة النصرانية

مسألة القرابين في العقيدة النصرانية مسألة شائكة، لأن القيّمين عليها يرون أن المسيح قدَّم نفسه قرباناً فداءً للبشرية وتكفيراً عن خطاياها.

ويرون أن المسيح قدَّم نفسه طوعاً، واختار أن يموت كمجرم عُلِّق جسده على مشنقه من أجل أن يبذل نفسه فداء عن كثيرين.

يقول صاحب معجم اللاهوت الكتابي في كتابه المذكور (موت يسوع المسيح الاختياري) إنه لفداء غالي الثمن، حيث إنه يستبدل تقديم الذبائح غير العاقلة بالذبيحة الشخصية والاختيارية، بعبد الرب الذي أفاض للموت نفسه، فيسوع لم يأت ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فداء عن كثيرين مَتَّى ٢/ ٢٨، ومُرقُص١٠/ ٤٥ وسوف تكون ذبيحته هي وسيلة خلاصنا. وهذا الطابع الاختياري في موت يسوع هو الذي يقصد إبرازه القديس يوحَنَّا ١٨/ ٤ ـ ٨ كما تنبه الأناجيل الإزائية بوضوح جلي من خلال ذكر العشاء الإفخارستي حيث يسلم المسيح نفسه سلفاً للموت.

ومن خلال كلام صاحب المعجم وكلمات العلماء الآخرين يتضح لنا أن فكرة الفداء والذبيحة ليست هي فكرة جديدة وإنما هي فكرة وثنية بشكلها البدائي، وقد تقدم في الأبحاث أن فكرة الفداء كانت في ابتداء مراحلها أن يقدم الأهل الابن الأكبر ذبيحة للآلهة، واليهود قاموا بهذه العبادة فذبحوا أبناءهم للآلهة الوثنيين. ثم تطورت هذه العقيدة عند الوثنيين واستبدل بتقديم الأبناء

تقديم حيوانات ذبيحة للآلهة[1] .

وقد قال العلامة دوان : إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم ، وجاء في كتاب استباتا برهمانا مانصه : والعالم لهذه الذبيحة بروشاميدا . أي ضحية الذكر الأول يصير كل شيء .

وكان الرومان واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها . وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة . وتمكنت فيهم هذه العادة الشريرة حتى إنهم صاروا يقدمون الابن الأكبر البكر يأخذونه إلى هيكل ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه[2] .

وقد تطور مفهوم القرابين في العقيدة النصرانية حيث بطلت سُنَّة تقديم البشر قرباناً لإرضاء الآلهة واستعاضوا عنه بتقدمات وقرابين أخرى ، ويرتبط القربان بالهيكل والمذبح ، ويستندون في ذلك على ماذكر عن المذبح الموجود بكثرة في كتابات العهد القديم ، ويوردون بعض أقوال لقديسين حول ذلك فيقول بولس : لنا مذبح لاسلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه ، والمقصود بالمسكن هو خيمة الاجتماع أو الهيكل القديم .

ويعلق القديس يوحَنَّا ذهبي الفم على ذلك فيقول إن بولس انتقل من الرمز إلى الأصل وأنه أصبح لنا سلطان أن نتناول من الدم الذي كان هو من سلطان الكاهن وحده .

ولأن الرب أراد أن تكون كلمة المذبح راسخة في أفكار الناس وقلوبهم ذكر

---

(١) محمد علي برو العاملي الكتاب المقدس في الميزان ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

(٢) محمد طاهر التنير . العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٥٤ .

هذه الكلمة أكثر من مرة في سفر الرؤيـا الـذي كتـب في أواخرالقرن الأول للميـلاد بعد استشهاد جميع الرسل وتلاميذ المسيح ، ويقول الأرثوذكس : إن المذبح سيظل قائماً مادامت أمامنا عبارات الوحي الإلهي التي تقول (جسد الرب ودمه) . ومادام هناك دم إذاً فبالضرورة يكون هناك مذبح ، وبالضرورة يوجد هيكل يحوي المذبـح داخله . ولايوجد هيكل ولامذبح في كنائس البروتستانت لسبب أكـثر خطـورة هـو أنه لاتوجد ذبيحة حسب رأي الأرثوذكس .

وقد ورد في الأنـاجيل بعـض النصـوص التـي تشـير إلـى التقدمـة والقربـان ، وهذه النصوص تستند في تشريعها على ماجاء في التوراة .

جاء في إنجيل مَتَّى : بل اذهـب إلـى الكـاهن فـأره نفسـك ثـم قـرّب مـاأمر بـه موسى من قربان شهادة لديهم . مَتَّى ٨ : ٤ . ويتضح من هذا أن المسيح عندما أبـرأ الأبرص طلب منه أن يقدم تقدمة أو قربانـاً شـهادةً علـى برئـه مـن المرض علـى يـد المسيح عليه السلام .

وجاء في إنجيـل لوقـا : ولمـا حـان يـوم طهورهمـا ، بحسـب شـريعة موسـى ، صعدا به إلى أورشليم ليقرباه للرب ، كما كتب في شريعة الرب من أن كلَّ بكر ذكر ينذر لـلرب ، وليقربـا ، كمـا ورد في شـريعة الـرب ، زوجـي يمـام أو فرخـي حمـام . والواضح أن هـذه عـادة يهوديـة معروفـة مـن خـلال التـوراة . فـالفقراء مـن النـاس يقدمون زوجَيْ حمام أما الأغنياء فكانوا يقدمون حملاً (خروفاً) .

ولديهم أيضاً ماسُمِّي خبز القربان الذي يقدم في القـداس الإلهـي مـن حنطـة خالصة لايخالطها شيء غير الخميرة ، وأن يكون الخمرخمراً طبيعياً مسـتخرجاً مـن عصير الكرمة ، ولايليق أن يهيأ القربان في غـير بيـوت المؤمـنين وخصوصـاً في بيـت الكاهن ، ويجب أن يكون خبز القربان خميراً وليس فطيراً وفق ماتسـلمته الكنيسـة من الرسل القديسين .

ويرتبط بالقرابين إشعال البخور استناداً إلى العهد القديم. فالمسيحيون، ماعدا البروتستانت، يشعلون البخور عند المذبح. فقد ورد في العهد القديم (قال الرب لموسى وتصنع مذبحاً لإيقاد البخور) خروج ٣٠ : ١.

ويرى الأرثوذكس أن البخور يعتبر في حد ذاته ذبيحة يقدمونها على مذبح يسمّى مذبح البخور. ويرون أن الرب اهتم بمذبح البخور اهتماماً شديداً فأمر أن يكون مغشّىً بالذهب من كل ناحية، وله إكليل من ذهب، ويحمل على عصوين من ذهب، ويوضع قدام الحجاب الذي أمام تابوت العيد.

ويشترط بالبخور أن يكون معطراً حسب ماجاء في سفر الخروج. وقد ذكرت مواد البخور العطرية في سفر الخروج، وقيل عن هذا البخور يكون عندك مقدساً للرب. ويمثل البخور رائحة زكية عطرة تصعد إلى الرب حسب زعمهم.

وقال بعض المسيحيين إن البخور كان يقدم مع المحرقات لإزالة رائحتها. وقد ألغيت الذبائح الحيوانية فألغي البخور. وحسب الأرثوذكس فإن الفهم هذا غيرصحيح. فالبخور كان لوناً من العبادة مستقلاً بذاته، وكان له مذبح خاص غير مذبح المحرقة، وكان له طقس خاص في تقديمه وكان مقصوداً لذاته كصلاة وليس رمزاً لشيء، وقُدم البخور وحده في العهد القديم ولم يكن من أجل رائحة محرقات. إنما قدم للتكفير عن الشعب كأنه ذبيحة.

ويقدم البخور في مجامر، ويرى المسيحيون أن نبوءة في سفر ملاخي التوراتي تشير إلى أن البخور سيظل مستمراً، ولم يقتصر على اليهود، فلذلك يقوم المسيحيون بإشعال البخور أثناء احتفالاتهم وصلواتهم الجماعية وخاصة في عيد الفصح والجمعة العظيمة.

ومن أهمية البخور في المسيحية أن اللبان (مادة البخور) كان من الهدايا التي قدمها المجوس للسيد المسيح، وكانت رمزاً لكهنوته حسب قولهم أو اعترافاً من

المجوس بكهنوته. ويرى المسيحيون أن للبخور أثراً روحياً في نفوس الأطفال والناس بشكل عام ورائحته تؤثر روحياً وتكون دروساً روحية لهم تنقلهم إلى جو روحي.

ومن رموز حرق البخور في المسيحية احتراق حبة البخور كي تتحول إلى أعمدة معطرة من دخان. فالمؤمن مثل هذه الحبة يحترق من أجل الآخرين. وترمز أيضاً إلى الصعود دوماً إلى الأعلى. ويذكِّرهم البخور بالسحاب الذي كان الله يظهر فيه حسب قول التوراة. والبخور يذكر دوماً بحلول الله أو مجد الله. والناظر في هذا يرى أن الطابع الوثني الحلولي يدخل كعنصر أساسي في الزمور التي يفسرونها. ولانجد صدى لذلك البخور في القرآن الكريم؛ لأنه أشبه باللوثة الوثنية المستمدة من كتاب العهد القديم.

التوبة والاعتراف

تعتبر التوبة، وكذلك الاعتراف، من أهم الأمور العقائدية التعبدية في العقيدة النصرانية. وقد عرفنا من خلال القرآن الكريم أن الغافر هو الله، وأن الاعتراف بالذنب يكون في ضمير الإنسان وروحه. ويعني هذا أن التوبة والاعتراف أمران يربطان بين العبد وبين الله، سبحانه وتعالى: فلا واسطة حتى لو كان نبياً. فكل نفس تحاسب حسب ماعمل صاحبها، والأنبياء لايغفرون ذنوب الناس، ولم يبعثوا واسطةً للغفران بين الله والناس.

وقد صرح المسيح، عليه السلام، بأنه لم يؤمر أن يغفر للناس خطاياهم. وقد أناط الغفران لله وحده، لأنه، أي المسيح، ليس إلا نبياً بشراً وليس له سلطان لغفران الذنوب. فالعباد هم عباد الله. فهو بمشيئته يغفر أو لايغفر. وليس المسيح سوى نبي يدعو ويبلغ ويهدي إلى التوحيد.

يقول الله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. لكن المسيحية تصرّ على أن المسيح هو الذي أسّس سر التوبة بعد قيامته من بين الأموات، عندما ظهر لتلاميذه وقال لهم: (السلام عليكم كما أرسلني الآب أنا أرسلكم. ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس، من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم، ومن أمسكتم خطاياهم أُمْسِكَتْ) يوحَنَّا ٢٠ : ٢١ ـ ٢٣.

ويرون أن المسيح الرب أعطى الرسل وخلفاءهم سلطانه الإلهي أن يحلوا ويربطوا الخطايا بقوة الروح القدس وفعله، وقد مارس رعاة الكنيسة هذا السلطان فكانوا يفحصون أحوال الخطاة ويرشدون التائبين.

ويؤكدون أن صفح الخطايا من الكهنة مقبول: (أطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم مادمتم في الحياة الحاضرة، حيث صفح الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضيّ عند الله أيضاً (كيربانوس) في الساقطين ٢٩.

والتوبةعندهم سر إلهي يحصل به التائب بقوة الروح القدس على الصفح عن جميع الخطايا التي اقترفها بعد المعمودية، واعترف بها بواسطة الكاهن، فيتجدد تبريره ويتقدس ثانية ويتصالح مع الله من جديد لهذا يعتبر سر التوبة بمنزلة معمودية ثانية، أي سر مصالحة الإنسان مع الله بعد المعمودية.

ويرون أن كل الذين لم يحفظوا نعمة الولادة الجديدة (المعمودية) بلا عيب وسقطوا من النعمة الإلهية بسبب خطاياهم، يستطيعون أن يحصلوا ثانية على رأفة الله ومحبته برجوعهم إلى الكهنة واعترافهم لهم بخطاياهم واستحقاقهم للغفران. وهذا ماأقره البابا لاون، وحسب رأيهم في التوبة يتغير الإنسان ويتحول إلى الله، ولهذا فالتوبة تخص الذين خَطِئوا وابتعدوا عن الرب، كما تخص كل الذين يعيشون مع الرب وهي تبقى دعوة قائمة دائمة حتى الموت لكل مؤمن، لأن الإنسان في تحول دائم نحو الله.

والأغرب من ذلك كله مايقوله المسيحيون من أن الخطيئة تبعد الإنسان عن الله وعن ذاته، وكذلك عن الكنيسة، لهذا فإن فعل المصالحة الحاصل بالتوبة يجب أن يتم أيضاً في شركة الكنيسة. فهو إذاً ليس عملاً فردياً فحسب، يقوم به المؤمن تجاه نفسه ولكنه كسائر الأسرار عمل يتم في شركة الكنيسة التي يمثلها الكاهن، لذلك وجب أن يكون الاعتراف أمام الكاهن الذي تؤهله الكنيسة لاقتبال اعترافات المؤمنين، وبالاعتراف أمام الكاهن تتحقق الغاية الأساسية من الاعتراف؛ لأن التائب ينال مغفرة خطاياه على يد الكاهن المعرّف. ويتصالح مع الكنيسة لأن الخطيئة التي تبعد الإنسان عن الله تبعده عن الكنيسة.

أما عن كيفية الاعتراف فيرون أن بعض المؤمنين يلجأ إلى بديل عن الاعتراف. فمنهم مثلاً من يطلب من الكاهن حل الخطايا (الصلاة على الرأس) قبل مايسمى المناولة، ومنهم من يكتفي بترديد صلاة الاعتراف (أومن يارب وأعترف) التي يتلوها بعض الكهنة في القداس الإلهي مباشرة قبل المناولة. والاعتراف الصحيح في الكنيسة هو الاعتراف الفردي الصادق أمام الكاهن، وفيه يقر التائب بخطاياه جميعها. ويستثنى الذين هم على وشك الموت، فهم عاجزون عن الاعتراف، لذلك يمنحهم الكاهن الحل من خطاياهم ويناولهم جسد الرب ودمه الكريمين دونما تردد حسب مايدّعون.

والأساقفة والكهنة وحدهم يمنحون حل الخطايا للمؤمنين التائبين.

ولكي يتقبل الكاهن اعترافات المؤمنين ويحلهم من خطاياهم يجب أن يحصل على إذن خاص من أسقفه، ويستطيع كل كاهن، بحكم رتبته، أن يحل من الخطايا جميع المؤمنين التائبين الذين في خطر الموت. ويتقدم المؤمنون إلى سر التوبة كلما دعتهم الحاجة. ومن المفضل أن يعترف المؤمن دورياً، وبخاصة خلال الصوم ولاسيما خلال الصوم الأربعيني.

فمن الملاحظ أن للكهنة سلطاناً كبيراً في التكفير عن الخطايا.. والذي نود أن نسأله هو: ألا تغفر خطايا من يعترف لربه بها بينه وبين الله؟ ألا تقبل التوبة إلا إذا كان الكاهن مشرفاً على التائب يسمع منه توبته؟

إذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم فإننا سنجد بطلان هذه المفاهيم كلها.

يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

ويقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

ويقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقد وردت عشرات الآيات القرآنية التي تؤكد أن الله وحده الذي يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به. ولم يرد أن رسولاً أو نبياً أو كاهناً يغفر ذنوب أحد، وليس الله بحاجة إلى واسطة حتى يغفر خطايا عباده وذنوبهم. فهو الذي خلقهم وهو الذي يميتهم وهو الذي يغفر لهم أو يعذبهم.

وحين نرى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فالرسول يستغفر الله لهم إذا جاؤوا مستغفرين معترفين بذنوبهم. والاستغفار لله وحده.

ويقول الله تعالى في حق المنافقين: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفرل الله لهم إن الله لايهدي القوم الفاسقين﴾ فإذا كان حال الرسول هكذا فكيف يكون حال من دونه؟ كيف يكون حال الكهنة ومن شابههم؟

ويقول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فغفران الذنوب أمر من اختصاص الله رب العالمين ومن يدَّعِ أنه يغفر الخطايا فهو مشرك بالله.

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. إذاً فهناك بعض الرهبان والأحبار يستغلون مواقعهم الدينية ليكسبوا الأموال الحرام من الناس فكيف يمكن أن يكونوا واسطة لغفران الذنوب؟

وقد أصبح غفران الذنوب بدعة عجيبة. فإذا أراد البابا أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما، طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب، وبالصك فراغ ترك يكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه. والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ماتقدم من الذنوب وماتأخر، فهو، بعبارة أخرى إذنٌ بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضُمنت الجنة لهذا المحظوظ ويقول صك الغفران:

ربنا يسوع المسيح يرحمك يا . . . (يكتب اسم الذي سيغفر له) ويملك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلّك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسية التي استوحيتها وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي. وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى

الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القدسين. أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذَيْن كانا عند معموديتك حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الروح، إن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس.

وينتقد الأرثوذكس صكوك الغفران بقسوة ويبرزون مافي قضية التطهر من انحراف[1].

وقد نشرت بعض المجلات ومنها مجلة رسالة الحياة المسيحية في مصر مايجري من موبقات وزنى وفواحش عندما تأتي بعض المعترفات بذنوبهن لدى الكاهن حيث جرى اغتصابٌ وانتهاك أعراض، حسب ماقالته المجلة.

وصكوك الغفران التي يصدرها البابا الكاثوليكي وقد جرت أيام الحروب الصليبية ينطبق عليها وعلى من يصدرها من الكهنة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وتذكر المصادر أن المسيحية الغربية لم تكتف بصكوك الغفران لجمع الأموال، بل فرضت الضرائب على الغني والفقير من أتباعها. وكانت الضرائب باهظة الثمن.

---

(١) دلوارشنودة المنفلوطي: المطهر تحت المجهر ص ٣٠ ومابعدها، نقلاً عن كتاب المسيحية للدكتور شلبي.

الكهنوت في العقيدة النصرانية

لم تتوقف الرهبنة عند ماسُمِّي الرغبة في التضحيات والفداء، بل إن القيمين على العقيدة المسيحية نسبوا إلى المسيح أسس الرهبنة. فيرون أن المسيح اختار الرسل أولاً الذين كان يساعدهم الأساقفة والشيوخ والشمامسة، من ثم صاروا خلفاءهم من بعدهم، وهم الذين تسمّيهم الكنيسة رعاةً وكهنة. وأعطاهم وحدهم دون غيرهم القوة في تتميم الأسرار ورعاية النفوس وتعليم المؤمنين لتحقيق الكنيسة جسد المسيح وقد جاء ذلك في إنجيل لوقا ٦ : ١٣ و٢٢ : ١٩ وإنجيل مَتَّى ١٨ : ١٨ و٢٨ : ١٨ ـ ٢٠ وإنجيل مرقص ١١٦ : ١٥ ويوحَنَّا : ١٦ و ٢٠ : ٢١ ـ ٢٣.

وقد مرت الرهبنة بمراحل عدة، فكانت في البداية هروباً من الدنيا والناس وبعداً عن المدن والقرى المأهولة المليئة بالأدناس، وكان القصد من ذلك محاربة الشهوات والإكثار من العبادة والتأمل مع المحافظة على الوحدة والتفرد.

وقد تطور مفهوم الرهبنة ليصبح في مراحل لاحقة ذا مراتب ومناصب، وله أديرة كبيرة وصغيرة يجدون فيها الحماية من اللصوص، ويحافظون فيها على مناسكهم وطقوسهم، والواقع أن الرهبنة المسيحية تأثرت جداً بالأفكار الهندية البوذية ومارست طقوساً في تعذيب الجسد هي أشبه بما كان لدى الرهبان البوذيين.

لكنّ مفهوم الكهنوت أوسع بكثير من مفهوم الرهبنة. ومع تطور الكنيسة المسيحية أصبح للكهنوت مراتبه وطقوسه. واختلف من مذهب إلى مذهب، فهو عند الكاثوليك غيره عند الأرثوذكس وغيره عند البروتستانت والموارنة.

وفي النظرة الكلية للمسيحية فإن المسيح هو الكاهن الأعظم الذي قدم نفسه ذبيحة طاهرة مرة واحدة فصار بذلك رئيس كهنة أوحد ويدّعون أنه جالس عن يمين الله إلى الأبد ووسيط العهد الجديد.

ويرى المسيحيون أن المؤمنين يشتركون جميعهم في كهنوت المسيح. فإن كل معمّد مدعو لتقديم نفسه قرباناً لله.

ويسوس جماعة المؤمنين أشخاص متقدمون ومدبِّرون يحملون علاوة على نعمة الملائكة في كهنوت المسيح العام الذي يشتركون به مع سائر المؤمنين نعمة خاصة هي نعمة الكهنوت.

والكهنوت خدمة خصوصية في الكنيسة ورتبة مختصة بأشخاص معينين يصبحون به، بوضع يد الأسقف وفعل الروح القدس، خداماً للأقداس، ويخولون ماخوّله الرب يسوع لرسله من مسؤولية وسلطان ويتمتعون بها على درجات متفاوتة للتعليم ورعاية شعب الله. أما الخلافة الكهنوتية فإن النعمة الإلهية الممنوحة بسر الكهنوت هي عينها التي وهبها يسوع لرسله. والرسل وخلفاؤهم أقاموا في الكنائس كهنةً وأساقفة بالقوة الإلهية عينها كما يزعمون وهي التي أخذوها من يسوع.

ولايمارس الخدمة الكهنوتية إلا من حصل قانونياً على مايسمى خدمة الكهنوت، فلا يستطيع أحد أن يقيم نفسه كاهناً. وليس أحد يأخذ لنفسه هذه الكرامة إلا من دعاه الله كما دعا هارون فكذلك المسيح لم يتمجد حتى يجعل نفسه رئيس كهنة، بل جعله الله الذي قال له أنت ابني وأنا اليوم ولدتك.

ويتولّى الأكليريكيون رعاية شعب الله، وأما المؤمنون فيخضعون لرعاتهم ويتباركون ويتقدسون منهم. ويقولون إن الله رتب أن يكون المؤمنون ملتزمين واجباتهم التي يعرفونها من آبائهم بالقول والقدوة ويكونوا رعية مطيعة لهم وأن

يكون الإكليريكيون رعاة ومعلمين من أجل كمال الكنيسة.

أما درجات الكهنوت:

ففي الكاثوليكية تأتي مرتبة البابا في الرأس، فهو نائب المسيح في الأرض، وله صلاحيات كثيرة منها، الإقرار بفتاوى محددة باستبعاد أشخاص أو تقريب آخرين أو الاعتراف بأمر ورفض أمر آخر. ويعاون البابا مجموعة من الكرادله.

وقد حصل بابا روما سلطة منحته إياها المجامع أو الظروف. فمجمع روما المنعقد سنة ٨٦٩م قرر أن الفصل في المسائل الدينية من اختصاص كنيسة روما، وأن المسيحيين جميعاً يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة. ومجمع روما المنعقد سنة ١٢١٥م يقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء. وطبيعي أن من يملك حق الغفران يملك حق الحرمان.

أما السلطة التي منحتها الظروف للبابا فمرجعها إلى الانقسام السياسي الذي حصل في الدولة الرومانية، وإلى الصراع الذي جاء عقب ذلك، وفي وسط هذا الانقسام استقل البابا استقلالاً تاماً، ولم يعد تابعاً لأي من الملوك وللأمراء، ومن ثم صار تعيين البابوات بطريق المجامع لابطريق الأباطرة. بل أصبح الملوك تابعين للبابا باعتبار أنهم مسيحيون.

وباعتبار أن بطرس هو الذي أسس كنيسة روما، فإن البابا يكون خليفته في رئاسة هذه الكنيسة، وفي إدارة شؤون المسيحيين، فالبابا، على هذا، خليفة المسيح كما قلنا. وفي كل كنيسة غربية كاثوليكية من يمثل البابا ولايصل مرتبته. وتنتشر الكنائس الكاثوليكية التابعة لسلطة البابا الروحية في إفريقيا وأمريكا اللاتينية بشكل خاص، وفي الكنيسة الأرثوذكية هناك ثلاث درجات للكهنوت وهي درجة الأسقف ودرجة الكاهن ودرجة الشماس.

وتتمايز بوضوح منذ البدء هذه الدرجات الثلاث الواحدة عن الأخرى.

فالأسقف هو إمام شعب الله وراعيه ومدبره، وهو المتمّم الأول للأسرار المقدسة، وصورة المسيح في الاجتماع الإفخارستي، وهو حافظ الإيمان والتعليم، وهو الولي العام على مافي أبرشيته من أديرة وكنائس ومؤسسات وأوقاف، وله عليها الإشراف المباشر. ولكنه لايستقرض أو يستبدل أو يرهن أو يسترهن أو يبيع أيّاً من أوقاف الأبرشية إلا بمرسوم بعد اقتراح مجلس الأبرشية الملّي، وموافقة البطريرك الخطية.

أما الكاهن فيرعى رعيته التي يخصصها له الأسقف ويكون مؤتمناً عليها، ويسهر فيها على التعليم والإيمان، ويقيم الأسرار المقدسة ولكن تحت سلطة الأسقف دوماً إذ إن الكاهن لايفعل شيئاً دون رخصة الأسقف.

أما الشماس فهو خادم أسرار المسيح. إنه لايتم الأسرار المقدسة والخِدم الإلهية، بل يساعد في إقامتها، وهو عين الأسقف ومساعد الكاهن في خدمته الكهنوتية. ويحتفظ الأساقفة بحق الرسامة الكهنوتية ووضع الأيدي، ومنح سائر وظائف الكنيسة. وتقديس مايسمى بالميرون، وتكريس الكنائس. ويمنع القساوسة والشمامسة أن يقيموا أية خدمة دون معرفة الأسقف؛ لأنه هو الذي تسلم شعب الرب.

وفي الكنيسة الأرثوذكسية رتب كهنوتية مساعدة مثل رئيس شمامسة (أرشيد ياكون) وأول الكهنة والأرشمندريت والمدبّر في درجة القسوسية والميتروبوليت، ورئيس الأساقفة والبطريرك. والتمايز بين هذه الرتب يدل فقط على المسؤولية الإدارية الرعائية الكنسية المنوطة بمن يحملونها. إذ تبقى كل رتبة في مستوى الدرجة الكهنوتية المتأتية منها من ناحية مستوى الدرجة الكهنوتية. وهناك من الرتب أيضاً كالمرتل والقارئ والقندلفت.

ومن يريد أن يترشح للرسامة الكهنوتية في المذهب الأرثوذكسي يكون عازباً أو متزوجاً ولكن شروطه أن يكون إيمانه أرثوذكسياً، ذا أخلاق حميدة وله سنٌ قانونية. وهناك شروط كثيرة ليس من المهم إيرادها، ويمنع من الرسامة الكهنوتية المجنون أو ذو العاهة الجسدية، أو مَنْ تزوج بطريق غير شرعي، ومن يقوم بعمل شائن كالربا، ومن ارتكب جريمة القتل أو حاول الانتحار. ويفصل من الكهنوت كل من عُرف عنه أنه وصل هذه المرتبة عن طريق الرشوة التي يسمونها (السيمونية).

ويلاحظ أنه بعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية وجدنا أن الكنائس الشرقية يرأسها بطريرك. فهناك مثلاً بطريرك الروم الأرثوذكس، وبطريرك الروم الكاثوليك ومنهم من يختص بالسريان، أو الأرمن، أو الآشوريين وغيرهم.

أما الكنيسة المرقصية أي القبطية في مصر فيرأسها بابا، وحالياً يرأسها البابا شنودة الثالث. ولاتعترف بالكنيسة البابوية في روما.

أما البروتستانت فهم ينادون بكاهن واحد في السماء وعلى الأرض هو يسوع المسيح دون أي كهنوت للبشر، وإما أن يقولوا إننا جميعاً كهنة ولافارق في ذلك بين إنسان وآخر. ومن يدعى قساً عند البروتستانت لايقصد به أنه كاهن، إنما هذا لقب يعني عندهم أنه خادم أو راعٍ أو معلم وليس كاهناً يمارس الأسرار الكنسية. ولايؤمنون برئاسة الكهنوت. ويرون أن الكنيسة هي جسد واحد له رأس واحد هو يسوع المسيح. ولاتوجد رئاسة كهنوت من البشر. وبسبب ذلك لايؤمنون بسلطان كنسي أياً كان ويستثنى من ذلك الأنجليكان أو الأسقفيين الذين توجد في كنيستهم درجات الأسقف والقس والشماس. ولهم أيضاً رؤساء أساقفة مثل رئيس أساقفة (كانتربري)، ورئيس أساقفة (يورك)، ولكنهم يعتقدون بزواج

الأسقافة، وقد رسَّموا حالياً قسوساً من النساء وأسقفاً امرأة[1].

وفي البابوية الرومية الكاثوليكية يسيرون على منهج يرسمه البابوات في تعيين البابوات. فكلما مات بابا اجتمع الكرادلة ورشحوا واحداً أو اثنين منهم ومن يفزْ بالأغلبية يصبح البابا الجديد. وقد تتدخل السياسة في انتخاب البابا الجديد. إذ إن البابا يوحَنَّا بولس الحالي الذي هو من أصل بولوني ضغطت الأوساط الأمريكية والغربية وحتى اليهودية لإنجاحه. وقد دفع ثمن هذا النجاح أنه بَرَّأَ اليهود من دم المسيح حتى إنه اعتبر المسيح يهودياً واليهود شعب الله المختار. ولعل زيارته الأخيرة إلى فلسطين وإلى حائط البراق الذي يزعم اليهود أنه حائط المبكى كانت ذات دلالة واضحة في تأييده لليهود وإعطائهم الضوء الأخضر لإقامة هيكلهم المزعوم الذي يشكل حائط البراق حسب زعمهم أحد جدرانه.

ولاندري من سيخلف هذا البابا، هل يكون يهودياً في أصله أو توجهاته، أو أنه سيكون مروجاً لأفكار يهودية جديدة، وينسف من جديد مقولات الكنائس، بل مقولات العقيدة المسيحية من جذورها؟

---

(١) البابا شنودة الثالث. اللاهوت المقارن الجزء الأول ص ١٢ ـ ١٣.

الرهبنة والأديرة

ترتبط حياة الرهبان المسيحيين بالأديرة ارتباطاً كبيراً. إذ أنشئت هذه الأديرة أساساً للتعبد والتزهد والتقشف والتأمل. ونرى أنها انتشرت في طول البلاد وعرضها حتى إنّ قرىً سميت بأسمائها. وتعد الأديرة بالمئات في بلادنا العربية خاصة في مناطق بلاد الشام ومصر والعراق. وفي فترات زمنية لاحقة أصبحت الأديرة أماكن يقصدها الشعراء وبعض المتفلسفين والمفكرين. وماهي إلاّ سنوات حتى أصبح بعضها مكاناً للمجون واللهو، كما حدث في العصرالعباسي الذي حفل بشعراء مثل أبي نواس وبشار وأبي تمام والبحتري، وغالبيتهم دونوا في أشعارهم أحاديث عن بعض الأديرة وماكان يجري فيها من فحش وخمر ومجون، على أن بعض الأديرة تحولت مع مرور الزمن إلى كنائس، وذلك بسبب العمران المتزايد الذي أصبحت الأديرة في وسطه. وأصبح كالمناطق السياحية يأتيه الزائرون المسيحيون من كثير من أقطار العالم. ومثل ذلك دير صيدنايا ومعلولا في سوريا ودير مار إلياس في فلسطين الواقع على جبل الكرمل. ومثله كذلك الأديرة الموجودة في مصر، وكذلك الأديرة الموجودة في العراق.

وقد وردت بعض الانتقادات للأديرة من قبل رجال الدين المسيحيين الأقباط في مصر. ويقول في ذلك الأنبا باسيليوس مطران أبي تيج في مصر: إن الأديرة لاتقي من الفساد، وإن الرهبان يحيون حياة شريرة.

وتقول المجلة المسيحية (رسالةالحياة) في الأديرة: الأديرة تحتوي على فساد عميق، وهيهات أن يوجد بها من يصلح للبقاء، إذ إنها تضم بين جدرانها أفّاقين

أولى بهم غيابات السجون، وقد أورد الشابوتشي المتوفى سنة ٩٩٨م في كتاب له اسمه (الديارات) كثيراً من الأحاديث حول الأديرة وفسادها. وقد أورد في كتابه الحديث عن ثلاثة وخمسين ديراً أكثرها بالعراق، حيث بلغت سبعة وثلاثين ديراً، وبالشام وكان عددها ثلاثة عشر ديراً، وفي مصر تسعة أديرة، والجزيرة وفيها أربعة أديرة. وقد شملها الانحراف جميعاً، ما يدل على أن الأديرة في أي موقع كانت قد رحبت بهذا اللون المنحرف من الحياة فكأن الانحراف كان جزءاً مهما من أعمالها وأنشطتها[1].

وعلى الرغم من ذلك فقد وُجدت أديرة قديمة حوت نفائس من المخطوطات والكتب نادراً مايُعثر على مثلها. ومن هذه الأديرة دير القديسة كاترينا في سيناء. فقد أورد بعض رواده من العلماء والمحققين أنهم وجدوا فيه بعض نسخ من الإنجيل وبعض نسخ من العهد القديم. وقد أثار العثور عليها كثيراً من الأمور، وقلبت أيضاً كثيراً من الآراء حول موثوقية مايسمى الكتاب المقدس.

أما الرهبان الذين انحرفوا عن الدين المسيحي الحق فقد كرسوا حياتهم في الأديرة لصنع الخمر المميز وتقديمه للزبائن الذين يأتون إلى هذه الأديرة للتمتع بالنساء والخمر والمجون، وقد ذكرواعن دير يدعى دير العذارى وهو بالعراق، جملة من الأحاديث التي تناقلها أصحاب المعرفة ومؤلفوا الكتب. فيقال عنه إنه سمي بدير العذارى إذ أقيم لبعض الجواري المتبتلات العذارى فكنّ سكانه وقطّانه، فسمّي الدير بهن. ويروى عن الجاحظ أنه قال: حدثني ابن فرج الثعلبي أن قوماً من بني ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان ولكن السلطان عرف ذلك فاتبعهم فاختفوا في دير العذارى، فلما أمنوا خلا كل واحد منهم بجارية كان يظنها عذراء، ولكنهم جميعاً تبينوا أن الكاهن الذي كان موكلاً بحماية الدير قد

---

(١) أحمد شلبي مقارنة الأديان. المسيحية ص ٢٤٨.

اعتدى عليهن جميعاً . وقد قيل في ذلك قصائد وأشعار طويلة منها ماقيل عن هذا الراهب وعن أفعاله :

إذا مامشى غض من طرفه ... وفي الدير في الليل منه عرام(*)

(*) عرام : شراسة

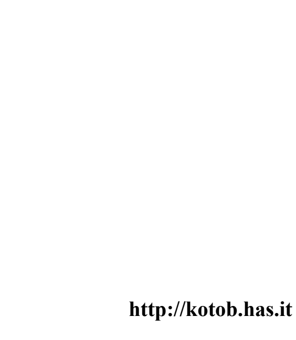
الفصل الثالث

في التشريع الشخصي

الزواج - الطلاق - الختان - الطهارة

المرأة في العقيدة النصرانية

الأعياد والمناسبات



التشريع المسيحي الجذور والملامح

عندما نعرف أن المسيح، عليه السلام، جاء أو بعث متمماً لما جاء به موسى وأنبياء بني إسرائيل ندرك أن التشريع اليهودي التوراتي قد دخل في العقيدة المسيحية بشكل بدهي وطبيعي. إلا أننا حين نقارن ماجاءت به الأناجيل، نرى أن كثيراً من التعاليم التي بثتها تُناقض التوراة أو تكاد ترفضها رفضاً كاملاً. لكنّ التطور الذي شهدته العقيدة المسيحية لم يأتِ من المسيح نفسه، أو حتى من الأناجيل، إنما جاء عن طريق اجتهادات أصحاب المجامع المسكونية والمحلية، حيث إنّ كل مجمع أضاف على سابقه بعض التشريعات. ولايمكن أن يغفل دور بعض رجال اللاهوت أو من أسموهم بالقديسين في تطوير كثير من المفاهيم المرتبطة بقضايا تشريعية. خاصة أن ظهور المذهب البروتستانتي، وما أعقبه من نظرة مغايرة للكاثوليكية والأرثوذكسية، أدى إلى بروز كثير من التشريعات التي لم تكن لدى المسيحية قبل ظهور هذا المذهب على يد مارتن لوثر، ومن ثم كالفن والإنجيليين.

جاء في إنجيل مَتَّى: (لاتظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء. ماجئت لأبطل بل لأكمل) ٥ : ١٧ . ونفهم من هذا القول أن المسيح جاء ليكمل الرسالات ولايبطل منها شيئاً، لكن ماورد في الأناجيل أو بعضها يدل على أن هناك نقض للرسالات في كثير من القضايا.

ولعل أهم مايلفت النظرحين نقارن ماجاءت به التوراة من تشريعات وماجاء في الأناجيل افتقار الأناجيل لتلك التشريعات الواسعة، خاصة في الأسفار الخمسة الأولى أو التي تسمى أسفار موسى.

وقد جاءت بعض التشريعات سواء كانت مطابقة للتوراة أم مناقضة، في سياق تعاليم المسيح وإرشاداته، وليست في سياق التشريعات الخاصة، أو التي خصصت في صفحات طوال كما في الأسفار التوراتية الخمسة الأولى.

ولما كان المسيح، عليه السلام، قد بعث لبني إسرائيل في فترة تحجرت فيها التشريعات اليهودية، فإنه أيضاً بعث ليعيد النظر في هذه التشريعات، فيحل بعض محرماتها أو يخفف من القيود التي صنعها الأحبار على مدى مئات السنين. وقد ظهر ذلك جلياً من خلال ماقاله الله سبحانه في القرآن الكريم.

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقد مر معنا من خلال الأناجيل كيف أن المسيح عليه السلام، كسر يوم السبت في حادثة السنبل، وكيف اعترض عليه الفريسيون، وكيف أجابهم بالحجة وبالشواهد وبيّن أنهم محتالون على التشريع والشرع التوراتي كي يضمنوا مصالحهم الشخصية.

وإذا نظرنا إلى ماجاء به المسيح، عليه السلام، من تشريع ضمن النظرة الإجمالية وجدنا ذلك في الفصل الخامس من إنجيل مَتَّى وفي بقية الأناجيل.

فيقول: سمعتم أنه قيل للأولين: لاتقتل فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء، أما أنا فأقول لكم من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء، ومن قال لأخيه ياأحمق استوجب حكم المجلس، ومن قال له ياجاهل استوجب نار جهنم.

وقال سمعتم أنه قيل: لاتزن، أما أنا فأقول لكم من نظر إلى امرأة بشهوة زنى بها في قلبه، وقد قيل: من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. أما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته إلا في حالة الفحشاء عرّضها للزنى، ومن تزوج مطلقة فقد زنى.. إلى آخر ماهنالك من القضايا التي طرحها السيد المسيح في صورة تربوية عظيمة.

الختان في العقيدة النصرانية

من المعروف لدى العقائد السماوية أن الختان فُرض على النبي إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام. وصار الختان سنّة يسير عليها كل من اتبع عقيدة إبراهيم التوحيدية.

وتبع بنو إسرائيل هذه السنة. وعندما وُلد السيد المسيح، عليه السلام، كانت هذه السُّنة قائمة. وقد أورد الإنجيل أن المسيح قد خُتِن.

جاء في إنجيل لوقا: (ولما انقضت ثمانية أيام فحان للطفل أن يختن سمي يسوع) ٢ : ٢١.

إذاً فالمسيح خُتِن حسب شريعة اليهود أو حسب شريعة التوحيد التي بقيت مما تبقى من تعاليم موسى وإبراهيم.

ومن الطبيعي أن تلاميذ المسيح الأولين كانوا قد خُتنوا جميعاً باعتبار أنهم جميعاً كانوا من اليهود.

ولو نظرنا الآن في أتباع العقيدة المسيحية لرأينا أن الختان قد ألغي، ومن يُختن منهم فذلك لأسباب صحية وليس لأسباب تشريعية دينية.

فلماذا ألغي الختان والمسيح قد ختن؟ وهل قال المسيح بفقدان الختان قيمته الدينية أوالتشريعية؟ وهل احتج المسيح على ختانه حتى تبطل هذه السنة المعروفة لدى التوحيديين؟

ترى المصادر المسيحية أنه نشأت في أنطاكية وغيرها من المدن الرومانية جماعات مسيحية من الوثنيين لم تراعِ فريضة الختان التي أوجبتها الشريعة اليهودية،

وسرعان ماثار بين هؤلاء وأولئك خلاف في وجهة النظر، وقام نفر من اليهود المحافظين الذين تنصروا وطافوا البلدان حتى بلغوا أنطاكية يعارضون الخطة التي انتهجها رسل الأمم، ويبلبلون أفكار المسيحيين الذين اهتدوا على يد بولس الرسول في كنائس ولاية غلاطية الرومانية، طالبين أن يتهود الوثنيون أولاً قبل تنصرهم. وثمة مشكلة أخرى قامت بين الفريقين، ذلك أنه كان قد أبرم اتفاق بين بولس وبرنابا من ناحية، وصفا ويعقوب من ناحية أخرى. اعترف فيه الطرفان بوجود مستقل لأهل الغرلة (أي الوثنيين وأهل الختان (أي اليهود) وقد حرص بولس على شرائط هذا الاتفاق وحاول مرة أن ينفي عنه تهمة تحريضه اليهود على نبذ شريعة موسى.

وقد ثارت المشكلة بين الطرفين، وكانت ذات حدين، أحدهما الختان والآخر الطعام، حتى تدخلت الكنيسة الأولى في القدس، فبعثت برسولين إلى أهل أنطاكية يحملان رسالة الكنيسة الأولى وفيها إباحة عدم الختان.

وتقول: فقد أرسلنا يهوذا وسيلا، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها، لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لانضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم المخنوق، والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمّا تفعلون، كونوا معافين.

وهذا يعني أن الختان كان قد فرض على المتنصرين الذين كانوا، يهوداً بينما أُعفي منه المتنصرون الوثنيون من الرومان واليونان والغربيين بشكل عام. ويبدو أنه مع مرورالزمن صار جميع المتنصرين بلا ختان سواء كانوا من نصارى الشرق أم كانوا من مسيحيي الغرب.

ويبدو أن التساهل الذي أبداه هؤلاء الرسل يعود لعدة أسباب ولعدة غايات، فهو من جهة أن المسيحية الأولى كانت مضطهدة فرحّب هؤلاء بدخول الوثنيين في النصرانية لتكثير عددهم. ومن جهة ثانية فلأن بولس ومن شايعه من اليهود أرادوا

أن يُضلُّوا من يتبع النصرانية الحقة ، فأقروا السماح بعدم الختان ، حتى يكون الوثنيون بعيدين عن سنة عيسى ، عليه السلام ، في الختان . واليوم ونحن نرى حملات التنصير نتذكر التساهل الكبير الذي يقدمونه لمن يصير مسيحياً ، حتى إن هذا التساهل يضرب بعمق في عقيدة السيد المسيح ، عليه السلام .

وقد فلسف بعض المسيحيين عدم الختان بقوله : إن المسيح قال الختان هو ختان القلب ، بمعنى أن الختان شيء معنوي . وقد نسي أن ختان عيسى جاء على أساس العهد الذي قطعه موسى وقبله إبراهيم مع الله أن يختن كل ذكر في أسرته ، ومن كان من عبيده أو عمّاله ومعاونيه (وقد جاء في سفر التكوين ١٧/ ١٠ وهذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر) .

ويرى بعض العلماء أن المسيحيين أرادوا نقض كل ماجاءت به شريعة موسى نكاية باليهود ، وقد أخذوا بالتغير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون . فرأوا اليهود قد اختتنوا فتركوا الختان ، ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة . ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها ، ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم ، ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا مادون الفيل إلى البعوضة ، وقالوا كل ماشئت ودع ماشئت ولا حرج ، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت ، مع إقرارهم بأن المسيح كان يُعظِّم السبت ويحفظه ، ورأوهم ينفرون من الصليب ، فإن في التوراة ملعون من تعلق بالصليب والنصارى تقر بهذا فعبدوا هم الصليب .

ويقول ابن القيم : فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومغايظتهم[1] .

---

(١) ابن القيم . هداية الحيارى طبعة دار قتيبة ص ٣٩١ . تحقيق أحمد عبد القادر الرفاعي بيروت ٢٠٠٠ .

الطهارة والنجاسة

لعل من الأمور الصعبة جداً أن نجد نصوصاً في الأناجيل تبِّين حدود الطهارة والنجاسة، وقد وردت بعض عبارات موجزة جداً في سياق النصوص تقر بعض مايشار إليه بأنه نجس. أما في التشريع فلا نجد وضوحاً أبداً بشأن الطهارة والنجاسة.

فهل هناك طهارة من البول والغائط؟

هل هناك طهارة من الجنابة والحيض والنفاس؟

ماهي النجاسات التي تنجس جسم الإنسان إن كانت روثاً أو حيواناً أو غير ذلك؟

وإذا كانت هناك طهارة من النجاسة فما هي الطقوس المتّبعة في ذلك؟

ويعلل المسيحيون عدم اهتمام عيسى بالتشريع بقولهم:

إنه أراد الشريعة روحاً محيياً لاحرفاً ميتاً، وأراد تجنيب هذه الشريعة ماتفرضه عليها أحوال الزمان والمكان من تحوير، وأراد أن يحترم حرية الإنسان فلا يسوقه مكرهاً إلى الخضوع للشريعة فيحرمه جزاء أعماله.

ومن هنا فإننا لانجد أثراً للطهارة والنجاسة بمفهومهما التعبدي في المسيحية. فالطهارة عندهم روحية، بمعنى أنها ترتبط بالنفس ولاترتبط بالجسد، وقد عرفنا أن الطهارة في الإسلام وفي اليهودية الحقة تلحق النفس والجسد، وتحدد الحيوان النجس والحيوان الطاهر. وكذلك الأشياء النجسة والأشياء الطاهرة، كعظام الميت وجيفة الحيوان أو ثياب المرأة الحائض أو فراشها كما في الديانة اليهودية.

الزواج والطلاق في العقيدة النصرانية

في أصل التشريع المسيحي ليس هناك زواج. فالمفروض أن يترهَّب الناس رجالاً ونساءً، ولكن لما كان ذلك مستحيلاً فقد أجيز الزواج للحفاظ على بقاء الجنس البشري.

ولكن المسيحية بعد أن صارت بيد من جاء بعد المسيح، حرَّمت تعدد الزوجات، وأجازت فقط الزواج بواحدة. ومن المعروف أن اليهودية تبيح الزواج من أكثر من امرأة. وللخوف من انحراف الرجال والنساء واللجوء إلى الزنا والحرام فقد حللت المسيحية الزواج بواحدة من أجل بقاء الجنس البشري، كما قلنا.

لم تشر الأناجيل ولم يشر القرآن الكريم ولا كل المصادر إلى زواج المسيح، فقد رفع إلى السماء ولم يكن له زوجة. وقد تمثله بعض رجال الدين المسيحيين فلم يتزوجوا، لكن المذاهب المسيحية اختلفت بهذا الشأن فمنها من حرم الزواج لمن ترهبن ومنهم من حلله كالبروتستانت.

فلسفة الزواج في المسيحية: ترى المسيحية أنّ الله نفسه أسس سر الزواج منذ البدء، إذ خلق الله الذكر والأنثى وباركهما وقال لهما (أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض).

ويرون أن المسيح ثبت تصميم الله الحاصل منذ البدء إذ قال: (من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، فليسا بعد اثنين بل جسد واحد والذي جمعه الله لايفرقه الإنسان) مَتَّى ١٩ : ٣-٦. وأكدت

الكنيسة أسرارية الزواج، وباندراجه في إطار السر الخلاصي بين الرجل والمرأة أصبحت على صورة الوحدة بين المسيح والكنيسة، ويرون أن الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم وحواء انعكست على علاقة الرجل بالأنثى وعلى أساس هذه الخطيئة فقد مارس الرجل قهره على المرأة بسبب خطيئتها.

والزواج فعل إلهي، إلا في حالة الزنى، غير قابل للانفساخ ويبقى غير خاضع لاعتبارات أخرى مثل الإنجاب أو عدمه.

في المسيحية تتساوى الحقوق والواجبات بين الزوجين. وفي الزواج يصير المرأة والرجل جسداً واحداً فالزوج واحد والزوجة واحدة ولاتعدد به للأزواج ولا للزوجات. وفي الزواج ينتفي الخضوع من قبل أحد الزوجين للآخر.

الزواج الكنسي رباط قانوني أيضاً: ويرون أن بركة الكنيسة إلزامية لإقامة سر الزواج، وعلى الزواج أن يتم بصورة صحيحة كنسية تقرها القوانين الكنسية والمدنية، فالزواج إذاً يخضع للشرع الكنسي ويراعى فيه القانون المدني الخاص بكل منطقة على ألا يتعارض مع الإيمان. وهذا الإيمان هو الموصوف بالإيمان الأرثوذكسي.

والأساقفة والكهنة وحدهم الذين يحق لهم إقامة سر الزواج. أما الشمامسة فيساعدون في إتمامه وفق الدور الذي تخصصه لهم الترتيبات الطقسية. ويسبق الزواج الخطوبة وهي التزام كنسي وقانوني يتم بمباركة الكاهن ولاينفك إلا بعلم الكنيسة وموافقتها.

شروط الزواج: يشترط لانعقاد الزواج عند الأرثوذكس أن يكون أحد الطرفين على الأقل أرثوذكسياً والطرف الآخر معمَّداً معموديةً صحيحةً على مايسمى بالثالوث الأقدس. فلا يصح الزواج مع غير المعتمد أو غير المؤمن إلا في حالة وجود عائلة غير مسيحية، واقتبل أحد الزوجين فيها الإيمان المسيحي. فيبقى

الطرف المسيحي مساكناً للطرف الآخر ولاينفصل عنه؛ لأن الرجل غير المؤمن يتقدس بالمرأة المؤمنة والمرأة غير المؤمنة تتقدس بالرجل المؤمن. ومن الشروط رضا الزوجين بملء الحرية بالارتباط بالزواج، ومن الشروط بلوغ سن الزواج عند الذكر مَتَّى أتم الثامنة عشرة من عمره، والأنثى مَتَّى أتمت الخامسة عشرة من عمرها، ويؤذن لهما قبل هذا العمر إذا كانت الصحة والبيئة تؤهلانهما، ويصدر الإذن في هذه الحال عن رئيس الأبرشية. أما إذا كان أحدهما تحت الولاية فينوب عنه وليّه في التعبير عن الرضا، وإذا لم يوجد ولي فيعود الأمر إلى رئيس الأبرشية.

ويتم الزواج بإقامة صلاة بالكنيسة المفروضة من قبل كاهن أرثوذكسي مأذون له بإقامة الخدم الإلهية، وقد رخصت له رئاسته الروحية بمباركة الإكليل. وفي المسيحية موانع للزواج، منها القرابة الدموية بين شخصين، وفيها درجات، فما يسمونه القرابة الدموية على خط مستقيم، أي الأقارب الدمويون الصاعدون والنازلون كالوالدين والأولاد والجدود والأحفاد تمنع الزواج إلى مالانهاية، أما القرابة الدموية من الجوانب (أي الأقارب الدمويين الجانبيين كأولاد العم والعمة والخال والخالة. وكذلك قرابة المصاهرة فتمنع الزواج حتى الدرجة الخامسة. وقد تسمح السلطة الروحية بسبب صوابي بزواج من الدرجتين الخامسة والرابعة ويمنعون الزواج بسبب القرابة الروحية الحاصلة بالمعمودية المقدسة. فالقرابة الروحية الناشئة عن المعمودية المقدسة (أي العراب ـ والفليون) فالعراب يعتبر أباً لفليونه، وكذلك العرابة لفيلونتها) تمنع الزواج حتى الدرجة الرابعة. وقد يجوز الزواج في هذه الحالة في الدرجتين الرابعة والثالثة بعد استئذان السلطة الروحية المختصة. وتمنع الكنيسة زواج المتبنِّي والمتبنَّى مهما سفلوا. وليس للولي أن يتزوج بمن هي تحت وصايته أوولايته، ولايجوز عقد زواج ثانٍ قبل انحلال الزواج الأول إذ إنّ تعدد الزوجات والأزواج محرم في العقيدة المسيحيّة.

ويمنع الدين المسيحي زواج الشمامسة والكهنة والأساقفة بعد رسامتهم. وعندما يلبس الراهب الثوب الرهباني فلا يحق له أن يتزوج. ويحرم على المسيحي أن يتزوج مرة رابعة إذا ماتت زوجاته الثلاث.

ويحق لرئيس الأبرشية في حالات معينة أن يمنع زواج بعض الناس الواقعين تحت سلطة أبرشيته.

لايتم الزواج إلا على يد رئيس الأبرشية أو الكاهن المحلي المفوض بمباركة الزواج، ويجب حضور شاهدين، على الأقل، وفقاً للكنيسة الأرثوذكسية.

ويقام الزواج في الكنيسة وليس في المنازل، ويجوز استثناء ذلك لعدم وجود كنيسة.

ويسمح الزواج في كل أيام الأسبوع عدا الأيام التالية: الأربعاء والجمعة لأنها أيام صوم، وليلة كل أحد أي مساء كل سبت لأنها تهيئة ليوم الرب. وليلة عيدي الصليب في ١٤ أيلول، وقطع رأس يوحَنَّا المعمدان في ٢٩ آب لأنهما يوما صوم. وفي صوم الميلاد من ٢٠ كانون الأول وحتى عيد مايسمى الظهور الإلهي. وكذلك أيام الصوم الكبير مع أسبوع البياض وأسبوع التجديدات، أي من يوم أحد مرفع اللحم حتى يوم أحد توما وكذلك أيام صوم الرسل وأيام صوم السيدة.

ويحسن أن يحتفل بالزواج بشكل جماعي على مستوى الرعية كاملة. فالزواج حدث يتجاوز العروسين ويشمل الكنيسة كلها.

وفي المسيحية يفضل أن يبقى الأرامل في الحالة التي هم عليها أي دون زواج. إن الأرملة (تبقى أكثر غبطة إن بقيت على ماهي عليه بحسب مشورتي وأظن أني أنا أيضاً في روح الله).

ويمكن إتمام زواج ثانٍ بعد وفاة أحد الزوجين لأن المرأة مقيدة بالناموس مادام رجلها حياً، فإن رقد رجلها فهي حرة أن تتزوج بمن تشاء. ويجوز الزواج بعد الطلاق ضمن شروط.

وتمنع الكنيسة زواج الأرثوذكسي وغير الأرثوذكسي. ويجوز في حالة أعلن الطرف غير الأرثوذكسي أن يلتزم بالأرثوذكسية.

ولاينفك الرباط الزوجي إلا في حالات، منها الوفاة، وفرض الكنيسة طلاقاً تراه حقاً لأن الزواج مشكوك في صحته. وبفك الزواج إذا عرف أن قرابة دموية تجمع بين الزوجين.

ويجوز الطلاق في حالة الزنى أو جنون أحد الزوجين أو رغبة أحد الزوجين بالتفرغ للكهنوت والرهبانية. وإن اعتنق أحد الزوجين ديناً آخر.

الزواج في العقيدة النصرانية وموقف القرآن والسنة:

يعترف الدين الإسلامي بشرعية الزواج المعقود بين اثنين من أهل الكتاب والنصرانية دين يعترف به الإسلام.

وللسنة مواقف محددة من عقود الزواج الخاصة بالنصارى. فالرسول، عليه الصلاة والسلام، لم يطلب من الذين اعتنقوا الإسلام من أهل الكتاب والمشركين أن يجددوا عقود زواجهم، ويجيز الإسلام زواج المسلم من النصرانية. بينما تفرض الكنيسة فسخ الزواج إذا اعتنق أحد الزوجين الإسلام وظل الآخر على النصرانية.

وقد أحل الإسلام الزواج من كتابيه (مسيحة أو يهودية) استناداً إلى قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ ﴾ [المائدة : ٥].

فالآية توضح شرعية الزواج من نصرانية ذمية كانت أم من خارج البلاد، ولايفرق في ذلك بين جميع المذاهب اليهودية والنصرانية، بينما تقر المسيحية عدم زواج أي امرأة مسيحية من مسلم، أما إذا كان الزواج بين طرف أرثوذكسي وآخر من غير مذهب فإن له شروطاً قاسية وقد مرت معنا في سياق الصفحات السابقة.

وقد اختلفت الآراء في شرعية الزواج المختلط. ولكن الرأي الأقوى يقول: إنه في حال اعتبرنا أهل الكتاب من المشركين الذين أشارت إليهم الآية ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١] التي تحرم على المسلم الزواج من مشركة، فإن هذه الآية قد نزلت قبل الآية التي تجيز زواج المسلم من نصرانية حرة، ولذلك فإنها لايمكن أن تنسخ بآية نزلت قبلها.

وقد حدد الإسلام شروطاً لصحة عقد الزواج من نصرانية. فقال إنه يفترض وجود الولي، وإقامة الصداق الذي يدفعه الزوج، وحضور شاهدين عدلين يتمتعان بسمعة جيدة. ويقر بعض الفقهاء أنه يجوز أن يكون الشاهدان نصرانيين ولاحرج في ذلك.

حقوق المرأة المسيحية إذا تزوجت بمسلم:

إن جميع المسلمين الذين أقروا الزواج وشرعيته من نصرانية يؤكدون تمتع الزوجة تلك بجميع الحقوق التي تتمتع بها الزوجة المسلمة مع حقها بالبقاء على دينها وبتطبيق شرائع ذلك الدين. فيسمح لها بالتردد على أماكن العبادة الخاصة بدينها. ويرى الإمام مالك أنه يحق للزوج المسلم أن يجيز زوجته النصرانية على

الاغتسال من العادة الشهرية، حتى يتمكن من مباشرتها، وكذلك الاغتسال بعد كل مباشرة جنسية. والشافعي يرى أنه يحق للزوج منع زوجته النصرانية من شرب الخمرة وأكل لحم الخنزير. ويحق له أن يمنعها من ارتياد الكنيسة جرياً على منعه لها من ارتياد المسجد وهذا حق له.

وقد يتساءل بعضهم: لماذا يمنع زواج المسلمة من نصراني؟ فيرد الشرع أن الآية الكريمة تنص على المنع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقد أجمع المفكرون المسلمون على أن هذا المنع يجد تبريراً له في أن القانون الكنسي يحظر على النصراني أن يعقد زواجاً مع امرأة لاتعتنق النصرانية، إلا إذا كان يهدف من وراء هذا الأمر إلى تحويلها عن دينها إلى النصرانية، وفي ذلك مايكره المسلمة على الارتداد عن دينها، خلافاً لموقف الإسلام من المسلم الذي يتزوج نصرانية.

وأمام هذين الموقفين يبدو الوضع القانوني للمسلمة التي تتزوج نصرانياً مختلفاً عن وضع النصرانية التي تتزوج مسلماً، والتي تتمتع بحرية البقاء على دينها، ويعترف لها بشخصية قانونية مستقلة عن الزوج لجهة جميع تصرفاتها المتوافقة مع معطيات دينها[1].

حق الإرث الخاص بالزوجة المسيحية:

في الإسلام يجري التمييز بين الإرث الشرعي الذي ينظمه القانون وبين الإرث الناجم عن الوصية التي يعود تقديرها للمورث في حدود ثلث التركة.

على أية حال فإن مقارنة ماأقرته الكنيسة على أتباعها بشأن الزواج وماأقره

---

(١) الدكتور حسن الزين: الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية ص ١٦٠.

الإسلام يوفر لنا الكثير من المعلومات التي يحللها المنطق والعقل، وذلك على ضوء الواقع الاجتماعي في أي زمان. وقد رأينا التعصب الشديد الذي تستند إليه الكنيسة في شرعية الزواج، بينما نجد التساهل والتسامح في الدين الإسلامي واضحاً جلياً ومحكماً بنصوص شرعية واضحة. وسنحاول في صفحات قادمة أن نطلع على حقوق المرأة في العقيدة النصرانية والمفاهيم التي أطلقها الغرب المسيحي لحرية المرأة ومايتعلق بها من قضايا أخرى.

المرأة في العقيدة النصرانية

تنظر العقيدة النصرانية للمرأة ومكانتها من خلال استنادها إلى ماجاء في العهد القديم والتلمود، وماجاء في العهد الجديد وأعمال الرسل. أما مايشار إليه في العهد القديم فإنه لايعدو كونه سرداً لأسماء النساء المهمات في حياة بني إسرائيل، وأثرهن في مسيرة هؤلاء الذين خرجوا مع موسى، عليه السلام، من مصر وتابعوا مسيرهم عبر حوادث أوردها العهد القديم. وترى النصرانية أن المرأة في العهد القديم كان لها أكبر الأثر في حوادث متفرقة وحالات محددة في حياة بني إسرائيل.

وحين نبحث في نظرة العهد الجديد والمسيحية للمرأة نتوقف عند كثير من المحطات لنرى كيف نظر هذا العهد الجديد وكذلك النصرانية للمرأة.

تتحدث الأناجيل عن أليصابات والدة يوحَنّا المعمدان (يحيى) أنها امرأة يباركها الله. ثم يتحدث عن مريم العذراء باعتبارها والدة السيد المسيح. وتمنحها المسيحية صفة أم الإله، حسب اعتقادهم، ثم تتحدث عن النبية حَنّة بنت فنوئيل التي لم تفارق مايسمى الهيكل متعبدة ليلاً ونهاراً بالأصوام والصلوات.

وتحدثت الأناجيل عن حماة بطرس المريضة التي شفيت على يد يسوع، وكذلك عن أرملة نايين، ذات الابن الوحيد المفجوعة بابنها، التي طمأنها يسوع وأحيا لها ابنها. . ثم تحدثت عن ساقطة زانية جاءت إلى يسوع تبكي على قدميه، وتقول المصادر المسيحية إنّ مجيء هذه الساقطة وعفو المسيح عنها تدخل في باب المقابلة الساخنة بين شريعة موسى القاضية بالرجم وشريعة يسوع الرحيم. بين تزمت الفريسيين المرائين وحنان يسوع المحب للإنسان مهما كان ساقطاً.

وتحدثت الأناجيل عن مريم المجدلية والنساء اللواتي أتين إلى القبر للبحث عن يسوع. ثم عن نازفة الدم وشفاء يسوع لها، وتحدثت الأناجيل عن نساء كثيرات آمنَّ بالمسيح وقدراته، وكذلك عن امرأة مقوّسة الظهر، وعن امرأة أضاعت درهماً من دراهمها. وتقول المصادر المسيحية إن موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلب العبرانيين، أما في البدء فقد جمع آدم وحواء. ورفض يسوع شريعة موسى في الطلاق جملة وتفصيلاً حتى أصبحت المدرسة التلمودية ـ شماي وهليل ـ في خبر كان، فيرون أن يسوع أعادنا إلى شريعة الله المطلقة. المرأة أقرب إلى الرجل من أبيه وأمه وأولاده. فالزوجة تبقى مع الزوج حتى يموت أحدهما.

لقد استغرب التلاميذ ولم يتصوروا الزواج إلا مقترناً بإمكان الطلاق، أما يسوع فقال: إن البتولية مهنة الذين كرسوا أنفسهم لله لامهنة أي عابر سبيل.

وبنظر المسيحية فإن النساء يستحققنَ القيامة وحياة الدهر الآتي مثل الرجال، ويكون الطرفان مثل الملائكة. ففي ملكوت الله الجميع واحد.

وقد طعن يسوع في الكتبة لأنهم يأكلون أموال الأرامل بينما في الظاهر يطيلون صلواتهم، إنما تنتظرهم دينونة أشد، يحتالون على الأرامل وهم منافقون.

وقد عظم المسيح المرأة التي ألقت بفلسين في خزانة الهيكل وجعلها أكثر خيراً من الأغنياء الذين يلقون الأموال. لأنها لاتملك سواهما، وألقتهما تبرعاً للهيكل فهي أفضل من الأغنياء. ولاشك في أن المسيحية طعنت الانحلال الأخلاقي وركزت على بكورية النساء وعفتهن في الزواج وتبتلهن الرهباني وترملهن الاختياري لعبادة الله. وترى المسيحية أن مازرعه الشيطان في الغرب من طعن لهذه القيم هو زندقة وعودة إلى الوثنية الانحلالية المعاصرة ليسوع[1]، وتحقير النساء هو انعدام المدنية وهو عنوان التخلف الصارخ.

---

(١) أسبير وجبور: المرأة في نظر الكنيسة ص ٤٨.

وبرأي الكنيسة الأرثوذكسية فإن الزواج المدني يفقد ميزات الارتباط الروحي والعلاقة بيسوع والكنيسة. والزوجان الرافضان لبركة الإكليل رافضان لهذه النعمة، وبالتالي هما مذنبان. وترفض المسيحية الخاشعة زواجاً لايكون سراً من أسرار الكنيسة. وعندما طَوّر بولس الرؤية المسيحية قال بعدم السماح للنساء بأن يتكلمن في الكنيسة ولايسمح لهن بالتنبؤ والصلاة مكشوفات الرؤوس. والمرأة تضع الغطاء على رأسها علامة للخضوع من أجل الملائكة.

والواقع أن أكثر المسيحيات يخالفن هذا القانون فلا نرى منهن من تغطي رأسها إلا القليلات.

وبولس لايسمح للمرأة بأن تُعَلِّم أو بأن تتسلط على الرجل، بل أن تتعلم وتصمت في الكنيسة، ويرى أن تصلي النساء في وضع لائق، وأن تكون زينتهن على مقتضى الحشمة والرصانة لا بالضفائر والذهب واللآلئ، ولا بالحلل الفاخرة، بل بالأعمال الصالحة على مايليق بنساء مشتهرات بعبادة الله.

وحسب بولس فإن للرجل السيادة على زوجته، وهذا موافق لتكوين الرجل والمرأة. ويرون أن الخضوع لايعني انتقاصاً لقدر المرأة وكرامتها وحريتها. ولايعني الخضوع في أية حال من الأحوال أن تكون المرأة مطية خرساء للرجل. وتمتدح المسيحية النساء الملازمات لبيوتهن للصلاة والمتابعات والمطالعات. وفي رأي الأرثوذكسية لاتستطيع المرأة أن تُنصَّبَ أسقفاً أو كاهنة ترعى كنيسةالله. فالرجال هم الرعاة وخادمو الأسرار. ومايصنعه الروح القدس هو إلهي. هذا ترتيب الله ولكن تستطيع المرأة أن تكون شماسة. وميدانها الأصيل هو الرهبنة. هي في البيت مثل الكنز المكنون. تنتقل الفتاة الراقية روحياً من دير البيت إلى دير الرهبنة.

المرأة المسيحية والرهبنة

ترى المسيحية أن البتولية دعوة إلهية إلى بطولة استثنائية . والفكر الرهباني يراود أذهان الفتيات المسيحيات على نطاق واسع ، إلا أنه لم يُدْعَ الجميع إلى حياة التبتل .

ومن التقاليد المسيحية الأرثوذكسية امتناع الشمامسة والقسوس عن نسائهم أثناء نوباتهم في الخدمة . لأنه يليق بالذين يخدمون أمام المذبح المقدس أن يلزموا العفة التامة أثناء اقترابهم من الأشياء المقدسة ليكونوا جديرين بأن ينالوا من الله مايطلبون في الصلاة بحرارة .

والمسيحية لاتمنع الزواج ، ولكنها تهرب من الزنى والفسق والخلاعة والنجاسات والانحرافات الجنسية والشبق . وبولس يفرض على الأرامل المسجلات ألاّ يتزوجن وإلا ارتكبن خيانة للعهد الذي قطعنه على أنفسهن بعدم الزواج . أما الأرامل الشابات فينصح بولس بزواجهن لئلا يقتل البطر أرواحهن ، وكان شرط الستين عاماً للأرامل غير موجود ، إلا أن التجربة مخيفة إذْ بطرت بعضهن فارتكبن خيانة العهد[١] .

وفي نطاق الرهبنة النسوية لدى المسيحية توجد الشماسات اللواتي توشحن بالثوب . والميزة الكبرى للشماسة أنها مكرسة للطهارة الدائمة . وبعض آباء الكنيسة يقولون إن على الشماسة أن تكون عذراء طاهرة أو أرملة . ويحدد بولس أن المرأة التي تريد أن تصبح شماسة يجب أن تكون في سن الأربعين فما فوق .

وبعض نصوص المسيحية تعاقب المخالفين والمخالفات بمصادرة الأموال والإعدام ، وفي صلاة الخدمة القديمة توجد طلبة لكي تنال الشماسة المقبولة حديثاً نعمة الإمساك ، وكان أهم أعمال الشماسات مساعدة الإناث المرشحات للمعمودية . ففي

---

(١) أسبيرو جبور . المرأة في نظر الكنيسة ص ٨٠ .

الأزمنة الأولى كان سر العماد يتم بالتغطيس. ولذلك كان هناك واجبات كثيرة يمكن أن تقوم بها الشماسات، فكنّ أحياناً يعلّمن الموعوظات التعليم المسيحي.

وقد انحصر عملهن بين النساء لأنه في الكنيسة الأولى لم يكن لائقاً أو جائزاً أن تقوم امرأة بتعليم رجل أو تمريضه. وواجبات الشماسات ذكرت في عدة كتابات قديمة تذكر المصادر المسيحية القانون ١٢ من مجمع قرطاجة الذي التأم سنه ٣٩٨م.

وقد اشترط بولس للأرملة المنتظمة في سلك الأرامل أن تكون قد أتمت الستين من العمر ولم تتزوج إلا مرة واحدة. ففي السابق انتظمت الأرامل بسن أحدث ثم نكثن العهد، والعهد هو بقاؤهن أرامل أي متبتلات. ونقضُ العهد ذنب. وإن كانت الأرملة ترتكب خيانة للعهد إن تزوجت، فكان أجدر أن تكون الخيانة أعظم أن يتزوج الإكليريكيون بعد الرسامة، ولازواج بعد الرسامة أبداً.

ويقول القانون ١٢ من مجمع قرطاجة: إن الأرامل والنساء المكرسات اللواتي انتُقين للمساعدة في معمودية النساء يجب بهذا المقدار تثقيفهن في مهنتهن لكي يكنّ قادرات على تعليم النساء الريفيات والغبيات بكفاءة وصواب.

وبشكل عام فإن بعض رجال الدين المسيحي قال بتوقير الشماسة كأنها الروح القدس، ويرى أنه لاتدعى امرأة تتوجه إلى الشماس أو الأسقف بدون الشماسة، فيقول: قَدِّرْ الأرامل واليتامى كممثلين لمذبح المحرقة، ووقّر العذارى بما أنهن يمثلن مذبح البخور، والبخور نفسه. فالشماسة مرتبطة بالشماس ووسيطة بين النساء وبين الأسقف والشماس. أما الأرامل واليتامى فمذبح لتقديم قرابين الإحسان. وأما العذارى فبخور ومذبح بخور، لأن رائحة البتولية طهارة روح وجسد مضمخين بالروح القدس. والشماسات يوزعن الإحسان على الأرامل.

وفي البروتستانتية يوجد رسامة أسقفات وكاهنات في الكنيسة الأنكليكانية، بينما الأرثوذكسية والكاثوليكية ترفضان ذلك.

ويعتبرون أن الكهنوت الأنكليكاني غير شرعي لأنـه غـير رسـولي السلسلة إن صح الأمر أو لم يصح الأمر، لايحل الروح القـدس على المرسـومات لأن هـذا العمل عدوان على تعليم الكنيسة وتقليدها(١) .

هذا مجمل ماتقولـه الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية بالنسبة لموقـع المرأة في العقيدة النصرانية . ونلاحظ أن مسألة كهنـوت المرأة فيهـا آراء مختلفـة ، ولكـن بشكل عام نرى أن بولس يتدخل كثيراً في شروط كهانة المرأة من حيث السنّ والعمل .

وندرك جميعاً أن الإسلام منع الرهبنـة للرجـال والنسـاء انطلاقـاً من قـاعدة هامة وهي أن الإنسان وُجد على الأرض ليعمرها بالبنين والبنات ، ولن يمنـع ذلـك من أن يكون المؤمن في أعلى درجة من النقاء والطهـارة . وقـد حـث الإسـلام المرأة والرجـل علـى الـزواج درءاً للمخـاطر والفحـش والشـذوذ ، وانطلاقـاً نحـو تعمـير الدنيا بالبنين الذين هم زينة الحياة الدنيا .

لقد شرّع الإسلام في مسـائل الـزواج والطـلاق تشـريعات لـم يـرق إليهـا أي تشريع وضعي أو غيره . وقـد حفـظ حـق المرأة والرجـل علـى السـواء مراعيـاً كـل الظروف النفسية والمادية والاجتماعيـة والدينيـة . فالغايـة مـن الـزواج السـتر ودرء المخاطر وإنجاب الأطفال وإنشاء أسرة مسلمة واعية .

فشـرع المهـر فقــال : ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء : ٢٠]. وكما سمح للرجل أن يطلق امرأته لأسباب منطقية فقـد سـمح للزوجة أن تطلق الرجل لأسباب منطقية . ولكن من الناحية المبدئية لايبيح الإسـلام حـل عقـدة الزواج بالطلاق أو التفريق إلا بشروط محـددة جداً ، وعنـد الضـرورة القصـوى ؛ لأنـه يريد للحياة الزوجية أن تظل متوازنة مستقرة ولاسيما بعد إنجاب الأطفال .

---

(١) أسبيرو جبور . المرأة في نظر الكنيسة ص ١٤٤ .

لقد أقرت السنة الشريفة أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق وقد قال ﷺ: «تزوجوا ولاتطلقوا فإن الله لايحب الذوّاقين ولا الذوّاقات».

وإذا كانت المسيحية تتشدد في الطلاق فإن ذلك لايتنافى مع الإسلام، ولكن الذي يتنافى هو جعل المسيحية الرجل أو المرأة اللذين يتطلقان ويتزوجان مرة أخرى زانيين. وهذا مجحف في حقهما. فعلى الشارع أن يبين أسباباً موجبة للطلاق وإلا فإنه لن يسمح به إلا في شروط موجبة ولكن لايجعل من يطلق زانياً حتى يثبت عليه بأربعة شهود، ويحق ساعتئذ عليه الرجم.

وقدجاء في إنجيل مَتَّى: (وقد قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا في حالة الفحشاء عرّضها للزنى، ومن تزوج مطلقة فقد زنى) مَتَّى ٥: ٣١ ـ ٣٢.

ومن حسن الأمر أن تزوج المطلقة درءاً للمفاسد والانحراف. فكيف تمنع النصرانية المطلقة من الزواج؟ أليس في ذلك ظلم لها وقسوة عليها؟

أما التعدد فقد منعته المسيحية لأن اليهود كانوا يتزوجون النساء دون حدود وقيود، فجاء الإسلام مقيّداً بأربعة نساء بشرط وجود العدالة من قبل الزوج. وإذا لم يكن الرجل واثقاً أنه سيعدل فعليه أن يكتفي بواحدة وهذا هو أمر الله سبحانه.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩].

وفي سورة النساء قوانين وتشريعات حول المرأة لاتترك شاردة أو واردة، صغيرة أو كبيرة تخص المرأة إلا وتحددها وتصفُها وتضع حلولاً لها بشكل واضح لالبس فيه.

يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

ويقول الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ويقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

ويقول الله تعالى ناهياً عن هجر الزوجة والبعد عنها لتصبح معلقة، لامطلقة ولامتزوجة ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

فالتشريع الإسلامي الخاص بالمرأة هو تشريع قرآني رباني ليس للإنسان يد في صنعه، على عكس التشريع المسيحي الخاص بالمرأة فمعظمه جاء من خلال المجامع التي أقرت الكثير من التشريع الخاص بالنساء على يد الربانيين وكبار رجال اللاهوت، المسيحيين. وهناك قضايا لم ترد في الأناجيل مطلقاً، إنما اجتهد فيها رجال اللاهوت وأصبحت قوانين يطبقهاالمسيحيون على اختلاف مذاهبهم.

موقف الفاتيكان من مؤتمرات المرأة العالمية

كان مؤتمر بكين للمرأة من أشهر المؤتمرات التي عقدت في القرن العشرين. وقد كان للفاتيكان، باعتباره رأس السلطة الروحية المسيحية الكاثوليكية في العالم، دور مهم في تحديد المواقف الدينية من المؤتمرات التي تنادي بحرية المرأة والإجهاض والجنس المباح. فالفاتيكان انتقد وثيقة مؤتمر بكين باعتبارها تتعارض مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما تتعارض مع المفاهيم التي تدعو إلى حماية الأسرة والزواج وتنشئة الأطفال. وقال الفاتيكان: إن الوثيقة التي تعتبر الأمومة والطفولة وتكوين حياة أسرية هادئة تشكل معوقات أمام استقلالية المرأة لاتخدم بأي حال المرأة ولاتسهم في حل مشاكلها.

وأوضح الفاتيكان أنه كان من الأجدر بواضعي الوثيقة أن يبحثوا أوضاع المرأة في إطار المجتمع بصفة عامة، ولاسيما في مجال الصحة العامة وسوء التغذية والأمراض التي تهدد الرجال والنساء والأطفال بصفة عامة.

وأكد موقف الفاتيكان أن الوثيقة تخلط بين دور الرجل والمرأة، وتزرع بذور الشقاق بين الجنسين والأجيال، والطبقات الاجتماعية.

وقالت السيدة جيلندون ممثلة الفاتيكان التي تعد أول سيدة ترأس وفداً رسمياً في تاريخ الفاتيكان، وتمثله في مهمة في الخارج؛ إن مؤسسة الفاتيكان، وعلى رأسها البابا، تهتم بقضايا المرأة وقضية المساواة بين الرجل والمرأة، ولكنها مساواة تختلف عن تلك الحركة النسوية وحركة المساواة المبتذلة بين الجنسين التي انتشرت في فترة السبعينيات وأضافت إن أكثر مايقلقنا هو أن وثيقة بكين تبعد في جوهرها عن المفاهيم التي تنص على ضرورة منح الأمومة والطفولة اهتماماً خاصاً.

وقالت إن وثيقة بكين تغفل مسألة الزواج والطفولة والأسرة والدين. وكل هذه الأمور مهمة ومحورية لمعظم النساء في العالم. وطرحتها الوثيقة بصورة

سلبية، وعلى أنها معوقات أمام استقلالية المرأة، وهو الأمر الذي لايمثل حقيقة حياة غالبية النساء ولايمثل ايضاً اهتمام النساء بتكوين حياة أسرية هادئة.

وقد عارض الفاتيكان الاعتراف بالأشكال الأخرى للحياة المشتركة غير الأسرية مثل الأسر التي يديرها أحد الوالدين فقط، والعلاقات خارج الزواج، أو بين الشواذ. وقد حددت الكنيسة القبطية موقفها من المؤتمر فأصدرت بياناً في المناسبة وقالت فيه: إن المسيحية ترفض الإجهاض من اليوم الأول إلا لدواعٍ طبية تكون الأم فيها في خطر، كما أنها ترفض التعقيم الجنسي للجنسين وقتل الجنين. وترفض المسيحية الشذوذ الجنسي نهائياً بنص الإنجيل المقدس، كما ترفض الزنى (فالجسد ليس للزنى بل للرب).

وباختصار نقول: إن موقف الهيئات المسيحية الرسمية كالفاتيكان والكنيسة القبطية من المرأة المعاصرة جاء موقفاً محافظاً على كرامة المرأة وكرامة الرجل. والواقع أن هذه الهيئات، وبسبب وجود تيار الغرب الفوضوي الإباحي، تقف إلى الآن موقفاً صلباً تجاه الانحراف والشذوذ.

وموقفها ليس بعيداً عن موقف الإسلام. وقد ظهر التضامن والتعاطف بين ممثلات البلدان المسلمة والفاتيكان في مؤتمر بكين بشكل واضح وجلي وذلك ضد مواقف الإباحيين والإباحيات القادمات من دول أوروبا الغربية وأمريكا واللواتي يتزعمهن نسوة اشتهرن بتاريخ إباحي أسود ومشين.

الأعياد والمناسبات في النصرانية

تعتبر الأعياد والمناسبات الدينية في العقيدة النصرانية من أكثر المناسبات مقارنة بالعقائد الأخرى. ولعل أبرزها عند الطوائف المسيحية كافةً عيدُ الميلاد، وعيد رأس السنة الميلادية، وعيد الفصح.

ويلحق بهذه الأعياد مناسبات كثيرة أخرى مثل عيد الشعنينة وعيد مارجريوس وعيد الصليب وعيد البربارة وعشرات من الأعياد التي تدور على مدار السنة.

ويلاحظ أن المسيحيين يجعلون للقديسين أعياداً غير أنهم لا يحتفلون فيها كما يحتفلون بالأعياد الرئيسية.

عيد ميلاد السيد المسيح

يصادف عيد ميلاد السيد المسيح في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول حسب التأريخ المسيحي.

تعرضنا في الجزء الأول من هذا الكتاب للتأريخ بميلاد المسيح، وأكدنا من خلال الدراسة والتحليل أن مولد المسيح، عليه السلام، لم يكن معروفاً ولم يكتب أحد يوم ولادته، ولم يدونها، وافترضوا أن هناك فرقاً زمنياً يمتد من أربع إلى ست سنوات بين مولد المسيح الحقيقي وبين التأريخ الذي بُدىء به في القرن الثالث. وقد اتفق المسيحيون الغربيون على تقويم واحد فيما بعد أطلقوا عليه التقديم الغريغوري. وقد انتشر هذا التقويم حتى عم غالبية الأوساط المسيحية وخاصة الغربية منها.

ومن مظاهر هذا العيد صنع شجرة أو جلب شجرة سرو تعلق عليها المصابيح تسمى شجرة الميلاد وشاعت هذه العادة لدى المسيحيين كافة حتى أصبحت عادة وضع الشجرة متبعة في الساحات العامة والمنازل والمؤسسات.

وفي هذا العام صنع الأستراليون شجرة عملاقة بلغ طولها أكثر من أربعين متراً ووضعت في أضخم ساحة في عاصمة هذه الدولة. وفي اليونان صنعت شجرة بلغ طولها أربعين متراً وزينت بأكثر من عشرين ألف مصباح كهربائي في عاصمة اليونان أثينا.

وكذا في جميع الدول الغربية المسيحية. وبعض البلدان العربية والإسلامية التي يقطنها مسيحيون.

ولعل مظاهر هذا العيد تدل، بشكل واضح، على خروج عن الدين المسيحي خروجاً كاملاً.

فالاحتفال بهذا العيد لم يقره السيد المسيح ولا الأناجيل. وإذا كان الاحتفال يرمز إلى ولادة السيد المسيح فإن مايرافق هذا العيد من مظاهر الفجور يعد انتهاكاً لتعاليم المسيح. ومن أمثلة ذلك احتساء الخمر بشكل مفرط من قبل كل الأوساط الاجتماعية، وما إن يحل الصباح حتى يكون الناس قد خمروا جميعاً وغاب وعيهم. وهذا مانهى عنه المسيح وأخلاق المسيح.

ولما كان الغرب، بشكل عام، قد وقع في الشذوذ والانحراف حتى رأسه، فإن هذه المناسبة تقود الرجال والنساء، وخاصة الشبان، إلى ممارسة الجنس المباح في البيوت والمتنزهات، وحتى بعض الأماكن العامة. وكأن العيد لايصح إلا بارتكاب كلّ الانحرافات والشذوذ.

أما في الكنائس فإن الكهنة يقيمون قداسات خاصة في هذه المناسبة يلقون فيها بعض الأدعية ويتوجهون بها إلى الرب ليعم الخير والمحبة بين الناس .

ويتم الاحتفال الديني بهذه المناسبة ليلاً .

عيد رأس السنة الميلادية

بعد عيد الميلاد بسبعة أيام يحتفل المسيحيون بما يسمى عيد رأس السنة الميلادية . والواقع أن أعياد الميلاد تطلق على هذه الفترة الممتدة من الخامس والعشرين إلى الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول .

ومظاهر عيد رأس السنة ليست أقل من مظاهر عيد الميلاد ، بل إنها تطغى عليها وتزيد عنها فيما يجري خاصة في بلدان أوروبا .

وقد تعرضنا لمناقشة هذه المناسبة في الجزء الأول من الكتاب وأوضحنا أنها ليست متوافقة مع ميلاد المسيح ، وقد اخترعت اختراعاً من قبل الغرب المسيحي استناداً إلى التأريخ بالسنة الرومانية التي بدأ التأريخ بها منذ تأسست روما ، أي قبل عيد الميلاد بحوالي ٧٠٠ سنة . لقد انتشر التأريخ بالسنة الميلادية في جميع أنحاء العالم ، وأصبح التعامل بين الشعوب والأمم يستند في قضايا كثيرة على هذا التقويم .

ويستقبل المسيحيون عيد رأس السنة باحتفالات واسعة تعم وتشمل الناس كافة ومن مظاهرها انتشار الموبقات كالخمر والزنى والحفلات الماجنة في دور السينما والأندية .

والغريب في الأمر أن هذه المناسبة لم تبق مناسبة دينية بل ابتعدت كلياً عن روح الدين المسيحي . يستعد الناس للاحتفال بهذه المناسبة قبل وقت ليس بالقليل ، وهذا الاستعداد يكون على الشكل التالي :

يتهافت الناس على أماكن بيع الخمور ليشتروا أنواعها . ويتنافسون على

ذلك فيما بينهم ثم يخزِّنون زجاجاتهم خوفاً من نفادهـا في الأسـواق. والمحـزن في الأمـر أن بعـض النـاس يحرمـون أطفـالهم مـن الطعـام واللبـاس، وكذلـك التربيـة الصالحة من أجل توفير المال اللازم لشراء المحرمات. وما إن تبدأ أعياد الميلاد حتى تمتلئ المؤسسات الاستهلاكية والمحلات بآلاف الزجاجات الممتلئة بشتى أصناف المشروبات المحرمة وذات الأسعار المرتفعة. ومن مظاهر هذه الأعياد انتشار النـاس وهم مخمورون في شوارع المدن الكبرى بسـياراتهم أو مشـياً علـى الأقـدام. شبان يعتدون على فتيات ونساء من بائعات الهوى ومن شابههن، وكـم مـن جريمـة قتـل واغتصاب تحدث بمناسبة هذا الاحتفال بهذا التاريخ. إضافة لما يثيرونـه مـن إزعـاج مستمر للسـاكنين في البنايـات والـدور الفقـيرة المعدمـة. والحـافلات ترفـع أبواقهـا المستمرة صارخة كأنها سيارات الإسعاف والإطفاء وشرطة النجدة. إضافة لصراخ المحتفلين وغنائهم بأعلى الأصوات.

ومن مظاهر هـذا الاحتفـال في بلادنـا العربيـة أن بعـض فئـات المجتمـع تقلـد مايجري في الغرب بصنع شجرة الميلاد ليبرهنوا على وثنية جاهلية صارخـة في قـرن يسمى عصر التكنولوجيا والتقـدم. وحضـور حفـلات الخمر في الفنـادق والـنُزل وإجـراء مسـابقات القمـار والميسـر والمراهنـات، ومايسـمى اليـانصيب، وخطـف النساء، وماشابه ذلك من الأمور التي يعجز عنها الوصف.

ومن المظاهر أيضاً جلب المغنيات والغانيـات والراقصـات والراقصـين مـن الفـرق الأجنبية المختلفة. وتعرض هذه الفرق نساءً عاريات متعريات. ومن المؤسف أنها تُبثُّ على الشاشات الصغـيرة لتزيد في بـلاء الفتيـان والفتيـات مـن أبنـاء المسـلمين والعـرب. وعلى الرغـم مـن أن نسـاء هـذه الفـرق لسـن بطـلات رياضـة أو ثقافـة فإنهن ممـن بعْـنَ أجسـادهن للهـوى والبغـاء المخطـط لـه مسبقاً. وكـم مـن عـدوى بـالإيدز والأمـراض الفتاكة حصلت لرجال بسبب ممارساتهم الشاذة مع نساء تلك الفرق الراقصة.

الجمعة العظيمة وعيد الفصح

من أهم الأعياد لدى المسيحيين عيد الفصح. وهو أساساً ينطلق من منطلق غير توحيدي، فهو يستند إلى القول بأن المسيح قد صلب ودفن يوم الجمعة وقام من بين الأموات في يوم الأحد الذي يسمى عيد الفصح.

في يوم الجمعة العظيمة (الحزينة) يجتمع الناس في الكنيسة ويكون الكاهن الأكبر والشمامسة موجودين. تتخلل الاحتفال أناشيد وتراتيل تؤديها جوقة من الفتيات على أنغام موسيقى البيانو. وفيها ينشدون أغنية مشهورة تقول على لسان مريم: أنا الأم الحزينة ومامَنْ يعزيها. وتصور الأغنية مأساة مريم العذراء التي صلبوا ابنها حسب قول المسيحيين. ويخطب عدد من الشخصيات في هذه المناسبة، وفي فترة من فترات هذا الاحتفال يحمل أربعة أشخاص تابوتاً صغيراً يرمز إلى تابوت المسيح ويدورون به بين الصفوف في الكنيسة.

وينتشر حرق البخور بشكل كثيف في أرجاء الكنيسة، ويعتبر حرق البخور من أهم العبادات التي تؤدى في الكنيسة في مثل هذه المناسبات.

وبعد الاحتفال بالجمعة العظيمة يحتلفون بعيد الفصح حيث ينقلب الحزن إلى فرح عظيم، لأن المسيح، حسب رأيهم يقوم من بين الأموات، ويصادف هذا العيد عادة في شهر نيسان من كل عام. وفيه أيضاً يحرق البخور وتؤدى الصلوات في الكنائس حيث يقود الاحتفال راعي الكنيسة ويتلو بعض الصلوات والتراتيل. وعادة يحمل من يستطيع القراءة الكتاب المقدس (الإنجيل) حيث يردد من بالكنيسة وراء الكاهن بعض الصلوات.

وعلى مدار السنة توجد أعياد لمن يطلقون عليهم القديسين. ففي أيلول هناك ٣٠ مناسبة، وفي تشرين أول إحدى وثلاثين، وهكذا في كل شهر توجد مناسبات على عدد أيام الشهر، بمعنى أن عدد أعياد القديسين على عدد أيام السنة كلها.

ففي كانون الثاني مثلاً توجد أعياد ومناسبات كثيرة منها عيد الظهور الإلهي، وعيد يوحنا المعمدان، وعيد ختانة يسوع المسيح. وفي شباط مثلاً يوجد عيد دخول السيد إلى الهيكل.

وحين نتصفح الأعياد المسيحية والمناسبات نرى أن المسيحية يحتفلون بأعياد ومناسبات لبعض أنبياء العهد القديم مثل النبي أرميا ودانيال وزكريا وغيرهم.

ومن الأعياد المشهورة عيد السيدة وعيد البربارة. حيث تحرق الأغصان في مواقع عدة من الجبال والسهول بالقرب من القرى. وتلتهب النيران فترة زمنية من الليل، وقد اشتهرت منطقة جبل لبنان بذلك.

وفي عيد الخضر (مارجريوس) يحتفل المسلمون والمسيحيون ويذهبون إلى مقام الخضر الموجود غالباً في أكثر من مكان. وفي فلسطين في جبل الكرمل كان أهالي فلسطين، وخاصة مسيحيو الجليل، يحتفلون بهذا العيد على جبل الكرمل، فتقوم الدبكات والرقصات، ويختلط الحابل بالنابل، حيث لامعنى لهذا الاحتفال سوى تنفيذ بعض العادات الشعبية وكلها بعيدة عن روح المناسبة الدينية التي يفترض أن تخيم على جو هذا العيد.

الفصل الرابع

الحلال والحرام والعقوبات في العقيدة النصرانية

موقف المسيحية من محرّمات العهد القديم

عرفنا من خلال نص الأناجيل أن المسيح عليه السلام اعترف بأنه جاء ليتمم الأنبياء والشريعة لالينقضها ويرفضها .

وتبرز لنا الوصايا التوراتية العشر التي أقرها النبي موسى ، عليه السلام ، في التوراة فماذا كان موقف المسيح ، عليه السلام ، منها حسب ماورد في الأناجيل؟

جاء في إنجيل مَتَّى مايلي :

(سمعت أنه قيل للأولين لاتقتل فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء ، أما أنا فأقول لكم من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء ، ومن قال لأخيه ياأحمق استوجب حكم المجلس ، ومن قال له ياجاهل استوجب نار جهنم) .

فالمسيح بهذا القول لم ينف عقوبة القاتل ولم يلغها إنما أكملها ، من الناحية الأخلاقية ، وهذا ، بالطبع ، يدخل في باب التربية الأخلاقية ، وهذا مانص عليه القرآن الكريم في تربيته للمسلمين فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١].

ويقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فالمسيح حسب النص الإنجيلي السابق، ينطلق من منطلق تربوي عظيم، فالقتل بهذا المعنى ليس قتل الأجساد وإنما قتل النفوس والأرواح، فلذلك حذّر من قول الشخص لأخيه ياأحمق لأن ذلك نميمه، وحذر من غضب الشخص على أخيه وحذر من اتهام الناس بالجهل.

وجاء في إنجيل مَتَّى: (سمعتم أنه قيل لاتزن، أما أنا فأقول لكم من نظر إلى امرأة بشهوة زنى بها في قلبه). وهنا أيضاً نرى السيد المسيح يربي النفوس تربية عظيمة إذ يحذر الإنسان ليقي نفسه قبل أن يقع في الخطأ.

ولكنّ نصاً آخر يرد في الإنجيل يبين موقفاً للمسيح من زانية حيث عفا عنها وقبلها وغفر ذنوبها. وهذا الأمر فهمه بعض المسيحيين على أنه إلغاء لعقوبة الزاني. والواقع أن المسيح، عليه السلام، لم يلغِ عقوبة الزاني، إنما في هذه الحادثة جاء ليعلم أن امرأة زانية قد تتوب يغفر لها وتكون عند الله أفضل من الفريسيين.

وجاء في إنجيل مَتَّى: (من طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق، أما أنا فأقول لكم من طلّق امرأته إلا في حالة الفحشاء عرّضها للزنى، ومن تزوج مطلّقة فقد زنى) ٥: ٣١ ـ ٣٢ وفي هذا النص تشديد من قبل المسيح في مواجهة اليهود وتعاليمهم التي تحجرت وانحرفت عن مسارها، فالمسيح يريد المحافظة على كرامة المرأة التي أهانها التشريع اليهودي المتحجر. وقد فسر اللاهوت المسيحي أن هذا النص يعني تحريم الطلاق على الإطلاق، والواقع أن المسيح، عليه السلام، كما في تعاليمه كلها، ينطلق نحو تربية النفوس تربية سامية مخالفة للتقعر العقيدي اليهودي.

ويأتي في إنجيل مَتَّى: (سمعتم أنه قيل للأولين لاتحنث بل أوف للرب بأيمانك، أما أنا فأقول لكم لاتحلفوا أبداً لا بالسماء فهي عرش الله، ولا بالأرض فهي موطئ قدميه، ولا بأورشليم فهي مدينة الملك العظيم، ولاتحلف برأسك

فأنت لاتقدر أن تجعل شعرة واحدة منه بيضاء أو سوداء، فليكن كلامكم نعم نعم ولا لا فما زاد على ذلك كان من الشرير).

وفي هذا النص روح توحيدية حقيقية، إذ يدل على أنّ زمن السيد المسيح شهد الناس وهم يقسمون الأيمان الكاذبة، ويحلفون بأشياء نهى الله عن القسم بها، وهذا مانجده في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ولاتجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾.

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تحث على عدم الحلف لأتفه الأسباب. ولعل هذا يدخل في باب الثقة والصدق بين الناس. فلو وجدت بينهم ثقة وصدق وتصديق وعدم كذب لما احتاج أحد أن يحلف الأيمان.

وجاء في مَتَّى: (سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن، أما أنا فأقول لكم لاتقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر، ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضاً، ومن سخرك أن تسير معه ميلاً واحداً فسر معه ميلين ومن سألك فأعطه ومن استقرضك فلا تُعرض عنه).

وهذا بالطبع أيضاً يدخل في باب التربية الدينية النفسية الاجتماعية السامية، ولكن لاينفي عقوبة القاتل الشرير.

وقد حث الإسلام على العفو حتى في حالات القتل. فالدين السامي تبقى غايته الحفاظ على الحياة وليس إفناء النفوس، وقد حثت آيات القرآن الكريم دوماً على فعل الخير والابتعاد عن فعل الشر، لأن الشر عمل من أعمال الشيطان.

ولانكاد نجد فروقاً بين هذه التعايم والتعاليم التربوية التي جاء بها المسيح، عليه السلام، إنما الفروق تقع في العقوبات التي ألغى بعضها الرهبان واخترعوا غيرها مما لم يأت به المسيح، عليه السلام.

وقد أجمع الدارسون على أنه ليس عند المسيحيين حدٌّ أو عقوبة على من

زنى أو لاط أو سكر، وليس عليه عذاب في الآخرة (لأن القس أو الراهب يغفره لهم، فكلما أذنب أحدهم ذنباً أهدى للقس هدية أو أعطاه درهماً أو غيره ليغفر له به، وإذا زنت امرأة أحدهم بيّتها عند القس ليطيّبها له فإذا انصرفت من عنده وأخبرت أن القس طيّبها قبل ذلك منها وتبرك به[1].

وقد حرم المسيح أكل الخنزير لكن المسيحية حللت أكله وجعلوه شعار دينهم وتعبدوا هم بأكله، وقد رأى المسيحيون أن اليهود يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان، فأباحوا مادون الفيل إلى البعوضة وقالوا كل ماشئت ودع ماشئت لاحرج.

وقد ورد في إنجيل مَتَّى مانصه:

(وكان يرعى على مسافة منهما قطيع كبير من الخنازير فتوسل إليه الشياطين، قالوا إن طردتنا فأرسلنا إلى قطيع الخنازير، فقال: لهم اذهبوا فخرجوا ودخلوا في الخنازير فإذا القطيع كله يثب من الجرف إلى البحر فتهلك الخنازير في الماء).

وهذا النص يوضح أن الخنازير هي الحيوانات الأمثل لدخول الشياطين فيها، فلذلك كان رأي المسيح، كما التوراة، تحريم الخنزير، لكن المسيحية خاصة الغربية حللته وأباحت أكل لحمه.

ويرى بعض الباحثين من المسيحيين أن المسيحية الحقة هي في إبطال الناموس التوراتي وحلول النعمه محله. ويعني تحويل الناموس من ناموس الجسد إلى ناموس ذهن وإيمان وحياة مكتوب في القلوب والأرواح. وغاية الناموس هي نهاية الناموس لأن غايته هي المسيح. والحياة بالروح لا بالحرف لكي لايظل الإنسان تحت اللعنة والخطيئة. ويرون أن هذه الأمور لم تكتمل في الناموس الحرفي ولذا ظل الإنسان اليهودي تحت اللعنة والخطيئة.

---

(١) ابن القيم الجوزية هداية الحيارى ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

ويبدون ضعف المسيحية بالتشريع بأن الأمم لايحتاجون إلى ناموس مكتوب لأنهم تجردوا منه وحققوا ناموس الله مباشرة فهم مسيحيون بالطبيعة.

والمسيحية لاتحمل شيئاً من الشريعة، لأن الأمم استعاضوا عنها بالضمير، ولما كان الضمير قد أُعطي للإنسان قبل الشريعة أي قبل السقوط فإن الأمم لم يتعرضوا للخطيئة كما تعرض لها الشعب اليهودي الذي أسكت صوت الضمير فيه[1].

(١) ندرة اليازجي رد على التوراة ص ٦٥ - ٦٦.

شرب الخمر في المسيحية أهو حرام أم حلال؟

يرى الدارسون أن الحال مختلف في الديانة المسيحية بين ديانة عيسى، عليه السلام، الأصلية، وبين الفرق المسيحية الحالية. فقد اقتبس المسيحيون الأوائل كثيراً من الديونيسية المنسوبة إلى ديونيسوس إله الخمر عند الإغريق، ومن الطقوس الوثنية عند الهندوس ودخل ذلك في أناجيلهم. وعندما دخل قسطنطين المسيحية أدخل فيها معتقداته الوثنية وعاداته المنحرفة. ومن جملتها إباحة الخمر[1].

وإذا عدنا إلى نصوص الأناجيل، وإلى ماقاله بولس وبقية اللاهوتيين، وجدنا أنها جميعها تحرم الخمر وترفضه.

جاء في إنجيل برنابا: (فقال الملاك ـ لمريم كوني حاملاً بالنبي الذي ستدعينه يسوع فامنعيه الخمر و المسكر وكل لحم نجس، لأن الطفل قدوس الله) الإصحاح: ص ٣٩.

وجاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس: (لاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة)/ ٥ ص ٣١٧.

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: لاتخالطوا الزناة.. إن كان أحد يدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لاتخالطوا ولاتؤاكلوا مثل هذا) ٥/ ٩ ص ٢٧٣.

وفي رسالته إلى أهل كورنثوس: لاتضلوا، لازناة، ولاعبدة أوثان. ولا

---

(١) بسام الصباغ، مشكلة الخمر في العالم ص ٦١ ـ ٦٢.

فاسقون ولامأبونون ولامضاجعو ذكور ولاسارقون ولاطماعون ولاسكيرون ولاشتامون ولاخطافون يرثون ملكوت الله) ٦/ ٩ ص ٢٧٣.

وجاء في رسالته لأهل رومية: (قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة، ونلبس أسلحة النور، لنسلك بلباقة كما في النهار، لا بالبطر والسكر ولا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد) ١٣ ـ ١٢ ص ٢٦٣.

وجاء في إنجيل لوقا: (وقال ملاك الرب لزكريا عن يوحَنّا المعمدان:

لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لايشرب) ١/ ١٥ ص ٨٩.

من خلال هذه النصوص نرى أن الفاضل والنبي والكاهن لايشرب خمراً لأنه قدوس الله. ومن كان كذلك فإنّ أتباعه يجب أن يتبعوه حتى يتشبهوا ويسيروا على دينه وسلوكه.

وهناك نصوص في الأناجيل توحي بأن المسيح أباح الخمر، لكنها ليست كذلك، لأن كلمة خمر كانت تعني أكثرمن معنى الشراب المسكر. أو الخمر المسكر.

ففي عرس في قرية قانا الجليل يدخل المسيح، عليه السلام، فيقلب الماء إلى نبيذ الخمر، فقد جاء في الإصحاح الثاني من إنجيل يوحَنّا: (في اليوم الثالث كان في قانا الجليل عرس، وكان فيه أم يسوع، فدعي يسوع أيضاً وتلاميذه إلى العرس ونفدت الخمر فقالت ليسوعَ أمُّه: ليس عندهم خمر، فقال لها يسوع: مالي ومالك أيتها المرأة لم تأتي ساعتي بعد... فقال يسوع للخدم املأوا الأجران ماءً. ثم قال لهم اغرفوا الآن وناولوا وكيل المائدة، فناولوه فذاق الماء الذي صار خمراً. فكلمة خمر في النسخة العربية للإنجيل هي ترجمة لثلاث كلمات عبرية مختلفة وهي واين، تيروش، شيكار.

أما (واين) فلا يقصد بها الخمر، إنما يقصد بها عصير العنب غير المتخمر

الطازج، وتدل (واين) في العبرية على العنب الأسود. ويقصد بها أحياناً عصير العنب المركز المغلي على النار الذي عزل الخمر منه، والموضوع في أوعية معدة للشراب لتقدم في غير وقت العنب، ويرى الدارسون أن هذا النوع هو الذي استخدمه المسيح، عليه السلام، ليلة عشاء الفصح، وهو مايسميه بعضهم بالعشاء الرباني، المؤلف من خبز وخمر لأن الشرط الأساسي لعشاء الفصح هو نزع الخمير من البيت.

فالخمر التي استخدمها السيد المسيح كانت من النوع الذي عزلت خميرته بالنار والتبريد، وقد ورد في القرآن الكريم قوله: (إني أراني أعصر خمراً) من سورة يوسف وكان يقصد بها العنب، وقد جاء في تاج العروس في مادة الخمر: والعرب تسمي العنب خمراً وهي لغة يمانية.

أما الكلمة الثانية تيروش ومعناها ثمرأو نتاج، وقد ذكرت هذه الكلمة خمساً وثلاثين مرة في التوراة والإنجيل، وترجمت في النسخة العربية إلى خمر، وهي لاتعني السائل المعروف بهذا الاسم الذي يسكر شاربه، بل تعني شيئاً يُجمع ويؤكل.

وقول التوراة جمعوا خمراً وزيتاً وتيناً كثيراً، تعني أن الخمر هو العنب المجفف.

والكلمة الثالثة شيكار ومعناها السكر أي الخمر المسكرة وهي المشروبات المسكرة التي تحوي على الغَوْل.

وقد أجمع الرهابنة وكبار رجال الدين المسيحي على تحريم الخمر.

فقد جاء في كتاب مطران كرسي البلينا: (لايجوز مطلقاً للمؤمنين بدين المسيح معاطاة المسكر ومعاقرة بنت الحان، لأنها تفتك بأرواح بني الإنسان وتجلب عليهم غضب الله، وتخدش ناموس الشرف والإنسانية، وتؤدي بالمرء إلى أدنى دركات المذلة والمسكنة).

وجاء في كتاب مطران قنا: (إن الكتب المنزلة تقضي بمنع الخمر؛ لأنها تتلف الأجساد، وتؤدي بالسكير إلى الفقر، واستشهد بما جاء في سفر الأمثال ١٣/ ٢٠، وبرسالة بولس إلى أهل كورنثوس وإلى أهل رومية.

وجاء في الخطاب المشترك الذي كتبه كل من مطران أسيوط مكاريوس وأسقف منفلوط، وقد اختير الأول بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية المرقصية:

(إن جميع تعاليم الكتاب المقدس تحرم قطعياً شرب الخمر، وإن الذين يحبذون شربها هم المغرضون والمولعون بشربها، فلا يعتد بأقوالهم، إنما نمدحكم على اهتمامكم بمنع المسكرات، ونسأل الله أن يجعلكم كخميرة الإصلاح حتى ينبذ الكل شرب الخمر الذي هو مبدأ كل شر وفساد ورذيلة في الأمة).

وللكنيسة الكاثوليكية رأي مماثل، فقد قال الكاردينال أنطونيو لسان حال الكنيسة الكاثوليكية البابوية معقباً على المحاضرة الطبية الاجتماعية:

(أود أن أعلن باسم الكنيسة أن المسيحية الحقة تحرم على كل أتباعها شرب الخمر، ولاترى في منعها أي اعتداء على الحرية الشخصية، بل هو احترام لحرية المجتمع وصونه من عدوان السكارى على غيرهم من الأفراد).

والبروتستانتية نبذت شرب الخمر أيضاً، وذلك من خلال أقوال وآراء مفكريها ولاهوتييها: فقد حاول مارتن لوثر أن يحرم الخمر، وجاء جوزيف سميث فحرم الخمر على أتباعه تحريماً شديداً. وحرم المبشر البروتستانتي ستانلي جونز في كتابه (الطريق). الخمرة ودعا إلى تركها مع ذكر أضرارها.

وقد ظهرت في أمريكا اليوم وفي اليابان وكوريا الكنيسة البروتستانتية التوحيدية وهي أيضاً تحرم على أتباعها الخمر والمخدرات[1].

وبعد أن رأينا موقف المسيحية بكل مذاهبها من شرب الخمر بقي أن نتساءل:

---

(١) نقلاً عن كتاب مشكلة الخمر في العالم للدكتور بسام الصباغ ص ٦٨ - ٦٩.

من الذي قال بأن المسيح حلل شرب الخمر؟ ألا نرى أن المسيحية الغربية البعيدة عن رأي الكنائس هي من أباح شرب الخمر وصدرته إلى مختلف أنحاء العالم؟

إن استهلاك الخمر في المجتمعات الغربية يذهل بل يدهش، فما من بيت يخلو من الخمر، ومامن شاب أو فتاة إلا ويتناول الخمر، فهم مسيحيون عندما يتعصبون للغرب ضد الشرق والإسلام. وهم كافرون بالمسيح والمسيحية عندما يحرمان عليهم شرب الخمر أو الإباحية والزنى.

عقوبة الإعدام في تاريخ المسيحية الغربية

بعد أن اضطهد المسيحيون الأوائل على أيدي الوثنيين من الرومان واليونان وغيرهم استطاعت الدعوة المسيحية المستحدثة على يد بولس أن تخترق الأذهان الوثنية وتسيطر عليها. لكن هذه المسيحية المستحدثة اصطدمت بالمسيحية الأولى وراحت تكيل لها الاتهامات بالخروج عن العقيدة المسيحية. وقد اعتُبر المسيحيون الأصليون متمردين يجب معاقبتهم أشد العقاب وقد وصلت بهم الأمور إلى إنزال عقوبة الإعدام بحق كل من يخالف الكنيسة الرومانية.

وفي القرن الرابع عارض آريوس القول بألوهية المسيح الأمر الذي دفع المسيحيين لعقد مجمع نيقية الذي قرر إدانة آريوس، وإحراق كتاباته، وتحريم اقتنائها، وخلع أنصاره من وظائفهم ونفيهم، والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتاباته. وبعد حوالي نصف قرن بالتحديد سنة ٣٩٥م ظهرت محكمة التفتيش، وكانت مركزاً بشعاً للاضطهاد والتعذيب، وكان أعضاؤها من الرهبان. وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين لعقيدتهم، ومنذ ذلك الحين راحت المسيحية الكاثوليكية تنفذ أبشع أنواع التعذيب والإعدام بالمسيحيين المخالفين.

تعرض للقتل والشنق والحرق كثير من المسيحيين الذين اعتبرتهم الكنيسة هراطقة، وكانت الكنيسة تلجأ إلى الإعدام البطيء. فتسلط الشموع على جسم الضحية، وتخلع أسنانه كما فعل بكبير أساقفة مصر آنذاك، وذلك بسبب رفضه الخضوع لقرار مجمع خلقدونية الذي يرى أن للمسيح طبيعتين إلهية وناسونية. وكان يسبق الإعدام الكي بالنار والضرب حتى يعترف المتهم بمروقه. فإن لم

يعترف نفذ فيه حكم الإعدام حتى تثبت براءته . وإذا اعترف المتهم بجريمته استمر تعذيبه قبل تنفيذ حكم الموت فيه لعله يكشف عن أنصاره وشركائه .

وكانت القوانين تقضي أن يحمل الأبناء والأحفاد تبعة الجرم الذي يُتهم به الآباء .

ومن صور عقوبة الإعدام أن إسبانيا أعدمت أكثرمن ثلاثين ألف إنسان حرقاً ، وحكمت على أكثر من مائتين وتسعين ألفاً بعقوبات أخرى غير الإعدام .

وفي عام ١٥٦٨ أصدر الديوان حكمه بإدانة جميع سكان الأراضي الواطئة ـ هولندا ـ والحكم عليهم بالإعدام ، ودفع جراء هذا القانون ملايين من النساء والأطفال والرجال إلى المقصلة ، وذلك بسبب اتهامهم بالخروج على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية . ومن المذابح المشهورة مذبحة باريس في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢ التي قتل فيها الكاثوليك ضيوفهم من البروتستانت . وقد كان الكاثوليك قد دعوا هؤلاء إلى باريس لعمل تسوية تقرب وجهات النظر المختلف عليها . ثم قتلوا غدراً وهم نيام ، وقد استيقظت باريس على شوارعها وهي تجري بدماء هؤلاء المسيحيين من البروتستانت ، وقد هنأ البابا تشارلس التاسع على هذا العمل الدنيء[١] .

والواقع أننا لو عدنا إلى الأناجيل لما عثرنا على مايسمى عقوبة الإعدام . وحياة السيد المسيح حافلة بالتسامح مع أعدائه قبل مؤيديه .

جاء في إنجيل مَتَّى : (سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن ، أما أنا فأقول لكم لاتقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر ، ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضاً) مَتَّى ٥ : ٣٨ ـ ٤١ .

---

(١) الدكتور توفيق الطويل الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ص ٩٠ .

فأين هذا مما قامت به محاكم التفتيش والكنيسة الكاثوليكية من قتل بحق مسيحيين كان ذنبهم أنهم خالفوا الكنيسة ببعض الأمور، ولكنهم ظلوا مسيحيين ولم يرتدُّوا أو يهتدوا إلى دين الإسلام مثلاً.

موقف المسيحية من الرق والاسترقاق

لو فتشنا في تعاليم المسيح جميعها لما عثرنا على مايسمى العبودية أو الاسترقاق، بل إن المسيح، عليه السلام، بصريح القرآن الكريم، كان عبداً لله وحده. وهذه العبودية الخاصة لله كانت ومازال شرفاً للأنبياء والصالحين باعتبارها تنفي عبودية الناس بعضهم لبعض من دون الله.

وحين نتفحص الأناجيل، على الرغم مما فيها من انحرافات لغوية وتاريخية ومعنوية، لانجد أي دعوة للاسترقاق أو العبودية والاستعباد.

صحيح أن تربية المسيح أشارت إلى التسامح الكبير ولكنها لم تُفهم على أنها عبودية واسترقاق.

يقول إنجيل مَتَّى: (من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر) ٥: ٣٩-٤٠.

وجاء أيضاً: (أحبوا أعداءكم وصَلُّوا من أجل مضطهديكم) ٥: ٤٤-٤٥.

وليس كلام المسيح عليه السلام دعوة إلى الجبن والذل بل إلى الوداعة التي تقهر الشر بالخير.

إذاًمن أين جاء الاسترقاق في العقيدة النصرانية؟

الواقع أن النصرانية الأولى لم تعرف الرقيق ولا الاستعباد بل اعتبرته مناقضاً لتعاليم المسيح.

وقد دخلت المسيحية إلى العالم الغربي، وكانت الإمبراطورية الرومانية،

ككل الدول آنذاك، تبيح الاسترقاق والاستعباد، وذلك بسبب الحروب وكثرة الأسرى، كل ذلك كان من مخلفات الوثنية والصراعات المعروفة بين الإمبراطوريات والدول، ولكن الرقيق أخذ بعداً دينياً في المسيحية الغربية، وخاصة في العصور الوسطى، عندما تحالف الإقطاع الأوروبي مع الكنيسة البابوية، وأصبحت سمة الاسترقاق من أهم سمات ذلك العصر.

في القرن السادس بدأت حملة الاسترقاق وعظم شأنها واستفحلت حتى بدْء عصر النهضة الأوروبية، فانتقلت إلى استعباد شعوب بأسرها كما حدث إبان الحملات الكبرى في إفريقيا، وجلب الأفارقة عبيداً يعملون في أوروبا أو يصدّرون إلى العالم الجديد أمريكا، وكان كل ذلك مغلفاً بغلاف مسيحي قدسي، حتى إن الحملات الغربية على إفريقيا كانت تُرافق بالرهبان الذين كانت مهمتهم غسل الأدمغة الإفريقية لتقبل الاسترقاق والعبودية إلى جانب نوع من التنصير الخاص للأفارقة.

وتوطَّد نظام العبودية والاسترقاق في أوروبا بشكل كامل قرابة القرن الحادي عشر. فالأقنان كان يسحقهم العوز، وتضغط عليهم التبعية الشخصية حيال السيد. وكانوا مهانين وأذلاء بسبب جهلهم، وهذا الجهل كان رجال الدين الكاثوليك يحافظون عليه ويطالبون الفلاحين بالصبر الطويل والاستكانة للأسياد. ويبثون الخوف من نيران جهنم. وبموجب التعاليم المسيحية كانت عذابات جهنم تنتظر في العالم الآخر العصاة والمتمردين على السلطات. كان الفلاح الجاهل والأمي الذي اعتاد على العوز، والذي لم ير شيئاً أبعد من كوخه يتقبل ويدرك البلايا الاجتماعية والطبيعية من خلال موشور مفهومه البدائي، قحط الموسم الزراعي، والجوع، والطاعون الناري الذي يسوق زوجته وأولاده إلى القبر. . كل هذا كان يتصوره بصورة عقاب من السماء نزل عليه من أعلى بسبب خطايا مجهولة.

وقد انعكس التحرق إلى الخلاص من اضطهاد الأسياد، والسعي إلى خلع سلاسل القنانة، والتفلت من براثن العوز في دماغ الفلاح المرهق بمشتقات العيش، انعكاساً فاسداً مشوهاً وتحوّلَ إلى رغبة عارمة في اجتراح مأثرة دينية.

استولى الإقطاعيون على الأراضي، وكانت إمكانيات تلبية الحاجات الجديدة على حساب الأقنان محدودة للغاية.

وقد ساهم الفرسان في توسيع نظام العبودية، وخاصة من خلال مهاجمتهم للقرى وانتزاع العقارات والأراضي من الفلاحين.

والواقع أن المسيحية الغربية، ولاسيما التي تتبع النظام البابوي، كان دَوْرُ البابوات فيها دوراً بشعاً في إحلال العبودية والتصريح بالاسترقاق.

وفي عام ١٤٥٥ أصدر البابا مرسوماً يقرر سيادة النصارى على الكفار، وهذا المرسوم أقر استرقاق الزنوج والهنود الحمر. وصاحبته لعدة قرون دعاية واسعة أشرفت عليها الكنيسة والأوساط المسيحية الغربية. ومفادها أن الاسترقاق هو سبيل الخلاص للرقيق الذين غضب عليهم الله. فالرق في نظر المسيحية الغربية لعنة من الرب على هؤلاء الذين أصبحوا رقيقاً.

ولم يعترض على الرق (القديس توما الإكويني) بل زكَّاه وحبَّذه وذهب إلى ماذهب إليه أرسطو الذي عد الرقيق حالة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان بأهون نصيب.

فمسألة الاسترقاق والاستعباد لدى المسيحية مستمدة من التراث التوراتي. واعتبر الاسترقاق لعنة قديمة من قبل النبي نوح كما جاء في سفر التكوين.

وتطالعنا صفحات التاريخ القديم والحديث بموجات استعبادية أوروبية استعبدت باسم المسيحية الإفريقيين، وأبادت الهنود الحمر. وباركت الكنيسة

الكاثوليكية ومن بعدها المذهب البروتستانتي هذا الاستعباد. حتى إنّ مدارس التنصير الأوروبية المعاصرة التي تمارس عملها في إفريقيا وآسيا توحي للمتنصرين الجدد بأن خلاصهم من العبودية لايتم إلا من خلال دخولهم في المسيحية، وعندما يدخلونها لايرتفع عنهم التميز العنصري، وهذا ماكان يحدث في جنوب إفريقيا وناميبيا وغيرهما من البلدان الإفريقية.

ولو عدنا إلى بعض تعاليم بولس لوجدناها ترضى بالاستعباد، ويطلب فيها من العبيد طاعة أسيادهم.

يقول بولس: (ليخضع كل امرئ للسلطات التي بأيديها الأمر، فلا سلطة إلا من عند الله والسلطات الموجودة هو الذي أقامها، فمن قاوم السلطة قاوم النظام الذي أراده الله، والمقاومون ينالون مايحق عليهم من جزاء. فلا خوف من الرؤساء عندما يُفعل الخير بل عندما يُفعل الشر) رسالة بولس إلى روما ١٣ : ١ ـ ٣.

ويقول: (ولذلك لابد من الخضوع، لاخوفاً من الغضب وحسب بل مراعاة للضمير أيضاً) رومية ١٣ .

ويقول: (أيها العبيد أطيعوا أسيادكم، حب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم. ويقول جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه.

فالمسيحية عندما لُوِّنت باللون الوثني الغربي الأوروبي الروماني اليوناني لم تعد مسيحية المسيح، بل أصبحت عقيدة أخرى تقمع حرية العقيدة والمعتقد، حتى إنها أكلت أبناءها من داخلها، وذلك بسبب تعدد مذاهبها وتسلط الأقوى منها على الضعيف.

ولعل أهم الشواهد على إباحية العبيد والاسترقاق تلك التي جرت على يد مرافقي الحملات الاستعمارية على إفريقيا من الرهبان ورجال الكنيسة، فهي صور تعجز عنها الكتب لما فيها من قسوة وعنف، ولما فيها من استعباد جماعي مازالت آثاره موجودة حتى الآن في إفريقيا وأوروبا وأمريكا.

البروتستانتية والإفرازات المعاصرة نقض لكل تعاليم المسيحية التقليدية

منذ بدأ مارتن لوثر بنشر أفكاره المعارضة للكنيسة الكاثوليكية راحت تتماهى البروتستانتية مع اليهودية، وتفرز حركات ومذاهب لاتعد ولاتحصى. وقد لقيت هذه الحركات في أمريكا أرضاً خصبة حيث إن معظم الذين تسلموا مقاليد الأمور والحكم في الولايات المتحدة كانوا من البروتستانت.

وعندما طرح لوثر وأتباعه مقوله: إنه يحق لكل مسيحي أن يفسر ويفهم الكتاب الكريني على هدى الروح القدس كما يشاء، راحت تظهرالفرق والمذاهب البروتستانتية بشكل ملفت للنظر، حتى بلغت هذه المذاهب حوالي ١٢٠٠ مذهب منها حوالي ٢٠٠ مذهب في بريطانيا وحدها.

وقد تناحرت هذه الفرق والمذاهب ولاسيما في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وهو ما أدى إلى بروز مذاهب جديدة ترفض القديمة وتطرح أفكاراً ليست من المسيحية في شيء. وقد كان أهم ماطرحته قضية عودة المسيح الذي سيأتي ليحرر القدس من الكفار المسلمين والمسيحيين العرب على حدّ قولهم.

ومن تلك المذاهب التي ظهرت طائفة المشيخيين البروتستانت (البرزبيتارية التي تنكر سلطة الأساقفة وتعترف بسلطة الكهنة. ومن هذه المذاهب أيضاً طائفة لادفنتست

السبتيين، وكذلك مذهب كنيسة (الكونكر يسباليزم) وجمعية المسيحيين الجدد.

وقد رأت هذه المذاهب الجديدة أن الكنيسة ليست ملكوت الله. وهي، حسب رأيهم، إحدى منظمات الشيطان، وعلى البروتستانت أن يسعوا لتدميرها وأن يساعدوا اليهود على العودة إلى فلسطين.

ومنذ عام ١٨٧٨ ارتد عن المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية الأولى واليهودية عدد كبيرمن أتباع النظرة البروتستانتية الحديثة، وشكلوا مايسمى شهود يهوه، وكانت أهم تعاليمهم تكريس جهودهم وعقائدهم لخدمة يهوه إله التوراة.

إبان الحرب العالمية الثانية مارست الكنيسة الكاثوليكية وكذلك الأرثوذكسية ضغوطاً قويةً لوقف نشاط هذه الحركات الانحرافية. ولكن وجودها في الولايات المتحدة جعل التأثير ضعيفاً لأن أمريكا حضنتها ورعت كلّ الحركات المنفرزة عن البروتستانتية والمؤيدة لليهود في كلّ أساطيرهم ودعواهم.

واشتد الصراع بين حركة شهود يهوه والكنيسة، ودعت إلى تدميركل سلطة دينية أو زمنية، لأنها من عمل إبليس، وأن أصحابها عمال لإبليس، وأن المسيح سيرجع في هذا الزمن ويشطب وجود المسيحية الزائفة المنتشرة في العالم من القديم. وقد نشر أحد زعماء هذه الحركة المدعو رذر فورد الذي توفي سنة ١٩٤٢ أكثرمن ٧٠ كتاباً و٣٢ رسالة، كلها تقدح وتذم الكنائس المسيحية وهي مترجمة إلى أكثر من ٩٠ لغة. وقد خطب هذا الداعي البروتستانتي سابقاً، الشهودي لاحقاً، كل خطبه العاطفية الدينية ضد سائر الطوائف المسيحية على طول ١٠٩ أسطوانة، وراح يبثها في الشوارع والمنازل.

ويرى شهود يهوه أن المسيحية القديمة هي مسيحية زائفة مُشوَّهة في جوهرها،

وأنهابعد أن سارت ثمانية عشر قرناً في الضلال أوفد يهوه رسالة بريهوه ليذيعوها وليسمعها الألوف والملايين المنغرقون في هيئة إبليس في هذه الأيام الأخيرة.

وتتلخص معتقدات شهود يهوه في أربع عشرة مسألة تتصادم مع عقيدة الكنيسة المسيحية التاريخية وهي:

١ ـ إنكارلاهوت المسيح. ٢ ـ إنكارعقيدة الثالوث الأقدس. ٣ ـ نفي قيامة المسيح بالجسد. ٤ ـ وجود فرصة للتوبة بعد الموت. ٥ ـ الأشرار لن يتعذبوا. ٦ ـ الدين من عمل الشيطان. ٧ ـ الزواج بعد القيامة. ٨ ـ الملائكة تتزوج من بني البشر. ٩ ـ موت المسيح هو أبدي نهائي. ١٠ ـ المسيح هو الملاك ميخائيل. ١١ ـ إنكار وجود جهنم. ١٢ ـ نفي قيامة الأموات بالجسد. ١٣ ـ الملائكة ليسوا خالدين. ١٤ ـ المختارون للحياة الأبدية ١٤٤٠٠٠ شخص فحسب.

وقد رد كهنة المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية دعاوى جماعة شهود يهوه وردوا عليها باعتبارها ضلالات وهرطقات تسعى لتصديع الكنيسة، وكسر عقائدها خدمة لليهودية الصهيونية التي تستهدف تفسيرالأناجيل تفسيراً يهودياً صهيونياً يؤيد احتلال اليهود لفلسطين، وتبشر بفلسطين وطناً قومياً لليهود العائدين لتأسيس دولة برئاسة المسيح والآباء، والتركيز على رؤيا يوحَنَّا لتفسيره تفسيراً يهودياً.

وجماعة شهود يهوه يتعمدون بالماء، لكنهم يفرضون على المتعمّد أن يردد قسماً معيناً، ألا يبوح بأسرار جماعة شهود يهوه وأن يعمل على نشر مبادئها، والطاعة العمياء لها. وإن حاد عن أحد مبادئها تشكل لجنة لمحاكمته بمعرفة ناظر الجماعة الشهودية.

ولشهود يهوه رأي يرفض عقيدة التثليث المسيحية. فهم يرون أن التعليم

بالتثليث غير معقول من ناحية، وأنه ليس في وسع معلميه أن يفسروه من ناحية ثانية. بل إن كلمة ثالوث والفكرة المرتبطة بها في رأي شهود يهوه ليس لها أساس أو أثر في كلام الله الحق. وفكرة تثليث الآلهة ظهرت منذ زمن طويل أصلاً في العقائد الوثنية في مجتمعات مصر وبابل واليونان والصين وسواها من الأمم قبل أن يعتنقها متدينو الأمم المسيحية. ويضيف الشهوديون أن الحق المشع عن الإله الحق الحي سيحرر المتعلمين من حماقة هذا التعليم الثالوثي الذي لايجد مايدعمه من الآيات الثابتة بل إن هذا التعليم الثالوثي هو من أعظم تعاليم الدين المشوشة التجديفية. ويلاحظ شهود يهوه أن أول بيان في الشريعة الأساسية ينص على أن يهوه هو الإله الحقيقي فحسب، وقد ورد في سفر الخروج ٢٠ : ٢ ـ ٤ وهذا النص يخالف برأي شهود يهوه المذاهب التي يعلمها الأكليروس المسيحي من أن هناك ثلاثة آلهة في واحد يقولون عنها الثالوث القدوس.

إن أكليروس الثالوث يعلمون الناس أن هناك (الله الآب والله الابن والله والروح القدس، وكلهم متساوون في القدرة والشخصية والأزلية، وهذا يناقض الوصية الأولى تماماً. ويتابع شهود يهوه أن الأكليروس الثالوثي يضيفون على ذلك أن مريم هي أم الله وأن لها القدرة التي يمكن لها أن تستخدمها في التوسط لغفران الخطايا، وأن على الشعب أن يصل لتلك الغاية. بل إن الأكليروس يتمادون برأي شهود يهوه إلى ماهو أكثر مخالفة من ذلك في بيان الشريعة الأولى، فيصنعون الصور المنحوتة التي يسجدون أمامها، ويدعون الشعب إلى الركوع أمامها والسجود لها. وهذا برهان آخر برأي شهود يهوه على أن الشيطان الرجيم هو مبتدع تعليم الثالوث ومنشىء عادة السجود لامرأة والصلاة لها والانحناء أمام التماثيل المنحوتة.

ويفصل شهود يهوه رأيهم بقولهم:

إن الله هو يهوه ولايجوز أن يسمى الله باسم يهوه. وأن كلمة ابن وولادة ليس لها محل في الإلهيات، ولايليق بالدين المسيحي أن يحتفظ بها في كتبه التعليمية، ويرون أن عقيدة التثليث ترتكز إلى قوة منسوبة إلى الرسول يوحَنَّا، وهي أن الشهود في السماء ثلاثة الآب والابن والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، وهذه الفقرة مزيفة بنظر شهود يهوه، ولا أثر لها في النسخ العريقة في القدم. ويرون أن الوحدة القائمة بين الآب والابن هي وحدة أدبية فحسب بدليل النص القائل: أنا والآب واحد. وهذه الوحدة بينهما شبيهة بالوحدة الأدبية القائمة بين الأعضاء والمسيح ـ الرأس. ويرون أن الآب أعظم من الابن بدليل النص القائل: الآب هو أعظم مني وهذا يسقط ادعاء الألوهية للمسيح.

ويرون أن كلمة روح تعني الريح والنسمة ولادخل لها في العقيدة الثالوثية ولا وجود للروح القدس كأقنوم، وعندما ترد في كتابهم المقدس فإنها تعني قوة أو نفوذ الله.

ويقول شهود يهوه إنه لايمكن العثور في كتابهم المقدس على كلمة واحدة تدل على الأقانيم الثلاثة الإلهية معاً، وإن ثاوفليس هو الذي ابتدع عبارة الثالوث ومشتقاتها في عام ١٨١م. ويقولون إن النصرانية اغترفت مفهوم الثالوث الأقدس من الديانات القديمة كالمصرية والبابلية، وهي ديانات إبليسية بنظر شهود يهوه.

ويفلسف شهود يهوه اعتراضهم على المسيحية من خلال عدة أمور:

يقولون إن النفس لاتتميز عن الجسد، وهي تموت معه باستثناء مجموعة بشرية محدودة. ويقولون إنه يتوجب التمسك براحة السبت لابراحة الأحد التي لم

تفرض في عهدهم القديم. ويرى شهود يهوه أن البابا الحالي أو البابوات خلفاء بطرس لايمكنهم أن يدَّعوا السلطة الأولى في الكنيسة، ولا أن يدَّعوا العصمة، إذ إن بطرس لم يكن رئيس الرسل، ولذا لم يكن له خليفة. ويرون أن مريم لم تكن بتولاً، أي إن يوسف النجار عرف مريم بعد ولادتها يسوع معرفة زوجية، وأن مريم لها أبناء غير يسوع، وبالتالي للمسيح أخوة. ويضيفون أنه لاشفاعة لمريم عند ابنها وأن الوسيط بين يهوه والناس هو يسوع فحسب، لذا فوساطة مريم والقديسين باطلة ولافائدة منها. ويرون أن لافائدة من إكرام الصليب أو ذخائر القديسين، ويرون أن الاعتراف تأسيس بشري وليس إلهياً. وينبغي رفض كل إكرام للكهنة لأنهم خُدّام ديانة أقامها إبليس، ويُرَذِّلون لباس الكهنة الطويل، وعقيدة البتولية مصدرها إبليس. وحياة الرهبنة والتقشف هي بدعة قام بها أنطونيوس الكبير في القرنين الثالث والرابع بدون أن يكون الإنجيل قد أشار إليها. ولافائدة من الصلاة الجماعية.

ويرى شهود يهوه أن السلطة الكاثوليكية الرومانية قسم من عالم الشيطان والادعاء. والأكليروس الكاثوليكي لايمثلون يهوه والمسيح، بل يمثلون الشيطان ويخدمونه.

ويرى الشهود أن الأمم المسيحية التي ينبغي أن تكون حرة بحسب اعترافها واتخاذها اسم المسيح هي مجموعة من الأنظمة المتضاربة من ديمقراطية أو استئثارية مستبدة.

وإذا عدنا إلى تعاليم هذه الحركة رأيناها تتوافق مع تعاليم كثير من الحركات البروتستانتية الأمريكية.

ففي شهر حزيران من عام ٢٠٠٠ عُقد مؤتمر لزعماء المذاهب البروتستانتية

في أمريكا، وقد قرروا فيه عدم ألوهية المسيح وناقشوا قضايا أخرى تدخل جميعها في رفض المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية رفضاً تاماً.

وجرت ردة فعل على هذا المؤتمر من قبل الفاتيكان والبابا ورفض البابا فيها الاعتراف بأية مسيحية سوى مسيحية الكاثوليك.

وقد كرر الفاتيكان القول رسمياً أن هناك كنيسة واحدة للمسيح وهي المسيحية الكاثوليكية، يديرها خليفة بطرس (البابا) والأساقفة الذين يعملون معه.

وجاء في إعلانٍ حَمَل اسم (إعلان الرب يسوع) أن المجموعات الكنسية التي لم تحافظ على الأسقفية المشروعة (أي الأساقفة الذين رسَّمهم أساقفة من الكنيسة الكاثوليكية)، ولم تحافظ على أساس القربان المقدس ليست كنائس بالمعنى الدقيق للكلمة. وذلك في إشارة إلى الكنيسة الأنغليكانية والكنائس المنبثقة عن الحركة الإصلاحية التي جرت في القرن السادس عشر.

وتضيف الوثيقة التي تحمل توقيع مجمع العقيدة والإيمان وصادق عليها البابا يوحنا بولس الثاني في ١٦ حزيران ٢٠٠٠ أن الكنائس التي تبقى متحدة مع الكنيسة الكاثوليكية بروابط وثيقة مثل الخلافة الرسولية وسر القربان المقدس هي وحدها كنائس حقيقية تتمتع بوضع خاص، ولو أنها لاتشارك بشكل عام وكامل مع الكنيسة الكاثوليكية.

وتؤكد الوثيقة التي تشير في هذه الحالة إلى الكنائس الأرثوذكسية أن كنيسة المسيح حاضرة وناشطة في هذه الكنائس على الرغم من غياب المشاركة التامة مع الكنيسة الكاثوليكية التي يعود سببها إلى رفض حق التقدم الذي يملكه أسقف روما ويمارسه على كامل الكنيسة طبقاً للإرادة الإلهية. وأدانت الوثيقة اعتبار كنيسة السيد المسيح طريقاً للخلاص بين طرق أخرى، كون ذلك يتعارض بوضوح

مع الإيمان الكاثوليكي[1].

ومن مظاهر الشذوذ البروتستانتي ماجاء من تصريحات لرئيس الكنيسة الأنغليكانية الأسكتلندية وهذا مانص عليه رئيس هذه الكنيسة:

أثار المونسنيور ريتشارد هالواي رئيس الكنيسة الأنغليكانية الأسكتلندية خلال بضعة أسابيع غضب أقرانه الذين وصموه بالهرطقة والإلحاد بسبب مواقفه الغريبة، إذ إنه لايؤمن بقيامة المسيح، ولايعتبر الحشيش محرماً، ولايدين الزنى، ويدافع عن اللواطيين.

وفي تصريح لوكالة فرانس برس قال الأسقف الذي بدأ عمله الديني في الستينيات وسط أحياء غلاسكو الفقيرة: لاأعتقد أن للكنيسة الحق في فرض قيمها الأخلاقية على الناس.

وقد وضع المونسنيور ريتشارد هالواي أفكاره الجريئة في كتاب بعنوان «الأخلاق بعيداً عن الله» لايزال يثير موجات غضب واحتجاج عارم في بريطانيا والعالم الأنغليكاني منذ صدوره في آب (أغسطس) الماضي، ويرى المحافظون الأنغليكان فيه «عدواً للمسيح»، فقد قاطع المونسنيور مويس تاي الذي يعتبر من كبار الأساقفة الأنغليكان في آسيا مؤتمراً منعقداً حالياً في داندي في أسكتلندا احتجاجاً على «الانحرافات والأفكار الرهيبة والملحدة» لهالواي.

وقد آثار ريتشارد هالواي أيضاً غضب رئيس أساقفة الكنيسة الإنكليزية جورج كاري، الذي يرأس، بمقتضى منصبه، المذهب الأنغليكاني وأتباعه البالغ عددهم ٨٠ مليوناً في جميع أنحاء العالم. فقد اعتبر كاري تصرف هالواي «غير

---

(١) تمت الاستفادة من كتاب شهود يهوه لحسين عمر حمادة.

مقبول» وأتهمه بـ «الخروج عن الدين وعن تعاليم الكنيسة» وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لكنيسة تمنح تقليدياً لأتباعها حرية كلمة واسعة.

ويرى المونسنيور هالواي (٦٥ سنة) وهو أب لثلاثة أبناء، أنه تجاوز سن تلقي المواعظ، مدافعاً عن حرص الفرع الأسكتلندي للكنيسة الأنغليكانية على استقلاله الفكري خلافاً للفرع الإنكليزي، وهو ينوي المحافظة على هذا التقليد ولو أدى الأمر إلى إحياء الجدل المزمن بين المحافظين والليبراليين الذي يمزق العالم الأنغليكاني، سواء بشأن ترسيم النساء أساقفة، وهو الذي تمّتْ الموافقة عليه مبدئياً لكنه لايزال يلقى معارضة البعض، أو بشأن قضية الأساقفة الشاذين جنسياً.

ويصر الأسقف هالواي، الذي ولد في وسط عمالي في غرب أسكتلندا الفقير لأب من العمل كان يفضل احتساء البيرة في الحانات على حضور القداس، على موكب عمله «التحديثي»، غير عابئ بما يمكن أن يسببه ذلك من صدمات، وهو يسترشد في كتابه بكارل ماركس ونيتشه، ويعتبر المفهوم الأنغليكاني للجنس والمخدرات قد مضى عليه الزمن، معترفاً بأنه دخن هو نفسه الحشيش في شبابه، وقال: كل ماأريده أن يتم تناول المسألة بصورة عقلانية تتيح للشباب تدخين الحشيش بطريقة حكيمة لاتسبب لهم الأذى، في الوقت الذي ترفض الحكومة العمالية بشدة تشريع تناول الحشيش.

ويدعو هالواي كل يوم أحد من منبر الكنيسة إلى قراءة رمزية لقيامة المسيح، ويدعو إلى تجاهل فقرات الكتاب المقدس التي يعتبرها متخلفة، وهو أيضاً من أشد المتحمسين لترسيم أساقفة مثليي الجنس، ويقول: «مايفعله الناس في سريرهم لايعنيني ماداموا لايضرون أنفسهم أو الآخرين».

نموذج من المؤتمرات المسيحية لتحديث قوانينها وتشريعاتها

عشرات المؤتمرات المسيحية عقدت في أنحاء العالم لبحث تطوير القوانين والتشريعات الخاصة بالشؤون المدنية والأحوال الشخصية وطرق التنصير في إفريقيا وآسيا وغيرهما من القارات، ولعل آخر هذه المؤتمرات المؤتمر الذي عقد في قبرص بين ٤ و ٩ أيلول الماضي ٢٠٠٠، وكان مخصصاً لكنائس الشرق الأوسط.

فبدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط عقد المؤتمر في مركز المؤتمرات في دير أبانابا في قبرص لبحث أنظمة الأحوال الشخصية ـ التحديث والمستجدات وتبادل الخبرات.

حضر اللقاء مندوبون عن مختلف الطوائف المسيحية في الشرق الأوسط. من قضاة ومحامين وأساتذة قانون ورجال دين من مصر والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان وقبرص. تحدث في اللقاء الأمين لعام لمجلس كنائس الشرق الأوسط القس رياض جرجور الذي قال: إن المجلس يضم جميع الطوائف المسيحية في الشرق الأوسط ويعمل في خمسة محاور وهي:

١ ـ وحدة المسيحيين في الشرق على الرغم مما فيها من عقبات وصعوبات وهي وحدة في التنوع.

٢ ـ نهضة كنسية من خلال الشبيبة والمرأة ونشاطات الأسرة وانفتاح هؤلاء بعضهم

على بعض لمزيد من معرفة الآخر والاحترام المتبادل.

٣ـ تنمية الموارد البشرية والمساعدة في برامج الخدمة الاجتماعية في التأهيل والإعمار في الدول التي عانت وتعاني حروباً، مثل لبنان وفلسطين والعراق وحيث تدعو الحاجة.

٤ ـ الإعلان عن شهادة مسيحية في هذا الشرق إقليمياً ودولياً، والتشديد على أن البقعة العربية هي إسلامية ومسيحية، وأن المسيحيين في البلاد العربية هم مواطنون من الدرجة الأولى أيضاً.

٥ ـ التركيز عبر الحضور المسيحي في الشرق على مواضيع العدالة والسلام والحوار الإسلامي المسيحي.

وأوضح القس جرجور أن العائلات المسيحية في الشرق تعاني مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية لم تكن تعرفها من قبل، وهذا أمر دفع كثيرين إلى طرق أبواب المحاكم لحل نزاعاتهم. وتظهر قوانين الأحوال الشخصية عجزاً متزايداً في تناول هذه النزاعات، فيفقد كثيرون الأمل بكنائسهم، أو يصيبهم الملل بسبب طول الانتظار وبقاء الأبواب مغلقة أمامهم، أو يتعرضون للابتزاز والاستغلال فيبحثون عن حلول خارج المسيحية ويتخلون عن ديانتهم.

ودعا ممثلي الكنائس الحاضرين إلى العمل بروح الموضوعية والحكمة بعيداً عن المغالاة وصولاً إلى تأمين مقتضيات استمرار الحضور المسيحي في الشرق، والعمل أيضاً على تحقيق الوفاق بين مختلف الطوائف المسيحية ومذاهبها عبر تحديث قوانين الأحوال الشخصية في مصر، بدءاً بالعثمانيين و (الخط الهمايوني) الصادر عنهم عام ١٨٧٤ لحماية الأقليات، وماتبعه من أوامر صادرة عن الباب العالي العثماني، إلى المجالس الملية، حتى انفصال مصر عن تركيا وصدور قانون

عام ١٩٥٥ الذي ألغيت بموجبه المجالس الملية كمحاكم طائفية، واستمر الوضع قائماً كما هو مع القانون الرقم واحد لعام ٢٠٠٠، المعروف لدى العامة في مصر بقانون الخلع، الذي أجاز للزوجة طلب الطلاق (الخلع) بالإرادة المنفردة.

وعرضت المشكلات التي تحدث عند تغيير الملة أو الطائفة ومايترتب على ذلك من تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. وأعلن المشاركون في اللقاء من مصر أن الطوائف المسيحية مجتمعة اتفقت على قانون موحد للأحوال الشخصية رفعته إلى الحكومة، وأنه سيتم عرضه في مجلس الشعب في دورته القادمة.

وتحدث المشاركون من الأردن عن الأحوال الشخصية في بلادهم. فعرضوا أولاً قانون مجالس الطوائف الدينية غير المسلمة الرقم ٢ لعام ١٩٣٨ القائم حتى اليوم، والذي أجاز لكل طائفة دينية تعترف بها حكومة المملكة الأردنية الهاشمية أن تؤسس مايعرف بمجلس الطائفة، وتبحث في مسألتي الزواج والطلاق وفق قوانينها. أما مسائل الأوقاف وأموال الأيتام والولاية والوصاية والوراثة والحجر وفك الحجر وتنصيب القيّم والوصي وعزلهما، وغير ذلك فتتحكم فيها المحاكم الكنسية بحسب القوانين المدنية الموافقة للشريعة الإسلامية.

وعُرضت الإشكالات الناتجة عن إبدال مذهب بمذهب وتغيير الدين، خصوصاً في قضايا الإرث والوصايا والمحاكم القائمة من نظامية وشرعية وكنسية، التي تنظر في الخلافات الناشئة بين أشخاص من أديان أو طوائف مختلفة. ولوحظ أن نفسية القاضي الذي يطبق القانون هي التي تحكم في النهاية.

من سوريا تحدث المطران يوحَنَّا منصور راعي أبرشية اللاذقية للروم الأرثوذكس عن مشروع قانون الأحوال الشخصية لطائفته التي ينتشر أبناؤها في

سوريا ولبنان والعراق والمهاجر. وقال إن المشروع أعطى للخطبة قبل الزواج أهمية خاصة؛ لأنها المرحلة الأولية التي تسبق الزواج، فبين أن القانون حدد شروط الخطيبين وأحكام مايقدمه أحدهما للآخر. أما الزواج في القانون فهو سر من أسرار الكنيسة، لذلك لايكفي لصحة عقده رضا الطرفين، وإنما يتم بالشكل المقرر حيث تكون الكنيسة طرفاً رئيسياً في عقده أو اعتبر باطلاً. وقال إن القانون راعى المبادئ الأساسية للزواج التي تقوم على سعادة الأسرة، وعالج أموراً كالبائنة والهدايا الزوجية والجهاز والنفقة والحضانة، وشرح أسباب انحلال الزواج وحالاته من بطلان وفسخ وطلاق. وعرض محامون وقضاة من سوريا قواعد الإرث والنظام الحالي بين الزوجين لدى الطوائف المسيحية، وأن لاإرث بين السوري والأجنبي إلا بشرط المعاملة بالمثل. أما الطوائف المعتمدة في سوريا، ولدى أمانة السجل المدني، فهي الطائفة الإسلامية والطائفة الدرزية والطائفة المسيحية والطائفة الموسوية. وأن قانون الأحوال الشخصية الصادر في سوريا الرقم ٥٩ تاريخ ١٧/ ٩/ ١٩٥٣ يعتبر قانوناً عاماً يطبق على جميع المواطنين ماعدا بعض الاستثناءات الواردة في المادة ٣٠٨ التي خولت الطائفتين المسيحية والموسوية تطبيق مالديهما من أحكام تشريعية دينية تتعلق بالخطبة وشروط الزواج وفسخه وحضانة الأولاد.

ومن لبنان تحدث المطران بشارة الراعي راعي أبرشية جبيل للموارنة عن تأثير الزواج المدني في حياة العائلة في الشرق ومستقبلها، وقال إن الزواج المدني يتجاهل الوحي الإلهي، وينزع عن الزواج قدسيته كعهد وسر من أسرار الكنيسة. ويجعل منه مجرد عقد مرتبط فقط بإرادة الزوجين، ومن الأسرة مجرد مؤسسة اجتماعية. وأضاف أن الزواج المدني حاجة تقتضيها المجتمعات المدنية ذات الأنظمة العلمانية التي تفصل فصلاً قاطعاً بين الدين والدولة، وأن حرية المعتقد

تعني الحق والواجب لكل إنسان في العالم أن يبحث عن الحقيقة وفي طليعتها تلك المتعلقة بالشأن الديني وينظم حياته على أساسها، وأن الالتزام الديني لا يحتمل التجزئة والانتقاء.

وعرض محامون وقضاة من لبنان قوانين الأحوال الشخصية المرعية لدى الطوائف الإسلامية والمسيحية بمختلف مذاهبها التي يبلغ عددها ١٨ طائفة. ومحاكم الأحوال الشخصية هي محاكم طائفية؛ لأن نظام لبنان يقوم على حقوق الطوائف واستقلالية أحوالها الشخصية، وعرضت مفاعيل إبدال الزوج لطائفته أو دينه وتأثير ذلك في حقوق الزوجة والأولاد، وطرحت قضية توزيع إرث شخص مسيحي كان قد تزوج لدى إحدى الطوائف المسيحية، ثم أبدل دينه واعتنق الإسلام، وتزوج وتوفي مسلماً عن عائلة من زواجه الأول يتضمن زوجة وأولاداً، وعائلة من زواجه الثاني يتضمن أيضاً زوجة وأولاداً، وتبين أن اجتهاد المحاكم اللبنانية غير موحد حول مسألة توزيع الإرث وأن اجتهاد المحكمة الابتدائية كان أن الإرث ليس من مفاعيل الزواج وأن العائلة الأولى لها حقوق محفوظة بموجب قانون ٢ نيسان ١٩٥١، وحكمت بإعطاء العائلة الأولى الحصص المحفوظة التي أَقَرَّ بها القانون المذكور وماتبقى يعود لقاضي الشرع المسلم توزيع رصيد المال على العائلة الثانية وفقاً لقانون الشرع الإسلامي. لكن هذا الحكم تم فسخه لدى محكمة الاستئناف التي أخذت باجتهاد أنّ إسلام الزوج لاينبغي أن يلحق أي أثر بالزواج الأول. وحكمت بتوريث العائلة الأولى وحدها، وإن القضية الآن أمام محكمة التمييز للفصل فيها بقرار مبرم.

أما أنظمة الأحوال الشخصية في فلسطين والأراضي المحتلة فهي مشابهة

لما هي عليه الآن في الأردن، حيث يترك لكل طائفة إدارة الأحوال الشخصية التابعة لأفرادها.

وعرض رجل دين من قبرص الأحوال الشخصية في الجزيرة فقال: إن قبرص دولة علمانية تطبق نظام الزواج المدني، والمؤمن الذي يرغب بالزواج الكنسي عليه الالتزام بالقوانين الكنسية. وعرض موانع الزواج في الكنيسة الأرثوذكسية وأهمها فوارق العمر، وقال إن الكنيسة تمنع زواج رجل يزيد عمره ١٢ عاماً عن الفتاة التي يرغب في الزواج بها وكذلك تمنع أن يزيد عمر الفتاة ٦ أعوام عن الرجل الذي ترغب الزواج منه، ولكن أسقف المنطقة يمكن أن يسمح بالزواج عند الضرورة القصوى.

واختتم المؤتمر بالتمني على المرجعيات الروحية توحيد التشريع فيما يعود إلى المفاعيل المدنية للزواج، وإلى بت مسائل حضانة الأولاد والنفقة ضمن مهل زمنية، ووفق شروط تراعي كل المصالح ولاسيما مصلحة القاصرين وتم تشكيل لجان متابعة للعمل على تنفيذ التوصيات التي تم التوافق عليها.

نموذج من مؤتمرات الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق

قرر رؤساء الكنائس الأرثوذكسية الشرقية الثلاث في الشرق الأوسط متابعة الحوار اللاهوتي الرسمي مع العائلة الأرثوذكسية «مع تشجيع التعاون بين العائلتين الأرثوذكسيتين في اللقاءات المسكونية» ورحبوا بقرار مؤتمر لامبث حول رفع درجة الحوار مع عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية من مستوى منتدى إلى مستوى الحوار الرسمي، وأكدوا أهمية النشر «باللغات المحلية لنصوص وشروحات الاتفاقات اللاهوتية التي يتم التوصل إليها».

فقد عقد رؤساء الكنائس الأرثوذكسية الشرقية الثلاث في الشرق الأوسط اللقاء الثاني في دير مارافرام السرياني في معرة صيدنايا في دمشق لمدة يومين، وحضر عن الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية كاثوليكوس الأرمن لبيت كيليكيا أرام الأول، وعن الكنيسة القبطية بابا الإسكندرية البطريرك شنودة الثالث، وبطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان أغناطيوس زكا الأول عيواص، كما حضر أعضاء اللجنة الدائمة للكنائس الثلاث.

وأصدر المجتمعون بيانا أكدوا فيه استمرارية الحوار اللاهوتي مع الاتحاد العالمي للكنائس المصلحة، واشترطوا لاستمرار التعاون والحوار غير الرسمي الذي تنظمه مؤسسة «برواورينتي» النمساوية أن يصار إلى الاعتراف الرسمي بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية في النمسا، أسوة بالكنيستين السريانية والأرمنية الأرثوذكسية

وقرروا عدم الاستجابة لاقتراح من «الأدفنتست» للبدء بحوار لاهوتي ورحبوا بتكوين الكنيسة الأرثوذكسية المستقلة في أرتيريا.

وقرر المجتمعون ترشيح البابا شنودة الثالث لإعادة انتخابه رئيساً لمجلس كنائس الشرق الأوسط خلال جمعيته العمومية التي ستعقد في لبنان في نهاية نيسان المقبل. وأكدوا عدم معارضتهم لعضوية أي كنيسة في مجلس الكنائس بشرط أن يكون ذلك في الخط نفسه، وبالاتفاق مع النظام الأساسي والقواعد والأنظمة الخاصة بالمجلس، وأعاد المجتمعون تأكيد التزامهم المسكوني في إطار مجلس الكنائس العالمي، ودعوا المجلس للقيام بدور مسكوني في السعي نحو الوحدة المنظورة للكنائس.

وقرر رؤساء الكنائس الأرثوذكسية الشرقية الثلاث إنشاء لجنة فرعية أرثوذكسية شرقية للشباب لإعداد برنامج أنشطة مشتركة للشباب، بحيث تعقد اجتماعها الأول في كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا في أنطلياس، في تموز المقبل، وأعلنوا أنهم سيحتفلون معاً باليوبيل الألفي الثاني في أنطلياس لمناسبة اجتماعهم هناك مابين ٢٦ و ٢٨ شباط ٢٠٠٠.

وهنأ المجتمعون الرئيس حافظ الأسد بإعادة انتخابه لولاية جديدة، ودعوا له بالتوفيق والعمر الطويل والازدهار والتقدم المستمر لسورية العزيزة.

جريدة السفير ١٦ شباط ١٩٩٩



المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ العهد القديم ـ التوراة . طبعة دار الكتاب المقدس دمشق ١٩٨٦ .

٣ ـ العهد الجديد الإنجيل . طبعة دار الكتاب المقدس دمشق ١٩٨٦ .

٤ ـ المالكي اللقاني . جوهرة التوحيد .

٥ ـ عبد الرحمن بدوي . مذاهب الإسلاميين .

٦ ـ ابن القيم الجوزية . هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . دار قتيبة ط ١ ـ لبنان عام ٢٠٠٠ .

٧ ـ القس منيس عبد النور . هل تجسد الله .

٨ ـ إنجيل برنابا .

٩ ـ ابن حزم الأندلسي . الفصل بين الملل والأهواء والنحل المجلد الأول .

١٠ ـ البابا شنودة الثالث . اللاهوت المقارن .

١١ ـ عباس محمود العقاد . الله في عقائد الشعوب .

١٢ ـ القس الدكتور حَنَّا الخضري . تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول .

١٣ ـ الخوري فرنسيس منعم . منية الجنان في حياة يوحنا المعمدان .

١٤ ـ أوغسطين دوبريه لاتور . دراسة في الإسكاتولوجيا .

١٥ ـ محمد طاهر التنير . العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .

١٦ ـ سيد قطب . مشاهد القيامة في القرآن الكريم .

١٧ ـ قاموس الكتاب المقدس . طبعة دار الكتاب المقدس الطبعة السادسة ١٩٨٢ دمشق .

١٨ ـ جوزيف بطرس . السحر والجان في مملكة الشيطان من منظور مسيحي .

١٩ ـ الدليل الرعائي للأسرار . بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس .

٢٠ ـ ميخائيل زوبوروف . الصليبيون في الشرق دار التقدم ـ دمشق .

٢١ ـ محمد علي برو العاملي . الكتاب المقدس في الميزان .

٢٢ ـ دلوار شنوده المنفلوطي . المطهر تحت المجهر نقلاً عن كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي .

٢٣ ـ الدكتور حسن الزين . الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية .

٢٤ ـ أسبيرو جبور . المرأة في نظر الكنيسة .

٢٥ ـ ندرة اليازجي . رد على التوراة .

٢٦ ـ د . بسام الصباغ . مشكلة الخمر في العالم .

٢٧ ـ الدكتور توفيق الطويل . الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام نقلاً عن كتاب المسيحية لأحمد شلبي .

٢٨ ـ حسين عمر حمادة . شهود يهوه . دار قتيبة دمشق ط ١ عام ١٩٩٠ .

٢٩ ـ عبد الأحد داود . محمد في الكتاب المقدس ـ قطر طبعة أولى ١٩٨٥ .

الفهرس التفصيلي للموضوعات

صدر للمؤلف

في الشعر :

١ ـ مجموعة شعرية من الجرح يبتدئ البرق . اتحاد الكتاب العرب ١٩٧٧ .

٢ ـ مجموعة شعرية من مسافر وزادي معي . اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٣ .

في التراث الشعبي :

١ ـ الأغنية الشعبية الفلسطينية دراسة ط١/ ١٩٧٧ ـ ط ٢/ ١٩٨٦ دار الجليل بدمشق .

٢ ـ أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي ، دراسة ١٩٨٤ دار الجليل بدمشق .

٣ ـ المعتقدات الشعبية في التراث العربي دراسة بالاشتراك مع محمد توفيق السهلي ، دار الجيل دمشق ١٩٨٦ .

٤ ـ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي دراسة دار الجليل دمشق ١٩٨٧ .

٥ ـ البيت الشعبي الفلسطيني دراسة مختصرة دار المبتدأ دمشق ١٩٩٠ .

٦ ـ العرس الفلسطيني من الألف إلى الياء دراسة موجزة دار المبتدأ دمشق ١٩٩٢ .

في الصراع العربي الصهيوني :

١ ـ الفكرة الصهيونية والأدب العنصري دار الإمام البخاري دمشق ١٩٧٨ .

٢ ـ بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير دراسة دار قتيبة دمشق ١٩٨٩ .

٣ ـ التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال دراسة دار قتيبة دمشق ١٩٩٠ .

٤ ـ العقائد الوثنية في الديانة اليهودية دراسة دار قتيبة دمشق ١٩٩١ .

دراسات إسلامية :

١ ـ موقف الإسلام من السحر والخرافة ، دار حطين دمشق ١٩٩٣ .

٢ ـ منهج الجهاد القرآني دراسة ، دار مَيّ للدراسات بيروت ١٩٩١ .

٣ ـ زحف العنصرية ومواجهة الإسلام ، دراسة دار قتيبة دمشق ١٩٩٧ .

٤ ـ عز الدين القسام شيخ المجاهدين دراسة مختصرة ، دار المبتدأ ١٩٩٣ .

٥ ـ الأماكن الإسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع ، ذي قار ، لندن ١٩٩٥ .

٦ ـ القرآن وحوار العقل جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ـ ليبيا ١٩٩٥ .

٧ ـ مولد محمد ، مفتاح التاريخ الإسلامي جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ـ ليبيا ١٩٩٦ .

في مقارنة الأديان :

١ ـ حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ـ ليبيا ١٩٩٧ .

٢ ـ القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان دراسة موسوعية ، دار قتيبة دمشق ١٩٩٩ .

٣ ـ القدس بين رؤيتين دراسة مقارنة دار قتيبة دمشق ١٩٩٨ .

٤ ـ العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل الجزء الأول دار قتيبة ٢٠٠٠ .

المحتويـــات

الفصل الثالث

عالم الغيبيات بين القرآن والأناجيل

القسم الثاني

العبادات والمعاملات

الفصل الأول

الخدمة الكهنوتية

الفصل الثاني

الإفخارسكيا

الفصل الثالث

التشريع المسيحي الجذور والملامح

الفصل الرابع

موقف المسيحية من محرمات العهد القديم

هذا الكتاب

على طريق مواصلة البحث في مقارنة الأديان، يأتي كتاب: العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، ليضع الخطوة التالية، بعد كتاب: القرآن والتوراة أين يتفقان، وأين يفترقان؟

وإذا كان التوراة كتاباً فيه من التاريخ ما فيه، وكذلك التشريع، مما يسهل أكثر طريقة المقارنة، فإن الأناجيل على الرغم من اختلاف رواياتها في كثير من الأمور، إلا أنها افتقدت للتشريع الذي وجدناه في التوراة.

ولذلك كان هذا الكتاب بحثاً في تطور العقيدة النصرانية منذ ولادة السيد المسيح عليه السلام، وحتى وقتنا الحاضر. وحتى لا تترك الأمور في سياق البحث التاريخي، كان موضوع مقارنة الأديان سبيلنا، وكان القرآن الكريم كتاب الله الذي به تستقيم الأمور والموضوعات ويستقيم به التاريخ وكذلك الشخصيات.

وغايتنا المرجوّة من وراء هذا الكتاب، توضيح الفرق بين نصرانية الشرق ومسيحية الغرب، ومن ثم العودة إلى منهج الحق الذي نادى به المسيح عليه السلام.



للطباعة والنشر والتوزيع